الشرق الأوسط الجديد

حدود الجماجم

مشروع الشرق الأوسط الوسيع

من هيرتزل إلى لويس إلى ليفي

أسعد العزّوني

دار دجلة
www.dardjlah.com

الشرق الأوسط الجديد... حدود الجماجم

مشروع الشرق الأوسط الوسيع.. من هيرتزل

إلى لويس إلى ليفي

الشرق الأوسط الجديد... حدود الجماجم

مشروع الشرق الأوسط الوسيع... من هيرتزل إلى لويس إلى ليفي

أسعد العزّوني

الطبعة الأولى

٢٠١٥

•
•
الطبعة الأولى ٢٠١٥

منشورات:

دار دجلة
ناشرون و موزعون

المملكة الأردنية الهاشمية
عمان- شارع الملك حسين- مجمع الفحيص التجاري
تلفاكس: ٠٠٩٦٢٦٤٦٤٧٥٥٠
خلوي: ٠٠٩٦٢٧٩٥٢٦٥٧٦٧
ص. ب: ٧١٢٧٧٣ عمان ١١١٧١- الأردن
E-mail: dardjlah@ yahoo.com
www.dardjlah.com

* رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية (١٩٤٣/ ٦/ ٢٠١٣)

Isbn: ٩٩٥٧-٧١--

الإهداء

إلى أولادي

وإلى جيل الشباب العربي جميعاً..... أبنائي وأبنائكم وبناتي وبناتكم

نعتذر عن تقصيرنا في خلق وطن عربي موحد فالأمر ليس بأيدينا

ليكن الله في عونكم على ما هو آت

أسعد

المحتويات

المقدمة

لماذا هذا الكتاب؟ وما الذي سيضيفه؟ سؤالان مهمان طرحتهما على نفسي قبل الشروع في كتابته، وكانت الإجابة التي اقتنعت بها هي أنه لا بد من جهد وعمل مخلصين جادين غير منحازين لفكرة بعينها لتبيان الخيط الأبيض من الخيط الأسود.

عاهدت نفسي أن أكون محايداً، منطلقاً من أسس البحث العلمي الذي يناقش ويعرض الفرضيات، وأن أكون قاضياً يستمع للشاكي والمشتكي، دون أن أصدر حكماً، ليس عجزاً مني بل انصياعاً للواقع المرير الذي نعيشه، فنحن أمة لم تتعود على النقد الذاتي والنقد، بل نسير على هدي واقع مر مرير مفاده من خالفني الرأي فهو عدوي. لذلك قررت عقد المحاكمة وجمع الأدلة والشهود والمحامين والادعاء العام، كما قررت أن تكون المحكمة علنية أمام حشد غفير من الناس لأطلب منهم في نهاية المطاف أن يحكموا بناء على ما سمعوه ورأوه وما تكوّن لديهم من مشاعر.

كتب الكثير عن مشروع الشرق الأوسط الكبير أو الجديد لا فرق، وهناك دراسات، والأغرب أن هناك شواهد رأيناها على أرض الواقع، بدءاً بتداعيات احتلال العراق ربيع2003، وانتهاء بتداعيات اتفاق نيفاشا 2005 بين شمال السودان وجنوبه، مروراً بما يحدث هذه الأيام تحت مسمى "الربيع العربي".

دوري سيتسم بعرض الحقائق وعدم إهمال أي احتمالية، فالظرف صعب وممنوع الخطأ، لأن الأمانة العلمية تقتضي النزاهة، فلست باحثاً عن مجد يقوم على ليّ ذراع الحقيقة بهرطقات ترضي هذه الجهة أو تلك، كما نرى هذه الأيام.

ما دعاني إلى الشروع في هذا الكتاب هوما نراه اليوم، وقد التبس علينا، ولم نعد نفرق بين الحراك وبين الثورة، بين المطلوب منا وما علينا فعله، لذلك حاولت تصحيح مسار البوصلة واتجاهها، عل وعسى أن يتعدل المسار، لكن علينا الإجابة على هذا السؤال: ماذا يعني انخراط كل من اليمينيين الأمريكيين المتصهينين على وجه الخصوص أمثال جورج فيلتمان وجون ماكين في حراكات العرب؟

لن أبخس حماس الشباب الذي تحرك، لكنني لن أدافع عن نظرية المؤامرة وأنفيها، وأقول إن الحراك العربي كان من تلقاء نفسه، فهناك دلائل على الأصابع الأجنبية.

المتهمون والمدعون والمحامون والادعاء العام، والأدلة كافة باتت موجودة وموثقة تحت حلف اليمين، وبقي الحكم الذي لن أتدخل فيه كونه من حق الجمهور الذي يحضر المحاكمة.

إبان تشييع جنازة الراحل الملك الحسين بن طلال أواخر العام 1997 التقيت الصحفي الأمريكي الشهير روبرت فيسك، وسألته عن رؤيته للمنطقة من الخارج فقال بعد أن فكر ثم فكر: تنتظرون أياماً صعبة! وكصحافي حاولت معه التوسع في هذه النظرة، لكنه في نهاية المطاف، وبعد أن قال إنه لا يستطيع الحديث أكثر، وضع سبابته في أذنيه واختفى في الزحام.

نحن نريد شرق أوسط كبيراً وجديداً ووسيعاً فعلاً، لأننا وحدويون بطبعنا، ولكننا نريده خالياً من أسلحة الدمار الشامل ومن إسرائيل.

أسعد العزوني

أهداف المشروع السرية والعلنية

خرجت علينا به أمريكا أوائل 2004، وبات هو الشغل الشاغل للجميع، ولم يكن صدفة، بل جاء كتبعة من تبعات انهيار الثنائية القطبية عام 1991، وإعلان بوش الأب ولادة القطب الأوحد.[1]

لم تكن القصة في الإعلان عن المشروع، بل كانت هناك تطبيقات له تمثلت بإعلان بوش الإبن بعد أحداث أيلول 2001، وأخطرها: من ليس معنا فهو ضدنا، وإقراره النمط الاستباقي في الرد. وجرى بحث المشروع في قمة الناتو في إسطنبول- تركيا 28\6\ 2004 تحت اسم مشروع الشرق الأوسط الكبير، وتعدى جغرافية الوطن العربي إلى باكستان وأفغانستان وإيران وتركيا و"إسرائيل"،[2].

هناك من يقول: إنه سيضم أيضاً الجمهوريات المسلمة في الاتحاد السوفييتي السابق، بمعنى أن العرب والمسلمين على حد سواء هم المستهدفون، أي أنه اعتماد الجغرافيا السياسية والاقتصادية، وهو بذلك يشمل 3 قارات وهي آسيا وأفريقيا وأوروبا، وتطل على شاطئ المحيطين الأطلسي والهندي، وعلى أربعة بحار هي الأبيض المتوسط والأحمر والأسود وقزوين، ولها حدود مع أكبر ثلاث تجمعات سكانية ومستهلكة روسيا والصين والهند.[3].

الرغبة الأمريكية الملحة تمثلت بقناعة أمريكا أنها عاجزة عن السيطرة على هذه المنطقة بأسلحتها، وإنما يتوجب عليها زرع قواتها هناك لضمان ثروات هذه المنطقة ودوام تسربها إلى أمريكا، إذ يوجد في السعودية نحو423 مليار برميل نفط، وفي العراق 112 ملياراً، وهما الأضخم، لذلك فإن الخليج يوفر ما بين 54-67٪ من احتياجات العالم النفطية.[4].

لم يأت اختيار أفغانستان هدفاً أول للغزو الأمريكي عام 2001 إثر انفجار البرجين عبثاً، بل كان مخططاً له لاحتواء أفغانستان والباكستان في ضربة واحدة، إذ أن أفغانستان تلقت الضربة ومن ثم تورطت الباكستان والعين الأمريكية على روسيا والصين بطبيعة الحال، ولا مساس بالهند.

كذلك الأمر نفسه بالنسبة للعراق وهو الهدف الثاني من الغزو الأمريكي ربيع 2003، للانطلاق إلى سوريا وبقية دول المنطقة، لكن المقاومة العراقية التي شُرِّفتُ بنشر بيانها الأول، مسجلاً سبقاً عربياً وعالمياً في هذا المجال، عطلت الحراك الأمريكي، إذ كانت سوريا ثانياً.

وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على غباء السي آي إيه والمعارضة العراقية التي انسحقت أمام أمريكا وأوروبا، واستعجلت الغزو الأمريكي مبشرة أن العراقيين سيستقبلون الغزاة بالورود!

ادعت أمريكا أن هدفها "المقدس" في هذا المشروع هو دمقرطة المنطقة!! وبالفعل شهدنا العديد من الفعاليات الأمريكية التي نظمت في تركيا ودول عربية عديدة منها الأردن، إذ قامت مجموعات أمريكية بزيارة المنطقة وعقدت ورشات العمل، لتدريبنا على الديمقراطية، وكأن الديمقراطية تشبه تصدير شاحنة من التفاح الأمريكي إلى المنطقة، وليس معقولاً أنه لم يدر بخلد الأمريكيين ومعهم الأوروبيين التابعين لهم، أن العملية عملية متكاملة لها شروطها وبيئتها وظروفها.

من أسباب غزو العراق، وكما تشدق بوش الإبن أنهم يريدون زرع الديمقراطية في العراق، لذلك جيشوا العالم التابع لهم وقاموا بغزو العراق، وجربوا فيه أحدث أنواع الأسلحة، وها هو العراق وبعد عشر سنوات من الاحتلال، ما يزال يرزح تحت الإرهاب والتقسيم والقتل والحرمان، بمعنى أن

الديمقراطيـة لا تـأتي بالطـائرات والـدبابات والأسـلحة المتطـورة، بـل بـالحوار والتطبيق العقلاني.

لا شـك أن العقـل الأوروبـي والأمريكـي المنفـتح، بـات يـؤمن بالخطـأ الأمريكــي في العــراق علــى وجــه الخصــوص، وأن الــدماء لا تُــرَوّي بــذرة الديمقراطية.

تحدث الأمريكيون في مشروعهم أيضاً عن الانتخابات الحرة، وقـد أعلنـوا فشلهم في ذلك عندما أصروا على منع د. إياد علاوي من ممارسة مهامه كـرئيس للوزراء بعـد فـوزه في انتخابـات العـام 2010، وتمسـكوا ببقـاء نـوري المـالكي، وبذلك يكون الأمريكيون قد كشروا عن أنيابهم للمـرة الألـف. ولا يغـيبنَّ عـن البال أن من أهداف احتلال العراق، إرباك الخليج وتهديد إيران!

حزمة أهداف هذا المشروع كبيرة، فهُم (أي الأمريكيون) دَعَوْا إلى ثورة في المعرفة من خلال بناء مجتمع معرفي في المنطقة، علماً بأنهم لم يقدموا شيئاً للشعب العراقي، بل حولـوا العـراق بمجملـه إلى حمـام سـباحة، ولكـنهم صـبوا الـدماء العراقية فيه بدلاً من الماء.

تحدثوا كذلك عن تحديث المناهج الدراسية بما يتواءم مع النظرة الإسرائيلية لواقع العرب والمسلمين، وحسـب توجهـات معهـد بحـوث ودراسـات الشـرق الوسط الإعلامية (ميمري)، ناهيك عن العبـث في الاقتصـاد والإصـلاح المـالي وجر المنطقة إلى كوارث اقتصادية، كما حدث في جنوب شرق آسـيا عـامي 97-1998، ومحاولة النيل من عرين النمور السبعة من خلال تحرير اقتصـادها، لكـن ماليزيا بقيادة رئيس وزرائها آنذاك مهاتير محمد نجت من الكارثة.[5]

الأمم المتحدة وهي تلك المنظمة التي يفترض فيها أن تكون أداة تنمية وسلام، شريكة استراتيجية لأمريكا في هذا المشروع، لأن الخطوة الأولى المعلنة فيه، بدأت في تقريري الأمم المتحدة للتنمية البشرية في المنطقة عامي 2002-2003، وصاغهما مع الأسف الشديد خبراء عرب، دون أرقام أو بيانات، وقد أعلنت د. ريما خلف مديرة برنامج الأمم المتحدة الإنمائي استياءها من توظيف تقارير الأمم المتحدة لأهداف أصحاب المآرب بعد تشويهها.

السؤال الملحّ: ماذا جرى حتى كُشف الستار عن هذا المشروع بعد العدوانين الأمريكيين على أفغانستان والعراق؟ الجواب الواضح وهو أن الوتدين الرئيسين قد تم دقهما في المنطقة، وبالتالي فإنهم كانوا يتوقعون أن عملية الانتشار الأمريكي هنا وهناك قد أصبحت تحصيل حاصل ولكن..!

لا أظن أنه من اللائق بمكان، السؤال: هل حقق المشروع الأمريكي أهدافه؟ فالجواب هو أن أمريكا حققت أهدافها السرية في تخريب وترويع وتدمير واستغلال الإقليم، ولعل أفغانستان والعراق لا يحتاجان لمزيد من شرح عن تداعيات الاحتلال الأمريكي لها، لكن الأهداف المعلنة للمشروع، والتي تتمثل في الديمقراطية والحرية والإصلاح والانتخابات الحرة، لم يبزغ فجرها، لأنها ليست مطلوبة في واقع الحال، فالغرب ذاته لا حرية ولا ديمقراطية مطلقة فيه خاصة في الأمور الاستراتيجية، والسؤال: لماذا كانت القوات الأمريكية تحظر قدر الإمكان نشر أخبار غزوها للعراق إبان العدوان، ولماذا اصطحابها لمجموعات إعلامية أمريكية تنشر الرغبة الرسمية؟؟

يبدو أن الحقيقة قد غابت عن أصحاب هذا المشروع، وأن جمرة كذبهم تجلت متوهجة في أهدافهم المعلنة وهي دمقرطة المنطقة! والسؤال هنا: أليسوا هم من زرع ورعى وحمى ومول حكام الدول القُطْرية العربية على وجه الخصوص؟

أليسوا هم من جاء بالرئيس الباكستاني الأسبق الجنرال برويز مشرف لتولي الأمور في باكستان والطلب منه العودة من لندن ربيع 2013 للترشح للانتخابات ولعب دور تخريبي كبير؟ أليسوا هم من زرع وحمى ومول ودعم إسرائيل التي تمارس دور الشرطي القذر في المنطقة؟

بالمناسبة، فإن حكام الدول القُطْرية يتذرعون بوجود إسرائيل لتعطيل قطار الحرية والديمقراطية، وحتى الشفافية والعدالة الإجتماعية، وبالتالي فإن التخلف العربي أصبح واقعاً ملموساً، بمعنى أننا لم نحرر فلسطين من الغزو الإسرائيلي، ولم نتمكن من تحرير أنفسنا من الهيمنة الغربية وسيطرة الحكام العرب الذين يعود معظمهم إلى الأصول اليهودية، وتوظفهم إسرائيل لتمرير سياساتها وتثبيت وجودها في المنطقة.

وهذا ما يبرر بالمنطق الملوس لماذا لم تنتصر الرسمية العربية على إسرائيل، على الرغم من أن الحركات الثورية سجلت سلسلة انتصارات مهمة، بدءاً من معركة الكرامة ربيع 1968، وعمليات المقاومة اللاحقة، وإجبار الجيش الإسرائيلي في الجنوب اللبناني على طلب وقف إطلاق النار للمرة الأولى عام 1974، وكذلك تصدي حزب الله للقوات الإسرائيلية صيف العام 2006، وتمريغ أنف إسرائيل بالوحل، ناهيك عن صمود غزة في عدواني 2008 و2012، على الرغم من أنها سقطت عام 1967 في سويعات!!

بالمناسبة فإن جيش الانقاذ العربي لم يذهب لفلسطين لتحريرها، بل لضمان إقامة دولة يهودية ومنع الفلسطينيين من المقاومة، ولا أريد القول إنه أسهم في شحن اللاجئين الفلسطينيين إلى الدول العربية التي قدموا منها!

كما أن حرب عام 1967 استغرقت ست ساعات فقط، ولكن ترتيب الأمور دولياً، استغرق ستة أيام، وفي حوار مع خبير النفط الفلسطيني في

الكويت م. فخري أبو شقرا آنذاك، فإن مسؤولاً بريطانياً كبيراً في شركة نفط الكويت أطلعه على نتائج حرب حزيران 1967 قبل وقوعها بأيام!!!

هنا أقول: إن أمريكا أرادت من هذا المشروع توجيه الضربة القاتلة للعرب والمسلمين، حتى لا تقوم لهم قائمة، وتبقى الهيمنة لإسرائيل التي توظف أمريكا والغرب لتحقيق أجندتها. ألم ترافق مجموعات يهودية مسلحة القوات الأميركية في غزو العراق؟؟ ألم يذهب اليهود إلى العراق بعد الاحتلال الأمريكي له، للتنقيب عن آثاره ونهب ما هو موجود في متاحفه؟

أليس وجودهم في العراق بات لافتاً للنظر وخاصة في الشمال؟ كما أنهم يشترون العقارات ويتملكون في بغداد التي أصبحت وكراً للموساد؟!

لو أن أمريكا أثبتت أنها مع شعوب المنطقة واتخذت موقفاً من إسرائيل، وقامت بالتنسيق مع المختصين العرب حول كيفية دمقرطة العالم العربي، لقلنا إن النوايا سليمة، لكن ما حدث هو أن هذا المشروع جاء إسقاطاً من الخارج وتضمن أهدافاً سرية.[6]

المحاولة السابقة للإعلان الأول للمشروع 2004، كانت عام 1993 حيث أعلنت إدارة الرئيس الأسبق بيل كلينتون، مشروعها الخاص بالشراكة بين أمريكا والشرق الأوسط عقب أوسلو تحت اسم "مشروع الشرق الأوسط الجديد" الذي روج له الثعلب الماكر صديق الحكام العرب الرئيس الإسرائيلي شيمون بيريز، من خلال كتاب له حمل العنوان نفسه، ودعت المبادرة إلى انشاء بنك إقليمي للتمويل بالمشاركة بين دول الخليج والبنك الدولي، لكن المشروع أفشل، فخرجت علينا أوروبا بالشراكة الأوروبية- المتوسطية (عملية برشلونة) عام 1995 بمشاركة 15 دولة أوروبية و12 دولة متوسطية هي: الجزائر، السلطة

الفلسطينية، قبرص، مصر، "إسرائيل"، الأردن، لبنان، مالطا، المغرب، سوريا، تونس، وتركيا، ودعت أيضاً إلى إنشاء صندوق إقليمي خاص.(7)

هنا يتوجب علينا توضيح أن سياسة أمريكا وعلى وجه الخصوص ما يتعلق بالشؤون الخارجية،لا يقرها رئيس بعينه، ديمقراطياً كان أم جمهورياً، بل هي جهد ترسمه وتحدده مؤسسات كثيرة، ويناط بالرئيس الذي يتربع على عرش البيت الأبيض تنفيذ تلك السياسة، ويعود الأمر لقوته ونجاحه في أداء مهامه، كي يضيف نقطة هنا، أو فاصلة هناك، بمعنى أن مشروع الشرق الأوسط الكبير لا يرتبط برئيس أمريكي بعينه، ولذلك لا بد أن نتذكر أنه رسم من قبل الصهيو- أمريكي د. بيرنارد لويس بُعَيْدَ اندلاع الحرب العراقية- الإيرانية سيئة السمعة والصيت، وأقره الكونغرس الأمريكي في جلسة سرية عام 1983، بهدف الإجهاز على العرب والمسلمين معاً، بعد أن لمسوا أثر وتأثير الحرب العراقية- الإيرانية عليهم، وما فعلته بهم. وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على الرغبة التدميرية المبيتة في الغرب عموماً تجاه العرب والمسلمين، بتحريض واضح من "إسرائيل" ولوبياتها في واشنطن مثل الايباك وميمري.

هناك من يقول: إن هذه الرغبة تعود إلى القرن التاسع عشر حين أنجزت أمريكا وحدتها الداخلية، ورغبت في توسيع مظلتها الخارجية لممارسة النهب والسطو والهيمنة، على منطقة الشرق الأوسط الغنية وذات الموقع الاستراتيجي.(8)

والغريب في الأمر أن أمريكا سجلت فشلاً ذريعاً في الهيمنة على أمريكا اللاتينية، بسبب الثورة البوليفارية المستمرة التي تضم القادة سيمون بوليفار، كاسترو، وتشافيز وآخرين، بينما نجحت في الهيمنة على العالمين العربي

والإسلامي، وهذا دليل واضح على أن مشروع الشرق الأوسط الكبير سينجح، لكن مبدأ مونرو الخاص بأمريكا اللاتينية فشل فشلا ذريعاً، ومن صور فشله نجاح مادورو وليّ عهد الرئيس الفنزويلي الراحل تشافيز في الانتخابات الأخيرة وفشل مرشح المعارضة وأمريكا هنريكي كابريليس.

على الرغم من أن أمريكا مؤخراً باتت تتغنى بالتعددية والحكم الرشيد، إلا أنها وفي مشروعها الذي نحن بصدده، ترغب بتكريس الفردية، وقد شجعتها، لأن جل أصدقائها من الحكام هم من الديكتاتوريين! وعلى الرغم من أنها وحدت ولاياتها تحت اسم واحد هو الولايات المتحدة وعددها 50 ولاية، فإنها تفزع من أي تفكير بالوحدة العربية، وهذا من أهم أسباب عدائها مع الرئيس الراحل جمال عبد الناصر، وإسهامها بفض الوحدة بين سوريا والعراق عام 1961.

لذلك نجد مشروعها في الشرق الأوسط يفضي إلى تفتيت المنطقة إلى مربعات صغيرة إثنية وعرقية غير متجانسة، وما يربطها ببعضها بعضاً أنها ستكون جميعاً مربوطة بوتد في تل أبيب.

هناك هدف معلن آخر من هذا المشروع وهو الانتخابات الحرة، ولعل كل المشاهد الانتخابية في المنطقة تؤثر على عدم جدية أمريكا في هذا المجال وأول البصمات، منع د. إياد علاوي من تسلم منصب رئاسة الوزراء على 2010.

كما أن السفير الأمريكي في عمان ارتكب مخالفة كبيرة، عندما أشاد بنتائج الانتخابات الأردنية الأخيرة (2013)، على الرغم من أن الجميع اشتكوا من

قانونها وآلياتها وما تخللها من مخالفـات، ناهيـك عـن مقاطعـة جماعـة الإخـوان المسلمين وقوى أخرى لها.

وبحسب ما قاله المصلح الديني الإنجليزي جون ويكليـف في القـرن الرابـع عشـر، والـذي أصـبح قانونـا في الفكـر الغربـي فـإن الإحسـان يجـب أن يبـدأ بالذات.[9]

جاء هذا القول تعليقاً علـى حـرص أمريكـا علـى تزويـد الـدول الناميـة بتقنيات التزوير الحديثة في الانتخابات، مـن خـلال تقـديمها خـدمات تتمثـل في مراقبة الانتخابات وتسـجيل النـاخبين، علمـاً بـأن غالبيـة المـراقبين الأمـريكيين يعملون في مؤسسة "فريدوم هاوس" اليمينية الرجعية.

لا شك أن سجل الانتخابات الأمريكية يشهد من السوء أكثـر مـن نظـيره العربـي وفي دول العــالم الثالــث، إذ أنهــم اسـتبعدوا 1.9 مليــون صــوت في الانتخابات التي فاز فيها جورج بوش الابن، وهم من أصـول أفريقيـة، ناهيـك عن ورقة الانتخابات المعقدة التي يشـرف عليهـا الساسـة والمتنفـذون في أجهـزة الحكـم، وعـدم توحيـد إجـراءات الانتخابـات الأمريكيـة وتفاوتهـا بـين ولايـة وأخرى. وقد رفضوا في انتخابات بوش الابـن إعـادة فـرز أصـوات في فلوريـدا بسبب تعارض ذلك مع أهداف الجمهـوريين آنـذاك، وأولهـا تثبيـت فـوز بـوش الصغير.

كما أنها نظمت انقلاباً عسكرياً دموياً ضد نظام الرئيس التشيلي سـلفادور أليندي عام 1973 لأنه أراد توسيع رقعة الديمقراطيـة لصـالح الفقـراء. وقامـت بفرض حصار اقتصادي على نيكارغوا عام 1988 للتضيق على الساندينيين بعـد

فوزهم في انتخابات نزيهة بشهادة المراقبين الدبلوماسيين الأمريكيين الذين راقبوا تلك الانتخابات.

ولنا في ملف الصراع الكوبي- الأمريكي والفنزويلي- الأمريكي خير مثال على عداء أمريكا للديمقراطية، إذ أنها ناصبت فيدل كاسترو العداء، وكذلك حاولت العبث في فنزويلا ضد الرئيس الراحل هوغو تشافيز، ونظمت انقلاباً فاشلاً ضده عام 2002.

عندما نظمت السلطة الفلسطينية أول انتخابات رئاسية لها عام 1996، وفاز الرئيس الراحل ياسر عرفات، وبإشراف دولي ترأسه الرئيس الأمريكي الأسبق جيمي كارتر الذي شهد بنزاهتها، ثارت ثائرة إدارة بوش الصغير، لأن عرفات التزم بموقف الشعب الفلسطيني في رفضه للاستسلام لإسرائيل.

بصراحة، فإن أمريكا اعتمدت نظرية "من ليس معنا فهو ضدنا،" وإن الفعل الديمقراطي والإصلاحي هو ما يتوافق مع الهوى الأمريكي، لذلك نرى أن جميع أصدقاء أمريكا هم من الديكتاتوريين.

الديمقراطية الأمريكية في العالم تتمثل في علميات اغتصاب الأرض والفتيات اليابانيات، ومعتقل غوانتنامو وسجن أبو غريب في العراق، وفي مجازر العامرية والفلوجة والطائرات بدون طيار في الباكستان واليمن ودعم "إسرائيل"، وتحايلها على القانون الدولي بحسب شهادات "هيومان رايتس ووتش".

في العام 2003 أصدرت منظمة "أمنستي" تقريراً يدين قيام أمريكا بإلغاء مساعدات عسكرية لخمس وثلاثين دولة رفضت ضمان المواطنين الأمريكيين أمام محكمة الجنايات الدولية. وهي تحث على فصل الإعلام عن الدولة، على

غرار فصل الدين عن الدولة، وأن يغلب الطابع المحلي على وسائل الإعلام المحلية، وهذه خطة جهنمية لفصل الرأي العام المحلي عما يدور في الخارج، وحجب الممارسات الأمريكية التي تجري هنا وهناك عن الرأي العام العالمي.

لذلك نرى الإسهام الأمريكي في كسب العديد من الإعلاميين أو حتى أشباه الإعلاميين العرب على وجه الخصوص ودعمهم مادياً، وتشجيعهم على الانفصال عن نقاباتهم ومؤسساتهم المحلية القائمة، حتى يتسنى لهم ممارسة الدور المطلوب منهم، وهو غسل أدمغة شعوبهم، وقد حاولت تأسيس وسائل إعلام مرئي ومسموع ومقروء جديدة، لكنها فشلت في أداء الرسالة المطلوبة منها بسبب وعي الشعوب العربية.

حسب المخطط المرسوم لنا، فان الشرق الأوسط الجديد، سيكون على نفس شاكلة جغرافية مقسمة إلى كانتونات سياسية متضاربة، كما أنه سيكون كما أسلفنا يعج بوسائل الإعلام المرئي والمسموع والمقروء، إلى درجة أن كل حارة عربية سيكون لها مذياعها وتلفازها وصحيفتها الخاصة بها، وكذلك، سنرى منظمات المجتمع المدني وهي تفرخ المنظمة تلو الأخرى بدعم من أمريكا والغرب بشكل عام، بهدف فصل الجميع عن الجميع، وإشاعة روح الانفصال لتبقى أمريكا هي القوية الموحدة، والتي يأتيها الجميع طالبين منها العون والنجدة وهم يحملون الهدايا والأعطيات، وهنا لن ننسى "إسرائيل" التي تحضر نفسها للانفصال عن أمريكا.

كم تعج منطقة الشرق الأوسط بالثروات! ولست مبالغاً إنْ قلت إنّ الشرق الأوسط أصبح أرضاً للإيجار تستغله أمريكا لتخزين قواتها المسلحة

وإسرائيل لدفن نفاياتها. وقد غاص الكاتب الأمريكي وليم أركن في هذا الموضوع في كتابه "الأسماء المشفرة" الصادر عام 2005.

لا بد من الوقوف ملياً عند دور هيئة المعونة الأمريكية "يو- إس- إيد" في مجال الدعم الأمريكي المقدم لدول العالم التي تنسجم مع المطالب الأمريكية، علماً بأن ما تقدمه هذه الدول لا يوازي ما تتقاضاه، فعلى سبيل المثال وعدت إدارة بوش الصغير الأردن بتقديم ثلاثة مليارات دولار دعماً للحكومة الأردنية، في حال تقديم تسهيلات لغزو العراق، لكن المفاجأة كانت تقديم وزير الخارجية والدفاع الأمريكي السابق كولن باول مبلغ 750 مليون دولار فقط خلال زيارته للأردن بعد غزو العراق، معظمها جاء على شكل معدات أمريكية معطوبة.

قدم الولايات المتحدة ليست قدم خير، فالجشع سمتها والطمع ديدنها، وقد أسهمت في تدمير اقتصاديات دول أوروبا الشرقية، بعد أن ساعدتها على الانفصال عن الاتحاد السوفيتي بهدف تدميره، وها هي الآن تمارس الشيء ذاته في الشرق الأوسط، الذي تتسع فيه مساحات الفقر والحرمان، بسبب سياسات أمريكا والنظم التي تدعمها، والساعية إلى تصفية قطاع الدولة الاقتصادي.

وهذا بدوره يهدف إلى خصخصة قطاع النفط في الوطن العربي وإيران وحتى فنزويلا، ويذكر أن من أسباب العداء الأمريكي للراحل تشافيز هو سيطرة الدولة على النفط، كما أن معاداة أمريكا للرئيس الرحل صدام حسين جاءت لقيامه بتأميم النفط، كما أنها وقفت ضد مصدّق في إيران لأنه حاول تأميم النفط الإيراني، ولن نغفل أن أوروبا هي الشريك الأساسي لكن الضعيف التابع للولايات المتحدة في النظرة إلى الشرق الأوسط.

قسّمتنا بريطانيا بعد انهيار الخلافة العثمانية إلى دويلات قُطْرية تابعة، اتسمت بالحكم العسكري والتغول الأمنّي والتسبيح بحمد السلطان، بموجب معاهدات سايكس بيكو وهدنة رودس عام 1918 ومعاهدة سيفر 1920، وها هي أمريكا التي شطبت بريطانيا العظمى وتربعت على عرش العالم، تعمل على تقسيمنا إلى كانتونات إثنية وعرقية تحت اسم الشرق الوسط الجديد.

وبموجب ذلك، أصبح الشرق الأوسط مرتعاً للدول الأجنبية، وقواتها التي تقاسمت الكعكة، وبدأت بنهب الثروات العربية، ناهيك عن قيامهم بزرع "إسرائيل" مثل السرطان في الوطن العربي، وما تزال قائمة بسبب طبيعة تقسيمات سايكس- بيكو، والغريب في الأمر أن مشروع الشرق الأوسط الجديد يأتي أيضاً لصالح إسرائيل.

والأغرب من ذلك، أن حكام الدول العربية أبناء سايكس- بيكو، يلعبون الدور نفسه خدمة لأسيادهم في الغرب، على الرغم من أن أمريكا والغرب لا يحميان أحداً يهيأ لهما أنه بدأ يفكر بمعارضتهما، أو أنه رفض تنفيذ أجندتهما ولنا في شاه إيران المقبور وحسني مبارك وبن علي والقذافي خير دليل على ذلك.

لقد انتهجت أمريكا والغرب كل السبل لإنهاك الشرق الأوسط قبل الإجهاز عليه بالتقسيم الإثني، وأول الضربات وأخطرها هي الحرب العراقية- الإيرانية التي استمرت ثماني سنوات، وتمنينا لو أنها ما وقعت، وقد التهمت الأخضر قبل اليابس، وقسمت العرب والمسلمين على حد سواء بين مؤيد لهذا الطرف ومعاد لذاك.

تبع ذلك ضربة قاصمة للعراق بتسهيل دخول قواته الكويت في أوائل شهر آب 1990، ومن ثم فرض حصار جائر عليه لإنهاكه أكثر. وبعد ذك جاء دور شيطنة إيران في محاولة للإجهاز عليها، لكن إيران ليست دولة عربية تسلم بمثل هذه السهولة، فها هي تدخل النادي النووي بجدارة الثبات على موقفها، على الرغم من عواء الأعداء.

كان الهدف الأمريكي على وجه الخصوص هو الاحتواء المزدوج لكل من العراق وإيران، ولكن هذه الخطة فشلت، ويتحمل عناد إيران الإيجابي جزءاً من فشل هذه الخطة، لذلك تحولت الجهود الأمريكية إلى فصل العراق عن إيران، ليكون الاحتواء فردياً، ولكن بعد الإنهاك القاتل، وقد نجحوا مع العراق ودمروه باحتلاله، وهاهم يخططون لفعل ذات الدمار في إيران، ولكن الأمر هناك مختلف، فـ"رؤوس الفرس" قاسية، وليست كرؤوس العرب.

لا شك أن اصرار إيران على نيل عضوية النادي النووي عمل على تأخير التعامل العسكري معها، ولكن سقوط النظام السوري سيكون المقدمة لمحاولة العبث معها.

عموماً أخطأنا في رسم خريطة التعامل مع إيران وجعلنا منها عدواً، مع أننا لا نستطيع مقاومة التاريخ والجغرافيا، وكان يتوجب على إيران عدم إحتلال جزر الإمارات العربية الثلاث، حتى لا تكون مسمار جحا المسموم في علاقاتنا مع إيران، مع أن العرب لم يكترثوا عملياً لضياع فلسطين والقدس، وهنا أستطيع القول واثقاً، إننا نحن العرب نعمل على تسهيل تنفيذ المخطط الصهيو- أمريكي المسمى "الشرق الأوسط الجديد"!

فعلى سبيل المثال كان على الحكماء العرب منع تطـور النـزاع العراقـي- الكويتي للوصول إلى الاجتياح، الذي كان بمثابة بوابة جهنم التي شرعت أبوابهـا لحرق العرب أجمعين، وما نزال ندفع الثمن حتى يومنا هذا!

وللحقيقة يجـب التطـرق إلى دور أمريكـا في تفجـير الأزمـة، بـين العـراق والكويت إذ أن السفيرة الأمريكية الآنسة غلاسبي، التقت يوم الأربعاء الأول من آب 1990 بالرئيس العراقي صدام حسين وقالت له بالنص: "فخامة الـرئيس، إن بلادي أمريكا تنظر إلى ما يجري بـين العـراق والكويـت، علـى أنـه شـأن عربـي داخلي، ولا دخل لنا به..!" وهذا يعني تشجيعاً للرئيس صدام باجتياح الكويـت، ليتضح قبل نهاية اليوم الأول من الاجتياح أن أمريكا بدأت تعد العدة لمواجهـة العراق!! وجدير بالذكر أن غلاسبي اختفت بعد ذلك، وعثر عليها في إسرائيل!!

يبدو أن التحـول في منطقـة الشـرق الأوسـط، ومجـيء الثـورة الإسـلامية الإيرانية على أنقاض الشاه المقبور، وقيام الرئيس الراحل صـدام حسـين بتـأميم النفط، ومن قبلهما مرحلة الزعيم الخالد جمال عبد الناصر، قـد أربكـت أمريكـا التي تعمل وفق نظرية الاحتمالات، بحيـث إنهـا لم تعـد في مـأمن علـى حكامهـا الديكتاتوريين الذين ترعاهم في المنطقة، فأرادت إعادة تنظيم جغرافية وديمغرافية الشرق الأوسط، حسب أهدافها، ولضمان عدم رؤية حـالات تمـرد كتلـك الـتي تحدثنا عنها سابقاً.

كما أن أمريكا تريد بذلك منافسة الاتحاد الأوروبي الـذي يجـاور المنطقـة، بخلاف واشنطن البعيدة، إضافة إلى أنها ترغب بكبح جماح الصين الصـاعدة نحـو العرش العالمي كقوة واحدة وحيـدة علـى أنقـاض أمريكـا. وهـي تريـد في ذات

الوقت التحكم في الإقليم كسوق استهلاكي حصري لها ولمنتجاتها، وتدرك في الوقت نفسه أن القوى العالمية ما تزال تشعر بضعف أمامها.

أحسن البوليفاريون صنعاً عندما عملوا على فض الاشتباك مع أمريكا الشمالية، التي كانت تهيمن على أمريكا الجنوبية لتستقوي بهذا التحالف القسري على العالم، حيث يبلغ عدد سكان القارتين 800 مليون نسمة، وبقيمة انتاج تصل إلى 11 تريليون دولار، وهذا يعني لجم الشعور الأوروبي الوحدوي.[10] ولا يخفى أن غزو العراق الذي جاء بالاتفاق بين بوش الصغير ورئيس وزراء بريطانيا آنذاك طوني بلير كان ضربة قاصمة في ظهر الوحدة الأوروبية.

بعد مبدأ مونرو، جاء مبدأ بول نيتز الذي يدعو لخيارات الغزو والمحافظة على الثروة التى ثبتت أمريكا في طليعة قوى العالم الكبرى[11]. ومعروف أن نيتز كان رئيس هيئة تخطيط الدولة عام 1948. ولا نكشف سراً إن قلنا إنَّ واشنطن هددت عام 1973 باحتلال دول الخليج العربية، لضمان تدفق النفط إلى أمريكا.

كما أسلفنا سابقاً، فإن أمريكا أغرقت المنطقة باتفاقيات التعاون الأمني والقواعد العسكرية التي باتت الصحراء العربية تعج بها، وإشغال الفضاءات العربية بالتواجد الأمريكي، وذلك بهدف جر الشرق الأوسط إلى الحضن الأمريكي طائعاً في نهاية المطاف، ولنا في "القاتل الاقتصادي" خير دليل.

الخطوة الأولى التي تعمل واشنطن على تحقيقها قبل ضربة التفتيت، هي إعلان المنطقة منطقة تجارة حرة معها، وإعلان الولاء الكامل لها بعد انهيار

الاتحاد السوفيتي، وللتخريب على أوروبا والصين. وسيتم إلغـاء جامعـة الـدول العربية، وتأسيس جامعة شرق أوسطية جديدة علـى أنقاضـها، تكـون "إسـرائيل" عضواً مهيمناً فيها.[12]

هناك تحولات كبرى حدثت في المنطقة، قبل الحديث عن مشـروع الشـرق الأوسط الجديد، وهي الحروب العربيـة الإسـرائيلية المسـرحة وآخرهـا حـرب رمضان 1973 التي كانت حرب النصر الهزيمة، وانتهت بتوقيع السادات معاهـدة كامب ديفيد المذلة عام 1979، وكـذلك احـتلال بـيروت عـام 1982 بعـد طـرد قوات م.ت.ف. من لبنان على مـرأى ومسـمع مـن القريـب والبعيـد، وكـذلك الحرب العراقية- الإيرانية 1980، واجتياح القوات العراقية للكويت عام 1990. تبع ذلك تدفق الجيوش الأمريكية إلى منطقة الخليج، في رسالة صريحة أن بمقدور امريكا تنفيذ مشرعها بالقوة.

ومن ثم مؤتمر مدريد 1991 بعـد إخـراج العـراق مـن الكويـت، وتوقيـع اتفاقيات أوسـلو 1993 بـين م.ت.ف. وإسـرائيل، واحـتلال أفغانسـتان 2001، وإحتلال العراق 2003، وإغراق الجزائر بحـرب أهليـة عـام 1992، واخـتلالات أخرى في السودان وليبيا وشبه الجزيرة الكورية والباكستان.[13]

بعد كل هذه التحولات، شهدنا تكليف إسرائيل بوضع أول لبنة في أساس مشروع الشرق الأوسط الجديد صيف العام 2006، بعد فشل أمريكا في الانتقال إلى سوريا بعد احتلالها العراق، بسبب المقاومة العراقية، وقالـت زيـرة الخارجيـة الأمريكية السابقة كونـداليزا رايـس: "الآن بـدأ تنفيـذ مشـروع الشـرق الأوسـط

الجديـد". لكـن الله سـلّم، وصـمد حـزب الله ومـرغ أنـف إسـرائيل في أرضـية الإصطبلات.

النفط و"إسرائيل" هما سببا تفتيت المنطقة واقامة مشـروع الشـرق الأوسـط الجديد الإثني، المرتبطة كانتوناته بـ"إسرائيل"، وقد استعملت أمريكـا كـل الطـرق القذرة والوسائل المحرمة لتبرير تدخلـها في هـذه المنطقـة، والغريـب في الأمـر أن الأمريكيين اعترفوا بعد احتلالهم العراق وتدميرهم له، أنه لم يكن يمتلك أسـلحة دمار شامل، وأن هذا الادعاء كان لزوم فرض الأمر الواقع، وقال وزير خارجية ودفاع أمريكا السابق كولن باول: إن "الحرب على العراق كانت مبررة حتى مـن دون أسـلحة دمـار شـامل، وأن الـرئيس بـوش يـدرك نوايـا صـدام في الشـر والعدوان".[14]

باحتلال العراق، انتقل أساس الشرق الأوسط الجديـد للمـرة الثانيـة مـن لبنان إلى العراق، وها هو العراق يعيش هاجس التقسيم الإثني.

لم تكن الدمقرطة هـي الهـدف القريـب أو البعيـد لآبـاء مشـروع الشـرق الأوسط، ويروي د.كلوفيس مقصود ممثل الجامعة العربيـة السـابق لـدى الأمـم المتحدة أنه سأل وزير خارجية أمريكا الأسـبق "العزيـز" هنـري كيسـنجر: لمـاذا لا تنشرون الديمقراطية في البلدان العربية؟ فأجابه كيسنجر بإبتسامة خبيثة: هل نحن أغبياء إلى هذه الدرجة؟ لماذا ننشر الديمقراطية في الدول العربيـة الغنيـة بـالنفط؟ نحن قادرون بانقلاب عسكري أن ننصب الحاكم العربي الذي يسيطر على شعبه بالقبضة الحديدية وينفذ أوامرنا ومطالبنا بحذافيرها؟؟!!![15]

المصادر والمراجع

1- مشروع إصلاح..أم تبعية ؟..قراءة في مشروع الشرق الأوسط الكبير الأمريكي، نعيم الأشهب ومازن الحسيني، ص5.

2- المصدر ذاته، ص7.

3- المصدر ذاته، ص10.

4- المصدر ذاته، ص11.

5- المصدر ذاته، ص23.

6- المصدر ذاته، ص30.

7- المصدر ذاته، ص33.

8- المصدر ذاته، ص43.

9- المصدر ذاته، ص45.

10- سقوط بغداد... والتحولات الكبرى أولى معالم الشرق الأوسط الكبير- جعفر عتريسي، ص، 145.

11- المصدر ذاته، ص157.

12- المصدر ذاته، ص163.

13- المصدر ذاته، ص171.

14- المصدر ذاته، ص 175.

15- مشروع الشرق الأوسط الكبير- الحقائق والأهداف والتداعيات.. عبد القادر رزيق، ص، 17.

خريطة الدم الأمريكية.... دور إسرائيل في رسمها

معـروف أن إسـرائيل هـي الشـريك السـتراتيجي للغـرب بكـل مكوناتـه الاستعمارية، ولذلك بات لزاماً عليها أن تكون حاضـرة، ومحركـة لأي مشـروع يلحق الضرر بالوطن العربي، وبالتأكيد تكون هي المستفيدة، فبعد حرب الخلـيج الأولى، أصدر الرئيس الإسرائيلي الحـالي شـيمون بيريـز كتابـاً بعنـوان الشـرق الأوسط الجديد، ويبدو أنه فعل ذلك تقليداً لرئيس الوزراء الإسـرائيلي الأسـبق بن غوريون الذي وضع مشـروعاً عـام 1953 بالتعـاون مـع أمريكـا وبريطانيـا، لتفتيت الوطن العربي.

يقول الباحث العراقي عبد الوهاب محمد الجبوري في دراسة له، أنه في عام 1972 قام بترجمة وثيقة عبرية، تتحدث عـن تقسـيم العـراق إلى ثـلاث دويـلات ضعيفة في العراق: كردية في الشمال وسنية في الوسط وشيعية في الجنوب.

كتب الصحفي محمد بوري في صحيفة أيدينليك التركية مقـالاً في 16-2-2013 عن دور إسرائيل في مشروع الشرق الأوسط الجديد وعـن هيمنتهـا علـى القرار الأميركي والآمال التي تعقدها على المشروع لضمان استمراريتها. ويبحث عن جواب لسؤال ما إذا كان المشروع قد اقترب من السقوط على أبواب العراق وسوريا. وما هي حقائق تورط حكومة حزب العدالة والتنمية في هذا المشروع.

وحول علاقة إسرائيل بأمريكا وما تكبدته الولايـات المتحـدة مـن خسـائر مادية ومعنوية بسبب تبنيها لإسرائيل، ورد في مقال بعنوان (ما بعد أميركا)، كتبه عضو هيئة رسم السياسة الأميركية "زبجنيو بريزنسكي" أنه مع انهيـار أمريكـا فـإن الوضع الراهن في العالم كله ستغير، وبالتالي فإن بقـاء الـدول الضـعيفة المجـاورة للدول القوية مهدد بالانهيار وستكون «إسرائيل» ضمن هذه الدول أيضاً.

منذ إعلان ولادة ما سمي بـ (إسرائيل) عام 1948 وحتى الآن (65 سنة)، وهي في حالة حرب مستمرة. إذ لا توجد دولة على وجه الأرض بقيت كل هذه الفترة على الرغم من الحصار والضغط الخارجي. وهذا الضغط الخارجي ليس ناجماً عن الحصار العربي ومواقف العرب من القضية الفلسطينية فقط، بل إن هناك ضغطاً تمارسه شعوب العالم سببه النظرة إلى «إسرائيل» على أنها شريكة الولايات المتحدة الأمريكية في ممارساتها الإمبريالية.

نصف الأراضي «الإسرائيلية» تقريباً عبارة عن صحراء. وإن عدم التوصل إلى حل للقضية الفلسطينية بدأ يشكل توتراً للشعب الأمريكي وفاتورة اقتصادية كبيرة أيضاً.

ويمكننا القول إن لكل مستوطن «إسرائيلي» وطناً ثانياً غير «إسرائيل»، وذلك لأن «إسرائيل» تأسست وكبرت عن طريق الهجرات الخارجية. وعندما تسوء الحالة الاقتصادية لن يتردد هؤلاء الناس قي مغادرة بلادهم. وفي «إسرائيل» هناك أقلية غير يهودية في حالة نمو مستمر تتجاوز الـ30٪.

هي نسبة تكبر بشكل متسارع. وهذا الميل نحو تغير ديمغرافي يهدد بشكل مباشر نظام الحكم الذي يعتبر نظام «الديمقراطية الإسرائيلية». هذا المسار سيجبر إسرائيل على الحل مع فلسطين. وبالنسبة للمواطنين العرب الذين يشكلون كثافة من حولها فمن الممكن أن تنفذ إبادة جماعية واسعة النطاق ضدهم في الدول المجاورة مثل (سوريا ولبنان)، أو أن تسعى لاستقدام مستوطنين إضافيين «إسرائيليين» لتوطينهم.

هناك احتمال وصول ظاهرة معاداة السامية، والتي ظهرت منذ حوالي 10 سنوات ومازالت في ارتفاع مستمر، إلى مكانة من يستطيع التأثير على السياسة الأميركية، أدى إلى توجه الطبقات الراسمالية من الأصول اليهودية، التي تحكم

الولايات المتحدة الأمريكية، من أباطرة الإعلام والاقتصاد، لوضع خطة الشرق الأوسط الجديد. إن أهداف مشروع الشرق الأوسط الكبير تتطابق مع المصالح الأميركية في العالم في قطاعات الاقتصاد والطاقة والسلاح، وإن أمن إسرائيل في المنطقة يتطابق مع تأمين سيطرة واستمرارية هيمنة العولمة.

بعد احتلال أفغانستان والعراق وعجز إسرائيل عن القضاء على حزب الله في لبنان وحركة حماس في غزة، بدأ المشروع في مرحلته الثانية بضرب الاستقرار في المنطقة عن طريق ما يسمى «بالربيع العربي». وتم خلع الرئيس التونسي زين العابدين بن علي الذي هرب هو وحاشيته إلى العربية السعودية، وأطيح بنظام معمر القذافي وجُرت البلاد إلى الفوضى، كذلك أُسقط حسني مبارك على الرغم من أنه كان حليفاً استراتيجياً لأمريكا وإسرائيل والقائد الثاني للعالم الإسلامي، ووقعت البلاد في حالة فوضى فظيعة غير معروفة المصير.

انتقلت النار إلى العديد من الدول العربية، بعضها استوعب ما جرى مثل غالبية دول الخليج، وبعضها الآخر مثل البحرين ما يزال يواجه الحراك وتطوراته، وما تزال المعارك في سوريا على أشدها على الرغم من الدمار والتدمير.

في مقابلة أجريتها مع البروفيسور كيث واطنبو- أستاذ الإسلام الحديث في جامعة كاليفورنيا والباحث في مركز سابان في عمان، ونشرت في جريدة الراية القطرية يوم 27-4-2013، قال: إن سوريا تشهد حرباً عالمية على أراضيها، وإن مآلها إلى التقسيم. ولعل علاقتها بإيران وحزب الله هي السبب في إشعال فتيل الفتنة داخل البلاد على شكل مظاهرات داخلية ضد النظام. وخلاصة القول، فإن إسرائيل استطاعت دون أن تطلق رصاصة واحدة أن تنزع استقرار المنطقة

بأكملها وأن تجر كل بلدان المنطقة إلى فوضى عارمة بصرف النظر عن علاقتها بإسرائيل.

الحديث بات قوياً بالنسبة للأكراد وضرورة مكافأتهم على زعزعتهم استقرار العراق منذ سبعينيات القرن المنصرم، ونجاح شاه إيران في توظيفهم لصالح إسرائيل، وقد كوفئوا فور احتلال العراق بإقامة كيان لهم في كردستان العراق، وها هو الحديث يكبر عن دولة واسعة لهم تضم أجزاء من تركيا وإيران وسوريا إضافة إلى شمال العراق تتسع لنحو خمسين مليون نسمة.

السؤال المطروح هو: ما الدور الذي ستلعبه هذه الدولة؟ وهناك أتراك يتخوفون من التهدئة التي حدثت مؤخراً بين الحكومة التركية والمتمردين الأكراد بعد رسالة زعيمهم في السجن عبد الله أوجلان الذي دعا فيها مقاتليه إلى وقف إطلاق النار والانسحاب من حيث أتوا.

يذكر الجبوري أن الأحداث اللاحقة التي شهدتها المنطقة العربية وعملت على تفجير الأوضاع بصورة دراماتيكية، بعد حربي العراق وأفغانستان، ودخول المنطقة العربية في مرحلة (الفوضى الخلاقة) التي رسمها المحافظون الجدد بالتعاون مع الخبراء الاستراتيجيين الإسرائيليين، لتفتيت المنطقة إلى كانتونات إثنية وعرقية، تلعب فيها (إسرائيل الكبرى) دور المركز، بما يسمى مشروع (الشرق الأوسط الجديد) أو الكبير، لا فرق.

يعد مصطلح الفوضى الخلاقة* أو العمى الخلاق (Creative chaos) أحد أهم المفاتيح التي أنتجها العقل الاستراتيجي الأميركي في التعامل مع قضايا الوطن العربي، وصاغته النخب الأكاديمية وصناع السياسة في الولايات المتحدة بعناية فائقة، ولا شك في أن هذا المصطلح ينضوي على أحد أخبث المقاصد

الكامنة في صلب مصطلح (الفوضى الخلاقة)، ولا أدري أي إبليس استطاع جمع الفوضى بالخلق والإبداع؟

أورد الجبوري في دراسته بعنوان "خريطة الدم العربية"، أن مايكل ليدين- العضو البارز في معهد (أمريكا انتربرايز)- هو أول من صاغ مفهوم (الفوضى الخلاقة)، أو (الفوضى البنَّاءة)، أو (التدمير البنَّاء)، في معناه السياسي الحالي، وهو ما عبر عنه في مشروع (التغيير الكامل في الشرق الأوسط)، الذي أعده عام 2003، حيث ارتكز المشروع على منظومة من الإصلاحات: السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، الشاملة لكل دول المنطقة، وفِقْاً لاستراتيجية جديدة تقوم على أساس الهدم، ثم إعادة البناء.

جاء في كتاب شيمون بيريز وعنوانه (الشرق الأوسط الجديد)، أنّ التكامل الإقتصادي سيتحقّق بين المنطقة العربية وإسرائيل، وسيتم التزاوج بين الذكاء الإسرائيلي في الإدارة، والأيدي العربية الرخيصة المستخدمة في التصنيع، والثروة العربية المتكدّسة من بيع البترول.

لا شك أن هذه المقولة تنطوي على إهانة بالغة للعرب، وهي تصور الإسرائيلي بالذكي والعبقري، فيما تعطي العربي لقب الرخيص والغبي، وهي لا تستثني عرب النفط، لأن بيريز يرسم في كتابه على أموال النفط المكدسة، وربما لم يدر بخلده أن العرب خسروا نحو 4 تريليونات دولار في الأزمة المالية العالمية الأخيرة.

أحيلت هذه الخطط إلى المؤتمر الاقتصادي للشرق الأوسط وشمال أفريقيا" المينا" لتطوير الفكرة وشرعنتها، لتبدأ إسرائيل باستغلال العالم العربي ونهب ثرواته واستغلال عماله والسيطرة على رساميله، ولم لا وقد أصبحت إسرائيل

هي الدولة المركز الوحيدة في المنطقة التي تأمر فتطاع. وأصبح التحالف معها طوق نجاة متخيل لدى بعض الذين لم يتعلموا من درس مبارك وبن علي؟!

ولسان حالهم يقول: هنيئاً لنا بالخنوع العربي واتساع الأسواق العربية الإستهلاكية. لكن الانتفاضة الفلسطينية عرقلت السير في تنفيذ المشروع وجرى تجميده إلى حين.

كانت إسرائيل، وما تزال، تضع نصب عينيها الاستفادة من النفط العربي والمياه التركية، فهي صاحبة مشروع أنابيب السلام التي لم تنفذ مع تركيا.

على هامش جلسات مؤتمر السلام الأزرق الذي نظمته مجموعة التطلعات الاستراتيجية "الفورسايت" في إسطنبول في شهر آذار 2013، أخبرني المستشار المائي في الخارجية التركية يافوس جبكجو أن إسرائيل هي صاحبة مشروع أنابيب السلام، وأن بلاده رفضت الاستجابة لهذا المطلب الإسرائيلي.

وقال في مقابلة أجريتها معه: "إن هناك مقترحين حول هذه الفكرة، الأول كان من قبل الرئيس الأسبق تورغوت أوزال عام 1986، وهو مقترح أمريكي جرى تعميمه من قبل إحدى الشركات الأمريكية، لإقامة أنابيب من تركيا عبر سوريا والأردن والسعودية ومسقط وتنتهي في مكة المكرمة والمدينة المنورة، لكن ما علمناه لاحقاً أن نهايته ستكون في إسرائيل، مع أن المشروع في حيثياته لم يذكر كلمة إسرائيل، وتبين كذلك اقتراح بتزويد إسرائيل بمليوني متر مكعب سنوياً، لكننا رفضناه، كما علمنا أن علينا تزويد إسرائيل بالمياه من خلال أنابيب خاصة، ولم نقبل أيضاً.

أما المشروع الثاني فكان عام 1995 حيث جاءنا جنرال إسرائيلي متقاعد من الجيش والموساد يدعى "بواز واشتل"، وقدم مقترحاً في مؤتمر دولي بإسطنبول

يدعو لإقامة مشروع أنابيب السلام من نهري سيحان وجيحان في منطقة أضنا، حيث يتم مد أنبوبين عبر سوريا وينتهيان في الجولان، وبعد ذلك يتحولان إلى قناتين مفتوحتين بعرض 15 متراً وعمق 20 متراً وطول 500 كم، إلى إسرائيل، وقد كنت مشاركاً في ذلك المؤتمر، وقد رفضنا ذلك المشروع.

الغريب في الأمر أنني صادفته مرة أخرى في مناسبة دبلوماسية في تركيا أيضاً وكان يوزع على الحضور ملف المشروع، وقد حاول إعطائي ملفاً لكنني رفضت، وطلبت منه عدم إعطاء الملف لأي من المشاركين ولم يتم طرح هذا المشروع فيما بعد."

بعد نجاح أمريكا في تجييش العالم "الحر" وخداع الجميع بما هو موجود في العراق من أسلحة كيماوية، واستغلال الأمم المتحدة للترويج لذلك، على الرغم من أن باول الذي شغل آنذاك منصب وزير الخارجية ولعب على مسرح الأمم المتحدة جميع التمارين الأمريكية، عاد واعتذر للمجتمع الدولي على ما قام به من غش وخداع، وبعد الإجهاز على العراق، أقدم بوش الصغير على إعادة طرح المشروع مجدداً باسم مشروع الشرق الأوسط الكبير. وضمت خارطته باكستان وأفغانستان وإيران وتركيا وإسرائيل، ظناً من الإدارة الأمريكية أن ما تم تحقيقه بالقوة في العراق من الممكن قطف ثماره سريعاً سياسياً واقتصادياً.

كانت الفكرة الإصلاحية هي التي تغلف المشروع، ولا أنكر أن هناك من سال لعابه على هذا المشروع بسبب ما نعانيه من أوضاع مخجلة في المنطقة، حيث الديكتاتورية والكبت والفساد والظلم. ومع ذلك لم تنجح كل أساليب الدعاية، ومنها أن جابت فرق أمريكية متخصصة العالمين العربي والإسلامي للترويج للديمقراطية وتعليمها.

وسعت أمريكا إلى مجموعة الثماني الكبار لتأييد هـذا المشـروع، لكـنهم لم يشيروا من قريب أو بعيد إلى طي ملف الصـراع الفلسـطيني الإسـرائيلي، وكـأن الصراع قائم على فقدان رغيف الخبز بالنسبة للشعب الفلسـطيني ولـيس فقـدان الأرض والحقوق.

يعود الفضل في تفتيت المنطقة للعميل البريطاني الشـهير لـورانس بدايـةً، وهو المشهور بلقب لورانس العرب، الذي كتب تقريـراً عـام 1916 للمخـابرات البريطانية، قال فيه: إنه في حال أُحسن التصرف اتجاه هذه البلاد، ويقصد الـبلاد العربية، فإنها سـتبقى كقطـع الحجـارة الصـغيرة الملونـة؛ مجموعـةً مـن الأقـاليم الصغيرة المتنافسة والعاجزة عن التلاحم.

كمـا أكـد أن الهـدف الـرئيس هـو تفتيـت الوحـدة الإسـلامية وتـدمير الإمبراطورية العثمانيـة، ووصـف العـرب بـأنهم الأقـل وعيـاً بالاسـتقرار مـن العثمانيين، لذلك سيعيشون في دوامة الفوضى السياسية ضمن دويلات متناحرة. "سقوط بغداد، ص: 228."

تميزت استراتيجية الطرق على الجدران من أسفلها والـتي تبناهـا مستشـار الأمن القومي الأمريكي الأسبق (بريجنسكي)، وهو ما يطلق عليـه تجزئـة المجـزأ، لتحقيق الأهداف بأسرع الطرق بمعنى تقسيم الدول العربية المجزأة أصلاً من قبل معاهدة سايكس- بيكو، إلى كانتونـات إثنيـة وعرقيـة بموجـب مشـروع الشـرق الأوسط الكبير، تكون متنافسة ومتناحرة ولا تشهد استقراراً فيما بينها، وسيكون جلُّ همها ضمان الحماية من إسرائيل وشراء الأسلحة الإسرائيلية المتقدمة.

مشروع رالف بيترز

نشر الضابط الأمريكي السابق رالف بيترز في مجلة القوات المسلحة الأمريكية في عدد تموز 2006 مقالاً بعنوان: (حدود الدم)، وهو جزء من كتابه بعنوان: (لا تترك القتال أبداً)، وهو بطبيعة الحال تقرير شامل عن الصراعات الشرق أوسطية التي يعتبرها بيترز نتيجة منطقية لخلل كبير في الحدود الاعتباطية الحالية التي وضعها حسب تعبيره (الأوروبيون الانتهازيون). وقصد سايكس- بيكو. ويقر بيترز أن التعايش الإثني في المنطقة سجل نجاحاً كبيراً، ويصف الصراع الفلسطيني- الإسرائيلي بأنه صراع حدود وليس صراع وجود.

وبالتالي لا بد من الإتيان بحركة تلغي هذه الحدود ليتم إلغاء الصراع؟؟! وهذا ما دعاه لتقديم خريطة أمريكية جديدة تلغي الحدود القائمة، وتعتمد على مبدأ تقسيم الدول الحالية، إلى كانتونات، وتنشأ دول جديدة وتكبر دول صغيرة وتصغر دول كبيرة.

لم يتمكن الباحثون ولا حتى الاستراتيجيون من قراءة مجريات الأمور على الساحة العربية منذ تفجر ما بات يعرف بـ"الربيع العربي" بسبب تصاعد أعمدة الدخان المتواصلة وحجبها الرؤية لما يجري على الأرض، فهذا المشهد لم ينجلِ حتى اليوم عن حقائق نهائية في تونس كما في مصر، ولا عن ملامح واضحة لمستقبل اليمن وليبيا وسوريا، والحالة الضبابية مرشحة لأن تطول أشهراً وربما سنوات، قبل أن تستقر على ثوابت واضحة.

مع ذلك فإنه لا يمكن أن تحجب مجموعة حقائق كبيرة خلاصتها أن المنطقة دخلت فعلاً، (بعد حربي العراق وأفغانستان)، مرحلة الفوضى الخلاقة التي خطط لها المحافظون الجدد بالتعاون مع الخبراء الاستراتيجيين الإسرائيليين، وما

يحدث على امتداد الخريطة العربية هو ترجمة ميدانية لهذا الدخول في ظل شعارات «ثورية»، تمهيداً لتفتيت المنطقة إلى دويلات عنصرية وطائفية، تلعب فيها «إسرائيل الكبرى» دور المركز، فيما تلعب الطوائف والأعراق والقبائل دور الضواحي.

«الكفاح العربي» وهي مجلة ملتزمة تصدر في بيروت حاولت كشف الحقائق المتعلقة بما يجري حالياً من خلال استعراض ما نشر في الصحف الأمريكية والإسرائيلية وما يصدر عن المؤسسات الاستراتيجية في أمريكا على وجه الخصوص:

بخصوص مصر ورد في سلسلة مقالات بعنوان «مصر والحرب المقبلة»، نشرها الدكتور محمد عمارة في الثمانينيات، نقلاً عن مجلة يصدرها البنتاغون (وزارة الدفاع الأميركية)، ونقلتها مجلة «كيفونيم» في القدس (14 شباط 1982- صفحة 49- 52)، ورد كلام عن أن الخطة الإسرائيلية- الأمريكية تقضي بتقسيم مصر إلى أربع دويلات:

1- سيناء وشرق الدلتا (تحت النفوذ اليهودي). ليتحقق حلم اليهود من النيل إلى الفرات.

2- الدولة النصرانية عاصمتها الإسكندرية، تمتد من جنوب بني سويف حتى جنوب أسيوط وتتسع غرباً لتضم الفيوم. ثم تمتد في خط صحراوي عبر وادي النطرون الذي يربط هذه المنطقة بالإسكندرية، وتتسع مرة أخرى لتضم أيضاً جزءاً من المنطقة الساحلية الممتدة حتى مرسى مطروح.

3- دولة النوبة المتكاملة مع الأراضي الشمالية السودانية، عاصمتها أسوان، تربط الجزء الجنوبي الممتد من صعيد مصر حتى شمال السودان باسم

«بلاد النوبة» بمنطقة الصحراء الكبرى، لتلتحم مع دولة البربر التي سوف تمتد من جنوب المغرب حتى البحر الأحمر.

4- مصر الإسلامية عاصمتها القاهرة، تضم الجزء المتبقي من مصر، ويراد لها أن تكون أيضاً تحت النفوذ الإسرائيلي. اذ أنها تدخل في نطاق «إسرائيل الكبرى» كما رسم حدودها المشروع الصهيوني.

مصر الأربع دويلات هذه عادت إلى التداول في الأسبوع ما قبل الأخير، بعد خمسة أشهر من قيام «الثورة المصرية»، عندما كشف المجلس العسكري بصورة مفاجئة عن مؤامرة تستهدف وحدة البلاد الجغرافية محذراً من أخطار المرحلة المقبلة.

عملية الكشف تمت في لقاء عدد من قيادات القوات المسلحة بممثلي ما يسمى «ائتلاف مجلس قيادة الثورة المصرية»، عرضت خلاله وثائق تؤكد وجود مؤامرة داخلية وخارجية (لم تعرض تفاصيلها) لتقسيم مصر إلى ثلاث دويلات نوبية وقبطية وإسلامية. أحد أعضاء الائتلاف (محمد عباس) قال بعد الاجتماع: «إن هذه الوثائق تكشف عن عدة أهداف وهي الوقيعة بين الشعب والشرطة لإغراق البلاد في الفوضى، والتأثير على الحالة الاقتصادية والاجتماعية، والوقيعة بين الأقباط والمسلمين لزعزعة استقرار البلاد، وإظهار مصر في صورة سيئة توحي للعالم بوجود فتنة طائفية». وأضاف: المؤامرة تهدف أيضاً إلى الوقيعة بين الشعب والجيش لمعاقبة القوات المسلحة على وقوفها إلى جانب الثورة وحمايتها، وأيضاً التأثير على القوة العسكرية للدولة وإضعافها.

وأوضح الجيش أن الهدف النهائي من كل ما سبق هو تفتيت مصر إلى دويلات صغيرة، وأشارَ إلى أن ذلك يأتي في إطار خطة أوسع لتقسيم الدول العربية مثلما حدث مع السودان، والمحاولات التي جرت في العراق وتجرى حالياً

في ليبيا، كي تصبح مصر في غاية الضعف أمام إسرائيل بحيث يكون الكيان الصهيوني هو مخلب القط في الشرق الأوسط الجديد.

وبشيء من التفصيل كشف اللواء حسام سويلم الخبير المصري الاستراتيجي، عن مخطط أميركي- إسرائيلي لتقسيم (أو إعادة تقسيم) العالم العربي إلى كانتونات عرقية وطائفية، مؤكداً أن الولايات المتحدة عملت على إعداد مجموعات فاعلة من الشباب العربي تقود «الثورات» القائمة تحت شعارات «الديمقراطية» في خدمة هذا المشروع، بدليل أن عدداً من شباب «الثورة المصرية» تدربوا في أميركا منذ العام 2005 على برامج تحمل عنوان «الديمقراطية ومهارات التنظيم السياسي».

وفي الحقيقة أنني لم أتوصل لنتيجة لسبب دعوة البيت الأبيض لمجموعات من الشباب العربي للقاء الرئيس أوباما، وقد التقيت بالمجموعة الأردنية في السفارة الأمريكية قبيل سفرهم إلى واشنطن في العام 2010، ووجهت سؤالاً ليس بريئاً لهم: أنتم لستم معروفين في المجتمع الأردني، ومع ذلك ذاهبون بدعوة رسمية للقاء الرئيس أوباما، فما السبب يا ترى؟

كانت الإجابات غير مقنعة، وتبين أن مثل هذه المجموعات كان هو نواة "التغيير" الأمريكي في المنطقة، وكلنا ما يزال يتذكر ويتساءل عن دور الشاب المصري وائل غنيم رئيس مكتب غوغل في دبي في" الثورة المصرية؟!

وفي حوار مع قناة «الحياة الفضائية»، أكد سويلم وجود مخططات أميركية- إسرائيلية ذات منشأ إسرائيلي، وقال: إن لإسرائيل في الواقع ثلاثة مخططات للتقسيم، أولها مشروع جابوتنسكي في العام 1937 وهو بعنوان «الكومنولث العبري»، وهو يهدف إلى قيام «دولة إسرائيل» الكبرى التي تدور في فلكها دويلات مقسمة عرقياً ومذهبياً وطائفياً ترتبط بها اقتصادياً واستراتيجياً وأمنياً.

والثـاني هـو مشـروع بنجـوري (1957) الرامـي إلى تقسـيم لبنـان إلى مجموعـة كانتونات مسيحية، درزية، شيعية، سنية، فلسطينية إلى جانب بيروت الـتي تكـون تحت وصاية دولية.

وأشار سويلم إلى أنّ المخطـط الثالـث ظهـر في العـام 1974 بعـد «حـرب رمضان»، وقد وضعه عرويد بنيون، وهو دبلوماسي كـان مـدير مكتـب "مناحيم بيغن"، وكتب في مجلة «ديركشن» عن استراتيجية إسـرائيل في الثمانينيـات، وهـو مخطط يتحدث عن إعادة احتلال سيناء وثلاث مـدن مـن الضـفة الغربيـة لقنـاة السويس هي السـويس- بورسـعيد- الاسماعيليـة، ثـم تقسـيم مصـر إلى عـدة دويلات دولة إسلامية تمتد من شرق الدلتا إلى المنيا وعاصمتها القاهرة، والدولـة الثانيـة نصـرانية مـن غـرب الـدلتا إلى مطـروح ووادي النطـرون وعاصـمتها الإسكندرية، والدولة الثالثة النوبة تمتد من أسـيوط جنوبًـا إلى جـزء مـن شمـال السودان.

وأوضح الخبير العسكري أنّ المخطط أيضاً هدف إلى تقسـيم السـودان إلى شمال مسلم وجنوب مسيحي، ودارفور، والعراق إلى دويلـة كردسـتان ودويلـة سنية ودويلة شيعية، وسوريا إلى دويلة علوية في منطقـة السـاحل ودويلـة حلـب السنية ودمشق السنية ثم دويلة درزية في الجنـوب، وتقسـيم المغـرب العربـي إلى دويلة البربر وتضم جزءًا من ليبيا والمغرب والصحراء الكبرى ودويلة بوليساريو وهي المتنازع عليها الآن بين الجزائر والمغرب. وأضاف سويلم: إنّ ذلك كان أول تقسيم لمصر والدول العربية.

وعن المخططات الأميركية ذكر سويلم أن أهم هذه المخططات كان مخطـط «برنارد لويس»، وهو باحث استراتيجي يهـودي وأسـتاذ الدراسـات الإسـلامية والعربية، وهو مخطط لا يختلف كثيرًا عن المخططات الإسـرائيلية، لكنـه أضـاف

«الأردن الكبير» الذي سيأخذ جزءًا من السودان والضفة الغربية، ودولة الشيعة العرب التي تضم جزءًا من شرق السعودية وشيعة العراق، وكردستان الحرة التي تضم أكراد تركيا وأكراد سوريا والعراق، وأكراد إيران. كما أكد سويلم أن تقرير المعهد الدولي لبحوث العولمة في واشنطن أفاد أنّ وكالات المخابرات الأميركية والبنتاغون قامت بإعداد مخططات لتغيير الأنظمة الحاكمة بطرق غير تقليدية، تبدأ بتحريك مجموعات شبابية ترتبط بوسائل إلكترونية تمارس الإضرابات وأساليب الكر والفرّ والتحرك مثل أسراب النحل، وذلك بهدف خلق أنظمة حكم موالية للولايات المتحدة تسهم في تنفيذ مخططات التفتيت، وهذه المخططات تَمّ تنفيذ جزء منها بالفعل في ما عرف بالثورات الملونة في جورجيا والثورة الخضراء ضد نجاد في إيران وثورة الأرز في لبنان وثورة اللوتس في مصر.

هذا الكلام يستند في الواقع إلى مجموعة وثائق معززة بخرائط مرسومة بعناية، نشرت في مواقع أميركية رسمية (موقع armedforces journal.com بصورة خاصة) التابع للجيش الأميركي، بتوقيع رالف بيترز بعنوان «كيف يمكن قيام شرق أوسط أفضل؟» والوثيقة تسارع إلى القول بأن «الشرق الأوسط» المقصود هو «الشرق الأوسط الكبير»، وأن الأطراف الرابحة فيه ستكون بصورة أساسية: الدولة العربية الشيعية، أرمينيا، أذربيجان، بلوشستان الحرة، كردستان الحرة، الدولة الإسلامية المقدسة، الأردن، لبنان واليمن. أما لائحة الخاسرين فتضم بصورة أساسية أفغانستان وإيران.

ولهذه الوثيقة قصة تُروى، وقد ظهرت للمرة الأولى في موقع Global Research الإلكتروني بتاريخ 18 تشرين الثاني 2006. نقرأ في الموقع: «الهيمنة قديمة قدم البشرية، عبارة أطلقها مستشار الأمن القومي الأميركي الأسبق زبيغنيو بريزنسكي في أواخر السبعينيات من القرن الفائت. أما عبارة «الشرق الأوسط

الجديد»، فقد رأت النور في شهر حزيران 2006، في تل أبيب، على لسان وزيرة الخارجية الأميركية آنذاك كوندوليزا رايس، التي قالت وسائل الإعلام الغربية عنها أنها استعملت هذه العبارة، لتحل مكان العبارة الأقدم «الشرق الأوسط الكبير». وحري بالقول أنها فغرت فاها وقالت عندما غزت إسرائيل لبنان صيف العام 2006 للقضاء على حزب الله: الآن بدأ تنفيذ مشروع الشرق الأوسط الجديد؟!

لا يظنّنَ أحد أن هذا التحول في تعابير السياسة الخارجية الأميركية جاء صدفة أو من غير دراسة وتخطيط، بل تزامن مع تدشين مشروع خط أنابيب النفط (باكو- تبليسي- جيهان)، في شرق البحر الأبيض المتوسط، كما أن عبارة «الشرق الأوسط الجديد» وصلت إلى أوجها، في تصريحات وزيرة خارجية أميركا ورئيس وزراء إسرائيل، في عز الحصار الإسرائيلي للبنان في العام 2006، بدعم أنغلو- أميركي، يوم أبلغ أولمرت ورايس وسائل الإعلام العالمية أن «مشروعاً لخلق شرق أوسط جديد، قد انطلق من لبنان».

هذا الاعلان شكل تأكيداً لوجود «خريطة طريق عسكرية»، إنكليزية- أميركية- إسرائيلية، في الشرق الأوسط. هذا المشروع الذي كان في مراحله التحضيرية منذ سنوات عدة يقضي بخلق قوس من عدم الاستقرار، والفوضى، والعنف، يمتد من لبنان إلى فلسطين وسوريا والعراق، والخليج العربي وإيران وصولاً إلى حدود أفغانستان الشرقية والشمالية، مروراً بدول شمال أفريقيا.

ومشروع «الشرق الأوسط الجديد» جرى الإعلان عنه رسمياً من قبل واشنطن وتل أبيب، وسط توقعات خلاصتها أن لبنان سيكون نقطة الضغط لإعادة تصحيح الشرق الأوسط بكامله، وبالتالي لإطلاق قوى «الفوضى البناءة». هذه الفوضى البناءة، التي أسفرت عن أعمال عنف وحروب في المنطقة،

سوف يتم استعمالها على مراحل متقاربة، بشكل يمكّن الولايات المتحدة وبريطانيا وإسرائيل، من إعادة رسم خريطة الشرق الأوسط بما يتناسب مع حاجاتها وأهدافها الجيو- استراتيجية.

وفي هذا السياق تبين أن خارطة الطريق العسكرية الأنغلو- أميركية كانت تستهدف أيضاً إيجاد مدخل إلى آسيا الوسطى عن طريق الشرق الأوسط. فالشرق الأوسط وأفغانستان وباكستان، تشكل معاً المداميك الاساسية لتوسيع النفوذ الأميركي إلى داخل الاتحاد السوفييتي السابق، والجمهوريات السوفييتية السابقة في آسيا الوسطى وضمان التربع على شواطيء بحر قزوين ووصل بحر الخزر منشأ اليهود الجدد بفلسطين.

وهكذا، ومنذ أواسط العام 2006، بدأت ملامح خريطة مجهولة نسبياً للشرق الأوسط، تظهر شيئاً فشيئاً، في دوائر الناتو الاستراتيجية، وسمح لها، بين حين وآخر، بالظهور إلى العلن، للحصول على الإجماع أو التوافق، ولتحضير الرأي العام بهدوء، للتغييرات المحتملة، والتي قد تقلب الأمور رأساً على عقب، في الشرق الأوسط. وكانت هذه خريطة لشرق أوسط أعيد رسم حدوده وهيكليته، تحت اسم «الشرق الأوسط الجديد».

ومن المؤكد أن إعادة رسم خريطة الشرق الأوسط وتقسيمه، ابتداء من الشواطئ الشرقية للبحر الأبيض المتوسط، في لبنان وسوريا، الاناضول (في آسيا الصغرى)، مرورا بشبه الجزيرة العربية والخليج العربي، والهضبة الإيرانية، وصولا إلى مصر والسودان ودول شمال افريقيا، يعكسان أهدافا اقتصادية واستراتيجية وعسكرية واسعة، تشكل جزءا من أجندة أنغلو- أميركية- إسرائيلية قديمة في المنطقة. فالنفط يتواجد بكثرة في هذا الإقليم، كما أن هناك

سوقا إستهلاكية كبيرة بسبب حجم السكان، إضافة إلى ما يمكن نهبه من ثـروات أخرى تحت باطن هذه الأرض.

وفي الواقع يلاحظ أن افغانستان، التي تخضع لسلطة قوات حلف الناتو قد تقسمت على الارض. كما أن العداوات القوية قد زرعـت في الشـرق العربـي، خصوصا في فلسطين ولبنان.

ولا يزال الغرب يبذل مسـاعيه لبـث الشـقاق في سـوريا وإيـران، وتعمـد وسائل اعلامه على قاعدة شبه يومية، إلى تسريب اخبار عن ان الشعب العراقـي لم يعد قادرا على التعـايش السـلمي بـين المـذاهب والطوائـف والاثنيـات، وأن الازمة ليست بسبب الاحـتلال الأميركـي، بـل بسـبب «حـرب اهليـة» تغـذيها النزاعات القائمة بين الشيعة والسنة والاكراد.وبالنسبة لإيران لأن المخطط الذي يمشي على الأرض يقضي بإنهاك إيران مـن الـداخل قبـل غزوهـا،ولا شـك أن المعارضة الإيرانية متحفزة لإزاحة النظام وشعاراتهم كما قراتها في طهـران قبـل سنتين تدعو للإبتعاد عن لبنان والقدس وحماس وحتى حزب الله.

عام 1981 قال بريزنسكي إبـان إشـتعال والحـرب العراقيـة- الإيرانيـة في أوجها «أن المعضلة التي ستعانيها الولايات المتحدة من الآن وصاعدا هـي كيـف يمكن تنشيط حرب خليجية ثانية تقوم على هامش الحرب بـين العـراق وإيـران، وتستطيع أميركا، من خلالها، تصحيح حـدود «سـايكس- بيكـو». وهـم بـذلك خلصوا إلى ما فعلته الحرب العراقية- الإيرانية بالصف العربي- المسلم.

بعد ذلك حملوا معطياتهم إلى المؤرخ الصهيوني- الأميركي برنـارد لـويس وتحدثوا معه حول تصوراتهم للمنطقة،ووضع مشروعه الشهير الخاص بتفكيـك الوحدة الدستورية لمجموعة الدول العربية والإسلامية كل منها على حدة،

ومنها العراق وسوريا ولبنان ومصر والسودان وإيران وتركيا وأفغانستان وباكستان والسعودية ودول الخليج ودول الشمال الافريقي، وتفتيت كل منها إلى مجموعة من الكانتونات والدويلات العرقية والدينية والمذهبية والطائفية.

وقد أرفق مشروعه المفصل بمجموعة من الخرائط المرسومة بإشرافه، وبموافقة البنتاغون، وتشمل عددا من الدول العربية (والإسلامية) المرشحة للتفتيت، وذلك بوحي من مضمون تصريح بريجنسكي الذي دعا إلى تصحيح حدود سايكس- بيكو، بما يتناسب مع المصالح الأميركية- الصهيونية.

في العام 1983، أقر الكونغرس الأميركي بالإجماع، في جلسة سرية، «مشروع لويس»، وتمّ بذلك تقنين هذا المشروع واعتماده وإدراجه في ملفات السياسة الأميركية الاستراتيجية للسنوات المقبلة. وقد أرفق لويس خرائط تقسيم الدول، بهذا المشروع على الشكل الآتي:

1- مصر: 4 دويلات (كما ذكرنا).

2- السودان: 4 دويلات أيضاً هي:

- دويلة النوبة: التي تتكامل مع دويلة النوبة في الأراضي المصرية التي عاصمتها أسوان.
- دويلة الشمال السوداني الإسلامية.
- دويلة الجنوب السوداني المسيحية.
- دويلة دارفور.

وبالنسبة إلى دول الشمال الأفريقي، فإن «مشروع لويس» يرمي إلى تفكيك ليبيا والجزائر والمغرب بهدف إقامة:

- دويلة البربر: على امتداد دويلة النوبة في مصر والسودان.

- دويلة البوليساريو.
- دويلات المغرب والجزائر وتونس وليبيا.

وبالنسبة إلى شبه الجزيرة العربية ودول الخليج يقضي «مشروع لويس بإلغاء الكويت وقطر والبحرين وسلطنة عمان واليمن والامارات العربية المتحدة، من الخريطة، ومحو وجودها الدستوري والدولي، بحيث تضم شبه الجزيرة والخليج ثلاث دويلات فقط هي:

- دويلة الإحساء الشيعية (تضم الكويت والإمارات وقطر وعُمان والبحرين).
- دويلة نجد السنية.
- دويلة الحجاز السنية.

أما في العراق فيرى لويس ضرورة تفكيكه على أسس عرقية ومذهبية على النحو الذي حدث في سوريا في عهد العثمانيين، أي إلى 3 دويلات هي:

- دويلة شيعية في الجنوب حول البصرة.
- دويلة سنية في وسط العراق حول بغداد.
- دويلة كردية في الشمال والشمال ـ الشرقي حول الموصل (كردستان)، وتقوم على أجزاء من الأراضي العراقية والإيرانية والسورية والتركية والسوفياتية (سابقاً).

في ما يتعلق بسوريا، يرى المشروع ضرورة تقسيمها إلى أقاليم متمايزة عرقياً أو مذهبياً، وعددها أربعة هي:

- دولة علوية- شيعية (على امتداد الشاطئ).
- دولة سنية في منطقة حلب.

- دولة سنية حول دمشق.
- دولة الدروز في الجولان ولبنان (الأراضي الجنوبية السورية وشرق الأردن والأراضي اللبنانية).

أما لبنان فقد استقر رأي لويس على وجوب تفتيته إلى ثمانية كانتونات عرقية ومذهبية، هي:

- دويلة سنية في الشمال، عاصمتها طرابلس.
- دويلة مارونية- مارونية شمالاً (عاصمتها جونيه).
- دويلة سهل البقاع الشيعية (عاصمتها بعلبك).
- بيروت الدولية (المدولة).
- كانتون فلسطيني حول صيدا حتى نهر الليطاني تسيطر عليه السلطة الفلسطينية.
- كانتون في الجنوب يعيش فيه المسيحيون مع نصف مليون من الشيعة.
- دويلة درزية (في أجزاء من الأراضي اللبنانية (حاصبيا) والسورية والفلسطينية المحتلة).
- كانتون مسيحي جنوبي خاضع للنفوذ الإسرائيلي.

تركيا: يقترح المشروع انتزاع جزء منها وضمه إلى الدولة الكردية (كردستان الحرة) المزمع إقامتها في شمال العراق، أما الأردن فيقضي المشروع بتفتيته وتحويله إلى دولة فلسطينية تضم فلسطينيي الداخل أيضاً.

وفي المشروع فقرة تتصل باليمن الذي يفترض أن يذوب لينضم في نهاية المطاف إلى دولة الحجاز.

في جانب آخر، يؤكد الخبراء والباحثون الأميركيون، وعلى رأسهم جيمس زغبي رئيس المعهد العربي- الأميركي، أن الثورات العربية نجحت في وضع حد للأساطير التي رعاها المحافظون الجدد وأمثالهم، وحافظوا عليها لمدة طويلة، والخاصة بتقسيم وتفتيت المنطقة. ويؤكد زغبي: أن «الثورات العربية» نجحت في إطلاق مشاريع التقسيم التي قادتها الولايات المتحدة والغرب والكيان الصهيوني، وأحدثت صدمة وهزة في المنطقة، ونشرت في ربوعها الفوضى تمهيداً لإقامة شرق أوسط جديد.

1. الدولة الكردية: تقضي الخطة المذكورة بإقامة دولة كردية مستقلة للأكراد البالغ عددهم ما بين (27- 36) مليون كردي يعيشون في مناطق محاذية لبعضها بعضاً في الشرق الأوسط، إذ يعتبر التقرير أن الأكراد هم أكبر قومية في العالم لا يعيشون في دولة مستقلة، وأنه يجب تحقيق دولتهم المستقلة عبر عدد من الخطوات منها:

- استغلال الفرصة التاريخية التي لاحت للولايات المتحدة بعد سقوط بغداد في إنشاء دولة كردية إثر تقسيم العراق إلى ثلاث دول، لأن الأكراد سيصوتون بنسبة 100٪ لصالح قيام دولة مستقلة إذا عُرضت عليهم فرصة قيام دولة مستقلة.
- دعم أكراد تركيا ووجوب الضغط على تركيا، وإظهار الجزء الشرقي منها كما وأنها (منطقة محتلة).
- ضم أكراد إيران وسورية بمناطقهم مباشرة إليها وسيشكلون (دولة كردستان الكبرى المستقلة) بحدودها النهائية. وستكون هذه الدولة الكردية الممتدة من ديار بكر في تركيا إلى تبريز في إيران أكبر حليف للغرب في المنطقة ما بين اليابان وبلغاريا.

2. الدولة الشيعية العربية: يكون جنوب العراق نواة دولة شيعية عربية تنضم إليها مناطق واسعة من الأراضي المحيطة بها لتشكل حزاماً على المنطقة المحاذية للخليج وتشمل المناطق التالية:

- الجزء الجنوبي الغربي من إيران والمعروف بمنطقة الأهواز أو عربستان التي تضم معظم الشيعة العرب في إيران.
- الجزء الشرقي من المملكة العربية السعودية الذي يضم العدد الأكبر من الأقلية الشيعية في المملكة.
- دولة سورية الكبرى: بعد تقسيم العراق إلى ثلاثة أقسام: كردي في الشمال، شيعي في الجنوب وسني في الوسط، سيضطر الجزء السني إلى الالتحاق بسورية، لأنه سيصبح دولة لا مقومات لها بين مطرقة الدولة الكردية الكبرى إلى شماله، وسندان الدولة الشيعية إلى جنوبه إذا لم ينضم إلى سورية، وسيتم إجبار سورية عن التخلي عن جزء صغير منها لضمه إلى لبنان لتشكيل (دولة لبنان الكبير) على البحر المتوسط لإعادة إحياء دولة فينيقيا.

4. تقسيم المملكة العربية السعودية: ستكون المملكة إلى جانب الباكستان بالإضافة إلى تركيا من الأكثر الدول التي ستعاني نتيجة للتغيير الذي سيطرأ على المنطقة، وسيتم تقسيم المملكة إلى خمسة أقسام:

- القسم الشرقي الساحلي حيث توجد الأقلية الشيعية في المملكة، وسيتم إلحاق هذا القسم بالدولة العربية الشيعية التي تحدثنا عنها أعلاه.

ثانياً: القسم الثاني هو جزء يقع في شمال غرب وشرق المملكة، وسيتم إلحاقه بالأردن الذي سيشكل بحدوده الموجودة حالياً إضافة إلى

الجزء السعودي دولة (الأردن الكبرى) التي ستضمّ كل الفلسطينيين في الشتات.

ثالثاً: القسم الثالث من المملكة سيضمّ كل المدن الدينية ولاسيما مكة المكرمة والمدينة المنورة التي سيتم تشكيل دولة دينية عليهما يحكمها مجمع ديني من مختلف الطوائف والمذاهب الإسلامية ويشبه إلى حدّ كبير الفاتيكان.

رابعاً: إلحاق قسم من جنوب المملكة بالجمهورية اليمنية التي سيزيد حجمها.

خامساً: تشكيل دولة سياسية في القسم المتبقي من حجم المملكة الأصلي.

5. الكويت وقطر وعمان والإمارات واليمن: ستبقى هذه الدول على الأرجح بشكلها الحالي دون زيادة أو نقصان، مع الأخذ بعين الاعتبار أن الإمارات قد تشهد بعض التغييرات، وذلك تبعاً للتغيير الذي سيصيب بعض الدول المجاورة لها، سواء لناحية إيران أو لناحية دولة الشيعة العرب، فيما سيزيد حجم اليمن نتيجة لمنحها جزءاً من المملكة العربية السعودية.

6. الجمهورية الإيرانية: صحيح أنه سيتم اقتسام بعض الأجزاء من إيران لصالح تشكيل دولة كردية ودولة شيعية عربية ودولة بلوشية وجزء صغير لضمه لدولة أذربيجان، إلا أنه سيتم اقتطاع جزء من أفغانستان المجاورة لتشكيل دولة قومية فارسية تحل محل الجمهورية الإيرانية الحالية.

7. أفغانستان وباكستان: القسم الذي سيتم اقتطاعه من أفغانستان لمنحه لإيران سيتم تعويضه من خلال منح أفغانستان جزءاً كبيراً من باكستان حيث العديد من القبائل الأفغانية والقريبة لها، وسيتم اقتطاع جزء آخر

أيضاً من باكستان حيث يقيم البلوش لمنحه لدولة بلوشستان الحرة، وبذلك يتبقى مساحة ثلث أو أقل من حجم باكستان الحالية التي ستشكل الدولة الجديدة المنتظرة.

وكما نرى فإن إعادة رسم خريطة الشرق الأوسط الجديد سيتم على أساس قومي أو إثني أو طائفي في أحيان أخرى، وبما أن إعادة رسم مثل هذه الخريطة، لا يمكن أن تتم فوراً يرى بيترز: أنه ما لم يحدث تصويب للحدود في الشرق الأوسط الكبير بشكل تتفق فيه هذه الحدود مع الروابط الطبيعية للدم والدين فسوف يكون هناك مزيد من سفك الدماء في المنطقة، ومع مرور الوقت فإن تحقيق هذه الخريطة الجديدة سيكون ممكناً جداً. بمعنى أن بيترز يهدد بحدود دموية إن لم تنجح حدود الدم الأمريكية. كل ذلك من أجل حماية أمن إسرائيل ودعمها بأي ثمن، وتأمين النفط والمصالح الاستراتيجية الأمريكية الأخرى.

كانت حرب احتلال أفغانستان 2001 ثم حرب احتلال العراق عام 2003 تطبيقاً لنظريات التقسيم والتفتيت والفوضى، إلا أن ما حدث هو أن الولايات المتحدة وحلفاءها وبعد تعرضهم للهزيمة العسكرية في أفغانستان والعراق، وجدوا أنفسهم بأنهم أصبحوا هم في دائرة الفوضى الخلاقة نفسها، وبات شغلهم الشاغل استقبال توابيت قتلاهم في العراق وأفغانستان، ومعالجة الجرحى والمصابين الجنود، وتحليل أسباب حالات الانتحار التي ينفذها جنود أمريكيون في هذين البلدين ودراسة حالات الإكتئاب الأخرى، ناهيك عن مداراة فضائحهم في أبو غريب وغوانتنامو وغيرهما من المعتقلات الأمريكية. أضف إلى ذلك عجز إسرائيل عن تنفيذ الدور المناط بها في لبنان وغزة لثلاثة تكليفات متتالية.

واكتشفت أمريكا أيضاً عجز التيار الليبرالي العربي وعدم شعبيته وعجزه عن الوصول للسلطة عن طريق الانتخابات، ومن خلال الديمقراطية، فارتأت أن تحافظ على حلفائها التقليديين مع رغبتها في مشاركة الإسلاميين التقليديين في السلطة لكسب شعبيتهم، ووجدت أنه يمكن التفاهم معهم، وأنهم يمكن أن يحققوا حين يتم إشراكهم في السلطة استقراراً للأنظمة العربية التي يهم أمريكا وإسرائيل عدم اضطرابها، لكن (الثورة العربية الخلاقة) جاءت لتنسف المشروع الأمريكي للمنطقة من أساسه، ولتعيد ترتيب الأوراق من جديد، لا كما يريد الغرب الاستعماري، وإنما وفق ما تتطلع له الأمة وشعوبها، فكانت الثورة العربية التي لم يتوقعها أحد، ولم تخطر ببال أحد، حدثاً تاريخياً مفاجئاً بكل المقاييس، فقد أربك سياسة أمريكا، وأذهل أوروبا، حدوث مثل هذه الثورة دون سابق إنذار.

وخلال لقاءاتي المتعددة مع مسؤولين وباحثين غربيين كانوا يعترفون أنهم ذهلوا وفوجئوا باندلاع الربيع العربي، وقد ذهب بعضهم إلى ما هو أبعد من ذلك، حيث قال مسؤولون أوروبيون كثر زاروا الأردن في مؤتمرات صحفية أنهم اكتشفوا أن النظم الرسمية العربية التي تتلقى دعمهم، تخدعهم بالقول إن "الوضع مضبوط عندهم"، ولذلك فإنهم- أي الغربيون- قرروا التوجه مباشرة لدعم منظمات المجتمع المدني لاكتشاف الحقيقة من خلالها ودعمها من أجل التغلغل في المجتمعات العربية وكي تنال شرعية الوجود والعمل، وهم بذلك يقدمون لها الدعم الكبير، وقد جعلوا منها قوى موازية للدولة ولكن بهيبة أكبر.

خلال مؤتمر عن "الربيع العربي" نظمه مركز الدراسات والعلوم السياسية في الجامعة الأردنية بالتعاون مع مركز دراسات الشرق الأوسط المعاصرة في جامعة

جنوب الدنمارك المعاصرة، أجمع الباحثون الغربيون المشاركون فيه وعلى مدى ثلاثة أسابيع في شهر نيسان 2013 أنهم بالفعل فوجئوا بإندلاع الربيع العربي".

وقال مدير مركز دراسات الشرق الأوسط المعاصرة في جامعة جنوب الدانمارك البروفيسور بيتر سيبرغ في مقابلة أجريتها معه: إن "الربيع العربي" يعد حدثاً غير مسبوق في الشرق الأوسط، وأنه شمل ست دول عربية من أصل 22 دولة.

وأضاف لـ"الراية"، إن الأزمة العالمية التي ضربت العالم عام 2008، هي التي فجرت "الربيع العربي"، مشدداً على أن السبب الاقتصادي هو العامل الرئيسي في تفجيره.

الباحث الدانماركي ذاته، أوضح أن دول الخليج تشهد علامات التحول، وأن التغيير سيطال جميع الملكيات المحافظة.

ففي إجابته على السؤال: كيف تنظرون إلى "الربيع العربي"؟

أجاب: إنه ما من شك أن العوامل التي تدعو للتحول العربي كثيرة وملحة، سواء كانت سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية، وعلى الرغم من ذلك أقول إن ما حدث في الوطن العربي قبل نحو السنتين، يعد فعلاً غير مسبوق في منطقة الشرق الأوسط وفوجئنا به، وقد شمل ست دول عربية من أصل 22 دولة، والملاحظ أن شبح التحول يحوم حول بقية الدول العربية، لذلك ننصح بقية الأنظمة العربية أن تتحرك قبل فوات الأوان وتحسن من أوضاع مواطنيها.

أما الأستاذ الألماني الزائر في جامعة القاهرة البروفيسور يان فولكيل فقال في مقابلة منفصلة مجيباً على السؤال نفسه: إن "الربيع العربي" مفاجأة لنا جميعاً، وهو حدث لم نتوقعه أبداً، إذ لم يدر بخلد أحد ما حدث في تونس، وانتقال

الحراك إلى مصر وليبيا، ومع ذلك فإنه يزهر في العديد من الدول العربية وسيداهم الجميع، إن عاجلاً أو آجلاً. لقد أنجز التونسيون والمصريون والليبيون واليمنيون وخلعوا حكامهم، وهناك حراكات في البحرين وسوريا والأردن، فالتغيير قادم وسيطال جميع الدول العربية.

صحيح أن كل الظروف والمعطيات تبرر بل وتدعو لثورات عربية من أجل التغيير نحو الأفضل، ولكنَّ هناك أسساً للتغيير السليم، لا نراها في انتفاضات الوطن العربي التي لا نشكك في نواياها الأصلية، ولكن هناك من تسلل إليها خفية وركب الموجة واحتل موقع الموجّه.

التسلل الأمريكي لهذه الثورات جاء لخلط الأوراق من جديد تبعاً لمصالحها، وفي محاولة لإرباك الوضع العربي، وخاصة في دول الثورات العربية. فالفوضى لا تنتج إلا فوضى، وقد أثبتت الوقائع أن نظريات (الفوضى الخلاقة والشرق الأوسط) ليست أسلوبًا سياسيًّا ناجحًا وناجعًا على الإطلاق؛ فقد تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن، وسناريوهات الفشل المتلاحقة لهذه النظريات والمشاريع أصابت سَدَنتها بالإحباط، وعلى فرض وجود دور لنظرية (الفوضى الخلاقة) فيما يحدث في ثورات الربيع العربي، إلا أن المحصلة كانت إزاحة الكثير من الديكتاتوريات الحاكمة الجاثمة فوق صدر الشعوب العربية، والخادمة بامتياز للمشروع (الصهيو- أمريكي) في المنطقة.

الإخفاقات التي تعرضت لها أمريكا دفعتها إلى إعادة التركيز من جديد على مشاريع الشرق الأوسط، وهي تعمل على الاستعانة بخطط جديدة، ولا شك أن المخطط الأمريكي قد ارتهن خططه للإسرائيلي الجاثم على صدره، وإلا كان من الممكن أن يظهر الدور الأمريكي على غير هذه الصورة، ويكون داعياً

لتبادل المصالح. فنحن بحاجة إلى امريكا كما أن أمريكا بحاجة إلينا، لكن إسرائيل وضعت حاجزاً بيننا وورطت أمريكا كما ورطت بريطانيا من قبل.

وبذلك يتبين أن إسرائيل هي من يقف وراء سياسات واستراتيجيات ومشاريع باتت مكشوفة للعالم، وأبرزها: مشروع تفتيت الوطن العربي الذي أعده بن غوريون وخبراء الأمن القومي الأمريكان والبريطانيين عام 1953، والذي تطور بعد ذلك تبعاً لأحداث ومتغيرات مرت بها المنطقة، وتم نشره تباعاً خلال السبعينيات والثمانينيات من القرن الماضي، ثم تجدد نشره أيضاً في العقد الأول من هذا القرن بصيغ وعناوين أكثر تفصيلاً ومن قبل صحفيين عالميين وسياسيين غربيين.

كذلك مشروع الفوضى الخلاقة (كتابات إليوت كوهين) و(صياغة مايكل ليدن) وطروحات (الرئيس بوش الابن وكونداليزا رايس)، ومشاريع الشرق الأوسط الجديد (شيمون بيرس)، والشرق الأوسط الكبير (الرئيس بوش الابن)، والشرق الأوسط الجديد (كونداليزا رايس)، ومشروع خريطة الدم (رالف بيترز)، و(مشروع لويس).

* الفوضى الخلاقة هو مصطلح سياسي/ عقدي يقصد به تكوّن حالة سياسية أو إنسانية مريحة بعد مرحلة فوضى متعمدة الإحداث.

وعلى الرغم من وجود هذا المصطلح في أدبيات الماسونية القديمة، حيث ورد ذكره في أكثر من مرجع، وأشار إليه الباحث والكاتب الأمريكي دان براون، إلا أنه لم يَطْفُ على السطح إلا بعد الغزو الأمريكي للعراق الذي قادته الولايات المتحدة الأمريكية في عهد الرئيس جورج دبليو بوش، وذلك في تصريح وزيرة خارجيته كوندوليزا رايس في حديث لها أدلت به إلى صحيفة الواشنطن بوست الأمريكية في شهر نيسان 2005، حيث انتشرت بعض فرق

الموت والأعمال التخريبية التي اتُهمت بأنها مسيسة من قبل الجـيش الأمريكـي، وبعض المليشيات المسلحة التي تؤمن بأن الخلاص سيكون لـدى ظهـور المهـدي المنتظر والذي سوف يظهر بعد حالة مـن انعـدام الأمـن والنظـام). ويكبيـديا / الموسوعة الحرة.

الأردن ومشروع الشرق الأوسط الوسيع

نشرت المبادرة الوطنية الأردنية في 2-3-2012 على موقعها بياناً موسعاً بعنوان: الأردن والفوضى في سياق مشروع الشرق الأوسط الجديد، تساءلت فيه: ما هو مشروع "الشرق الأوسط الجديد" ومن هو صاحبه؟ ما هي الأيدولوجيا التي تقف خلفه؟ ما هي آليات إنفاذه، ومن هي القوى المكلفة به؟ أين الأردن في هذا المشروع؟

وقالت: إن مشروع "الشرق الأوسط الجديد" هو عنوان كتاب صدر عام 1993 لصاحبه شمعون بيرس، الرئيس الإسرائيلي الحالي، طرح من خلاله تصوراً مستقبلياً، متكاملاً وتفصيلياً للبنى الفوقية (القوانين والتشريعات والأنظمة)، والبنى التحتية (الصناعة والزراعة والخدمات)، وفي جميع القطاعات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في المنطقة، وهو مشروع يستند إلى أيديولوجيا عنصرية، ترتكز إلى ثلاثية: "عقل يهودي، ورؤوس أموال عربية، وأيدي عاملة عربية" وينطلق من تفوق اليهود على العرب، وعدم الاعتراف بقدرات وكفاءات وخبرات العرب، التي تراكمت في فترة قياسية قصيرة جداً، على الرغم من قلة ما توفر من إمكانات.

وعلى الرغم من اعتراف العالم بالكفاءات العربية ومنحهم جوائز عالمية، وعلى الرغم من الهجمة الإعلامية الموجهة المزيفة ضد العرب، إلا أن نظرة سريعة على عدد العلماء والخبرات والكفاءات العربية المهاجرة في العالم الغربي، تدلل على عمّق هذه النظرة العنصرية للصهاينة، بالإضافة إلى احتقارهم للطبقة العاملة المنتجة، وبسبب ذلك، حددوا المشاركة العربية في هذا المشروع بالقوى العاملة ورؤوس الأموال.

تابعت المبادرة: إن الفكرة الرئيسة لمشروع "الشرق الأوسط الجديد" تتمثل في استراتجية إعادة إنتاج العالم العربي عل شكل كيانات "ما قبل راسمالية" بحيث يصبح الكيان الصهيوني القائد الميداني لهذا المشروع، ولهذه المنطقة، في سياق استراتيجية إدامة هيمنة مراكز رأس المال العالمي على ثروات ومقدرات العرب الهائلة، واستمرار السيطرة على موقع جيو- سياسي عالمي، هام جداً، خصوصاً في ظل عودة الحرب الباردة على الصعيد العالمي بين أقطاب متعددة- محور "بريكس" (البرازيل، روسيا، الهند، الصين، جنوب أفريقيا) الصاعد، مقابل محور "الناتو" (أمريكيا وأوروبا، وأستراليا، وكندا) الهابط- وعودة الروح لمحور حركات التحرر الوطني العربي والعالمي (أمريكا اللاتينية، إيران وسوريا والمقاومات العربية، وكوريا الشعبية...الخ، والحركات المضادة للإمبريالية).

بعد انهيار المعسكر الاشتراكي نهاية القرن الماضي، دخل العالم مرحلة انتقالية معوّمة النتائج، اعتقد بعضهم، من أصحاب نظرية "التعالي على التاريخ" بأنها مرحلة تسمح بهيمنة مطلقة "لمراكز رأس المال العالمي" على مصير البشرية جمعاء، وتسمح بإعادة صياغة العالم بحسب نماذج افتراضية تصنعها بذاتها، ومنها مشروع "الشرق الأوسط الجديد"، فخرجوا بنظريات حولاء وعرجاء، من نمط "نهاية التاريخ" و "صراع الحضارات"...الخ، نظريات عنصرية تعلن تحديداً تفوق العنصر البشري "الراسمالي" على باقي البشر، وتفوق "المنظومة الراسمالية" النهائي على باقي "المنظومات" المعتمدة من بقية البشر، وتبعاً لذلك فإن التسليم بتفوق الراسمالي كفرد والراسمالية كنظام، بحد ذاته، يمنحهم حقاً مطلقاً بالتحكم بمصير البشرية، بلا حساب ولا عقاب.

في الوقت الذي يعلن أصحاب نظرية "نهاية التاريخ" تفوق "الراسمالي" كصنف من البشر، ويعلن أصحاب نظرية "صراع الحضارات" بأن "حضارة المركز

الراسمالي" تتفوق على "حضارات الأطراف" التابعة منها والمستقلة، لهذه الأسباب تحديداً، ستفشل هذه النظريات العنصرية حتماً، لأنها "متعالية على التاريخ"، وبسبب تعاليها على قانون "المتغير" الديناميكي في الطبيعة، لصالح "الثابت" الستاتيكي، فهي غير قابلة للحياة. كيف يتم تثبيت المركز والمحيط بالجغرافيا الثابتة (الغرب والشرق) على القادم من الأيام؟ ويتناسون فعل التاريخ وتجاربه السابقة، ألم تكن الصين، في مرحلة تاريخية غابرة، هي المركز وبقية العالم أطرافاً، وفي فترة لاحقة ألم تكن اليونان وبلاد فارس المركز وبقية العالم الأطراف؟ وهناك مرحلة كانت بها مصر وبلاد الرافدين هي المركز....الخ، فنظرية ثبات "المركز" جغرافياً ما هي إلاّ نظرية طوباوية دحضتها الحياة ذاتها.

الثابت الوحيد في هذا الكون، هو التراكم المعرفي للبشرية عامةً، والتراكم النضالي لدى البشر عموماً، في سبيل التحرر من العبودية بجميع أشكالها، والتحرر من الاضطهاد والاستغلال بجميع صوره، وتحقيق إنسانية بني البشر أينما كانوا، وتساوي الحقوق للشعوب والأفراد على وجه البسيطة.

أعلنت الإدارة الأمريكية عن آليات يتم استعمالها في معركة إنفاذ "مشروع الشرق الأوسط الجديد" بهدف تفكيك الدول وتفتيت المجتمعات، آليات تتلائم مع معطيات كل دولة وكل مجتمع على حدة، وتأخذ بنظر الاعتبار خصوصياته ومعطياته.

- الجامع بين كل هذه الأدوات هو استراتيجية أعلنتها الإدارة الأمريكية تحت عنوان "الفوضى الخلاقة" التي قد تستعمل: (العنف العسكري المفرط) كما في الحالة العراقية (الصدمة والرعب)، أو كما في الحالة الليبية (القصف المتواصل من الجو لتحطيم البنى التحتية، وقتل أكبر عدد ممكن من الأبرياء، لتفادي تعرض قواتها المعتدية لأخطار).

أو استعمال سياسة "صناعة القبول وثقافة القطيع" في الدول المطواعة، حيث يتم تزييف الوعي الجمعي للمجتمعات، أيديولوجياً وثقافياً ومعرفياً، من خلال استعمال قصف إعلامي ديماغوجي متواصل، بواسطة وسائل اعلامية مختلفة، تخضع جلها لقرار قاتل اقتصادي- اجتماعي- سياسي واحد.

أين الأردن في هذا المشروع؟

الرد على هذا السؤال من قبل المبادرة الوطنية الأردنية هو أن الأردن يمثل "عقدة جيوسياسية" رئيسة في مشروع الشرق الأوسط الجديد، والمقاربة المعتمدة بخصوصه حذرة وباطنية، حيث يتم استعمال أدوات "الفوضى الخلاقة" بطرق غير مرئية، ولكنها خبيثة وفاعلة.

وبحسب المبادرة، فإن الخطوة الأولى في مشروع "الفوضى الخلاقة" قد تم إنجازها على أرض الواقع، حيث تم إنجاز مهمة تفكيك الدولة، ركيزة إنفاذ هذا المشروع، من خلال شعارات جذابة ومخادعة: ترشيق الدولة، الشريك الاستراتيجي، إطفاء المديونية، تشجيع الاستثمار...الخ.

حيث تم بيع القطاع العام، وخصوصاً الشركات المنتجة، قاعدة الدولة المركزية المتماسكة (توافقات واشنطن، بيع القطاع العام أينما وجد)، وتم منع الدولة من التدخل بآلية السوق، أي منعها من دورها الأساسي في تحقيق "التنمية الوطنية الحقيقية" وتنمية "قوى الانتاج الوطني" وهو الدور الرئيس، وقد يكون الوحيد للدولة النامية، نتيجة عدم تبلور برجوازية وطنية فيها، بسبب التبعية، وتم حجز الدولة عن القيام بدورها في حماية الشرائح الكادحة والفقيرة والمعوزة والمنتجة، عبر رفع الدعم عن السلع الأساسية (توافقات واشنطن)، وفرض

الرسوم المرتفعة على مستلزمات الانتاج، مقابل إعفاء ما يسمى بالاستثمارات الأجنبية من الضرائب والرسوم، وإعفاء 2500 سلعة "إسرائيلية" من الجمارك.

إجراءات حققت هدفها في تحويل بنية الدولة إلى بنية ولاية، ووظيفة بلدية: جباية الضرائب، فرض الأمن، إنجاز عقود زواج، تخطيط مدن، المحافظة على نظافة الشوارع، وتجميل المدن، مما أفقد الدولة هيبتها، كونها فقدت دورها الاقتصادي التنموي، ووظيفتها الاجتماعية، جراء ما ذكر من إجراءات.

الخطوة الثانية، تتمثل في تفتيت المجتمع، عبر تنمية العصبيات الجهوية والعشائرية والإقليمية، خطورتها تكمن في ظاهر الفكرة، التي تسوّق على أنها فكرة وطنية، تهدف إلى الدفاع عن مصالح الوطن (ضد الوطن البديل، الفزاعة) كما تسوق على أنها تهدف إلى الدفاع عن مصالح الشعب أو جزء منه (الهوية والحقوق المنقوصة، المفتعلة). في الجوهر شعارات وأهداف وهمية.. تداعب مخيلة مجموعتين تبدوان تحديثيتين، بينما هما في الواقع، عناصر "ما قبل راسمالية" لماذا؟

وتجيب المبادرة الوطنية الأردنية: إنه في مجرى العملية السياسية الطبيعية، تختلف النخب السياسية والاجتماعية حول تشخيص الواقع، كل حسب مصالحه، وتختلف حول المشاريع المستقبلية، وتختلف حول الرؤى السياسية، وحول أولوية المهمات، فكيف في الحالات الاستثنائية، كما هي الحالة الأردنية التي تقف أمام مفترق طرق، وتواجه تحديات مصيرية متعلقة في مشروع الشرق الأوسط الجديد؟

وتغوص المبادرة عميقاً وتقول: إنه يبدو أن حواراً معمقاً ومستمراً، داخل صفوف الدوائر الأمبريالية المقررة، حول مصير ودور وشكل الأردن في المرحلة القادمة، ضمن "مشروع الشرق الأوسط الجديد" هذا، ويبدو أن هذه الدوائر تعمل بشكل حثيث على فرز وتبني عناصر وأفراد ومجموعات محلية جديدة، بمعرفتهم

أو بدون معرفتهم، بديلة عن "مجموعة التبعية الحاكمة" التي تم استهلاكها في المرحلة السابقة، ولم يعد بمقدورها القيام بالوظيفة الموكلة لها، ويبدوا أن هذه الدوائر، ومن أجل إنجاز هذه المهمة، تسعى لإفتعال صراعات تحت عناوين وهمية، لتحديد فعالية وتأثير القوى المختلفة المرصودة، على أرض الواقع، من أجل اختيار المجموعة الأجدر والأقدر على إنجاز المهمات القادمة.

وتواصل المبادرة الأردنية الوطنية أسئلتها في العمق: كيف يمكن تصور بنى اجتماعية "ماقبل راسمالية" توكل لها مهمات ما بعد الراسمالية (بناء الدولة الوطنية الحديثة)؟ كيف يمكن أن تنجز بنية سابقة وظيفية لاحقة لهذه البنية؟ كيف يمكن "لآلة بخارية" منافسة إنتاج سلع في سرعة إنتاج "آلة حديثة موئتمتة"؟ ألا يستدعي ذلك التفكير؟ ما هي آليات إنفاذ "مشروع الشرق الأوسط الجديد" على الصعيد الأردني؟ وما هي أشكال "الفوضى الخلاقة" التي يتم تطبيقها على الأرض الأردنية؟

الأردن هو "عقدة جيو- سياسية" هامة في هذه المنطقة، سواء لناحية الموقع الجغرافي المتوسط بين قوى إقليمية، أو لناحية الوظيفة التاريخية في مشروع الهيمنة، أو لدوره الحاضن لحالات التشظي في المناطق المجاورة، وامتصاص تداعيات أحداثها: القضية الفلسطينية، الحرب الأهلية اللبنانية، حروب الخليج، الأحداث السورية،...الخ.

وقالت المبادرة: إنه من المسلم به، أن إجماعاً إقليمياً ودولياً تاريخياً، على الحفاظ على أمن الأردن واستقراره، الداخلي والخارجي، ساد على مدى الفترة السابقة من عمر الدولة، فما هي المستجدات التي طرأت لتفرض هذه الحالة من الفوضى وعدم الاستقرار، التي تعيشها البلاد هذه الأيام؟ وفي أي سياق تخلق هذه الفوضى؟ وما هي وظيفتها؟

وشددت المبادرة: مقدماً نرفض مقولة "الشعب كسر حاجز الخوف" محركاً لما يجري على الصعيد الأردني من حراك، لأن الشعب لم يكن يعاني من الخوف، بل كان وما يزال يعاني من غياب قيادة لقوى اجتماعية واعية لدورها، وعدم إحداث التراكم النضالي شرط التغيير، وغياب المشروع التحرري النهضوي، شرط التراكم.

الشعب لم يكن يعاني من الخوف بدليل النضالات المستمرة التي خاضها، بدءاً من حراك الأردنيين ضد اتفاقية سايكس- بيكو ووعد بلفور، قبل تشكل الإمارة، وخوض نضالات حقيقية بأشكال متعددة، وعلى مدى قرون، نضال أنجز تعريب قيادة الجيش، وإلغاء معاهدة الانتداب البريطانية في خمسينيات القرن الماضي، والمشاركة في المقاومة الفلسطينية بدءاً ضد المشروع الصهيوني وضد الكيان الصهيوني، وهبة نيسان، وانتفاضة الخبز، والحراكات المطلبية والوطنية التي لم تهدأ يوماً...الخ، فعلى ماذا تستند هذه المقولة؟

تتابع المبادرة: بسبب زيف مقولة "الشعب كسر حاجز الخوف" بات من واجب جميع المعنيين بمصير الوطن والمجتمع، التدقيق في مقاربات والتدقيق في المهمات والشعارات التي تطرح على جدول اعمال هذا الحراك، والتدقيق في مدى موائمتها لمواجهة الأزمة التي يعيشها المجتمع والدولة، والتدقيق في الروافع والشروط الحقيقية، التي يجب إنتاجها للخروج من الأزمة، ومقارنتها بالروافع المطروحة في هذا الحراك.

ومع عدم جدارة مقاربة "الحرية والديموقراطية والتبادل السلمي للسلطة" التي تقدمها مجموعات الحراك، باعتماد تغيير البنى الفوقية (التشريعات والقوانين والانظمة) شرطاً للخروج من الأزمة الحقيقية المعاشة، والمتعلقة ببنية الدولة المستهلكة التابعة، وبنية المجتمع المستهلك الما قبل راسمالي، ومع الأخذ بنظر

الاعتبار، تجارب الدول والمجتمعات الراسمالية التي قدمت هذه المقاربة، ولم تشكل لها طوق نجاة، بل على العكس، أدخلتها في أزمة طاحنة متعمقة وممتدة، تفضي بحسب دراسات رصينة لمراكز أبحاث غربية، إلى انهيار شبه حتمي، حيث بوادره في اليونان وإسبانيا فإيطاليا وصولاً إلى الولايات المتحدة ذاتها، وأدخلت دول ومجتمعات المعسكر الاشتراكي سابقاً، حال تبنيها من قبل قياداتها، في دوامة الفقر والجوع وفقدان الوزن والكرامة الوطنية.

ومع عدم صلة مقاربة "دسترة فك الارتباط والحقوق المنقوصة والهوية" بواقع الأزمة المعاشة، فلا بد من التدقيق في تداعيات هكذا مقاربات على الواقع، هل تقود هذه المقاربات إلى حل الأزمة الحقيقية المعاشة، أم تعمقها؟

إلى ماذا تقود مقاربة "دسترة فك الارتباط" التي يتم ربطها بالهوية والحقوق المنقوصة، على أرض الواقع؟ بات من المسلم به من قبل الجميع، أن "مشروع الشرق الأوسط الجديد" يهدف إلى تفكيك الدول العربية، وتفتيت مجتمعاتها:

ففي جانبه الأردني، يهدف المشروع إلى تفتيت الشعب الأردني إلى مكونات بدائية، وهي العملية التي نلمسها يومياً على أرض الواقع، حيث حروب عشائرية في الجامعات، وفي الحارات وفي الشوارع، وتعزيز التنافر المناطقي بين أبناء الشعب، جنوب وشمال ووسط، وتعزيز التنافر الإقليمي، وفي السياق ذاته، ما هي وظيفة محاربة الفساد بأشخاص، وفي الوقت ذاته، بناء سياج مجتمعي عشائري حامي لهم، والشواهد ما تزال تتوالد كل يوم، في جل حالات الفساد التي تم تقديمها للعدالة، من يدفع بهذا الاتجاه ولمصلحة من؟

ألا تخدم هذه السياسة إشاعة عدم الثقة بمؤسسات الدولة، وتخدم إنتاج عشيرة بصفة مؤسسة سياسية، وهل إنتاج العشيرة- السياسية يخدم مشروع بناء الدولة الحديثة، وهل يخدم مقاربات الحراك ذاته، الذي يدعو إلى فصل السلطات

وبناء الدولة الحديثة، ومحاربة الفساد؟ ما الهدف، وما هي وظيفة طرح الهوية الأردنية بعد تشكلها بقرن من الزمن للنقاش؟

وفي جانبه الفلسطيني، من الواضح أن المشروع يهدف إلى تفكيك التمثيل الموحد للشعب الفلسطيني بين: سلطة ومنظمة تحرير وفصائل ومؤسسات مهمات (حق العودة، والحقوق الثابتة، منظمات المجتمع المدني...الخ) كما ويهدف إلى تفتيت الهوية الفلسطينية إلى هويات: زمانية ومناطقية وجغرافية (عرب ال48 والمهاجرين والنازحين والضفة الغربية وغزة والشتات وفلسطينيي الأردن كحالة خاصة...الخ).

في هذا السياق، ماذا تنتج مقاربة "دسترة فك الارتباط" ووجهها الآخر "الحقوق المنقوصة"؟

ألا يعني، دسترة فك الارتباط والهوية، والوجه الآخر الحقوق المنقوصة، عملياً وواقعياً، أن تضع جزءاً من الشعب الفلسطيني أمام خيار، لم تأتِ ساعته بعد، خيار بين الهوية الأردنية والهوية الفلسطينية، لمصلحة من؟ وماذا سينتج هذا الخيار بالملموس وفي الواقع، أكان للأردن أو لفلسطين، من نتائج مثمرة في النضال المشترك ضد المشروع الصهيو- أمريكي الذي يستهدف الشعبين، أو كيف سيساهم في الخروج من الأزمة الحقيقية التي يعيشها الشعبان الشقيقان؟

ألاّ يعبّد "دسترة فك الارتباط" الطريق أمام المساهمة في إسقاط حق العودة (تطبيق المادة الثامنة من اتفاقية وادي عربة) لهذا الجزء من الشعب الفلسطيني، بحجة أنهم لم يعودوا فلسطينيين، وسيعمل على حرمانهم من حقهم في المساهمة في النضال الوطني الفلسطيني، لاسترداد حقوقهم المشروعة، وتجربة حماس، مثال شاهد على هذه الإمكانية (اختلاف حول اجتهاد دستورية أو غير دستورية الإجراء).

وتابعت المبادرة: إنه إذا كان هذا الخيار "يحل" أزمة مجموعات نخبوية من الطرفين، فإنه موضوعياً في المقابل يعمق أزمة الشعبين، لأنه يدخل نضالهما في نفق "الحلول الوهمية المتخيلة" ويبعدهما مسافة طويلة عن "الحلول الواقعية الحقيقية المنتجة" المتمثلة في إنجاز مهمات "مرحلة التحرر الوطني" التي يعيشها الشعبان الشقيقان.

واختتمت المبادرة الوطنية الأردنية: إن حماية الأردن وإنجاز حقوق الشعب الفلسطيني، شرطان متلازمان، تحتمان وحدة نضال الشعبين الشقيقين المستهدفين، لأنهما يعيشان مرحلة التحرر الوطني، وإنجاز مهمات مرحلة التحرر الوطني، المتمثلة على الجانب الأردني بمشروع كسر التبعية وعلى الجانب الفلسطيني مشروع التحرير.

هناك من يقول: إن مشروع الشرق الأوسط الكبير ولد في وادي عربة 1994- والتوصل إلى تفاهمات واتفاقيات أوسلو بين م.ت.ف وإسرائيل عام 1993، ومبادرة دول الخليج العربية وتونس والمغرب بفتح مكاتب تمثيل تجاري لإسرائيل لديها.[1]

العيون الإسرائيلية مسلطة على الأردن وقد ألحقت به الضرر الكبير عند تحويل مياه نهر الأردن فيما سمي نفق عيلبون، وهي تدعو دائماً إلى استثمار نهر الأردن عربياً إسرائيلياً مشتركاً حسب مشروع جونسون.[2]

المصادر والمراجع

1- مشروع الشرق الأوسط الكبير.. الحقـائق والأهـداف والتـداعيات. عبـد القادر رزيق المخادمي ص 47.

2- الشرق الأوسط الكبير.. مؤامرة أمريكية ضد العرب. د. سعيد اللاوندي ص5.

خارطة الشرق الأوسط الوسيع...رايس

نقلت صحيفة «يني جاغ» التركية في عددها الصادر يـوم الاثـنين 26-11-2011 عن صحيفة «واشنطن بوست» الأمريكية بعض المقاطع من مقـال لـوزيرة الخارجية الأمريكية السابقة كوندوليزا رايـس، يتمحـور حـول مشـروع الشـرق الأوسط الكبير ومن ضمنه القضية الكردية.

تتحدث كونداليزا رايس التي كانت من أشد المحرضين علـى غـزو العـراق في مقالها حول المراحل الماضية والمرحلة الحالية والمرحلة المستقبلية لمشروع الشرق الأوسط الكبير، الذي بدأ منذ (90) عاماً وتم اتساعه وتخطيطه من جديد في العام 2003، وكانت هي من المؤسسين الرئيسين لهذا المشروع. وقد رأينا حماسـها إبـان قيام غزو إسرائيل لجنوب لبنـان صـيف العـام 2006 للقضـاء علـى حـزب الله، لكنها فشلت فشلاً ذريعاً ومـرغ حـزب الله أنفهـا بالوحـل ووصـلت صـواريخه كبريات المدن في فلسطين المحتلة.

تشير رايس في مقالها إلى أن مسـألة تقسـيم الشـرق الأوسـط باتـت علـى وشك الانتهاء، مستثنية من ذلك تركيا، وذلك بسبب استمرار القضـية الكرديـة فيها. وهنا يتضح لنا مدى انتهازية صانع القرار الأمريكي.

تقول رايـس: «إن الحـرب الداخليـة في سـوريا هـي السـتارة الأخـيرة في مسرحية التقسيمات الجارية في الشرق الأوسط، وتركيا أيضاً كذلك، لولا المسألة الكردية التي ما تزال تؤرق أنقرة، "مضيفة": إن الربيع العربي ومن ضمنه ما يجري في سوريا، إثبات عملي بأن مشروع الشرق الأوسط دخـل حيـز التنفيـذ خطـوة بخطوة، تصديقاً لصرختها إبان الهجوم الإسرائيلي علـى حـزب الله وقولهـا: الآن بدأ تنفيذ مشروع الشرق الأوسط الجديد؟

وكونداليزا رايس نفسها، حينما أطلقت مشروع الشرق الأوسط الكبير في العام 2003، والذي اسماه الرئيس المصري السابق بالشرق الأوسط السخيف كانت قد ذكرت، أن خريطة الشرق الأوسط ستتغير بدءاً من المغرب العربي حتى الخليج العربي، وستشمل 22 دولة، ومن ضمنها تركيا.

وحسب المحللين الأتراك، فإن مشروع الشرق الأوسط الأمريكي يتركز على عدة سيناريوهات منها:

وضع 73٪ من إجمالي بترول العالم تحت السيطرة الأمريكية، وفرض نظام جديد على الجغرافية الإسلامية، بدءاً من شمال أفريقيا حتى خليج البصرة، يتلاءم مع المصالح الغربية، وتقسيم تركيا ومن ثم إنشاء دولة كردية جديدة في المنطقة تحمي المصالح الأمريكية والإسرائيلية.

مفهوم الشرق الأوسط الوسيع

يتبين لنا ونحن نراجع الملفات السياسية الأمريكية بشكل خاص والغربية بشكل عام، أن رقعة الشرق الأوسط، تتسع وتضيق حسب المصالح الغربية وأن تحديد الشرق الأوسط الغربي قد تراوح بين المفهومين الثقافي والجغرافي، وأنه في ذات حقبة كان يشمل أفريقيا والدولة العثمانية، وهنا يُستدل على أن تصوراً عسكرياً ما قد ارتبط بتحديد إطلاق وصف الأدنى والأقصى والأوسط على الشرق الأوسط.

في دراسة له عام 1902، حصر الجنرال الأمريكي ما هنان منطقة الشرق الأوسط، بأنها المساحة الممتدة بين الجزيرة العربية والهند، وتحدث عن ضرورة تقليص نفوذ روسيا وألمانيا في إيران والعراق..

أما الكاتب البريطاني فالنتاين شيرول فحدد منطقة الشرق الأوسط بأنها المنطقة الواقعة بين الهند والعراق، وتضم أفغانستان والباكستان والعراق، وفي مرحلة لاحقة أضاف إليه شمال الصين، بينما حصره اللورد البريطاني كرزون حاكم الهند في المناطق الغربية المحاذية للهند، ولذلك حملت قيادة القوات البريطانية في المنطقة اسم قيادة الشرق الأوسط، حسب مفهوم الشرق الأدنى (شمال أفريقيا إلى الحدود الغربية للهند..).

في العام 1921 ظهر مفهوم جديد للشرق الأوسط، حيث أنشأ وزير المستعمرات البريطانية تشيرشل آنذاك إدارة حملت اسم إدارة الشرق الأوسط (فلسطين وشرق الأردن والعراق)، ووصل الأمر ببريطانيا إلى إضافة أفريقيا إلى الشرق الأوسط عام 1941، أي أن مصالح الغرب عموماً هي التي كانت تحدد حدود منطقة الشرق الأوسط.

ولهذا فان أستاذ العلوم السياسية البروفيسور وليد عبد الحي يؤكد أن "الشرق الأوسط ليس مفهوماً جيو- سياسياً أو جيو- استراتيجياً محدداً، وإنما يضيق ويتسع تبعاً لمصالح الدول التي تستعمله فيتسع حيث يتسع النفوذ، ويضيق عند انحسار هذا النفوذ لسبب أو لآخر.

تطور مفهوم الشرق الأوسط فرنسياً: وورد في الموسوعة الفرنسية "لاروز" أن الشرق الأوسط بات يضم آسيا العربية ومصر وتركيا وإيران، وأضيف إليه أحياناً كل من ليبيا والسودان وأفغانستان وباكستان والهند، ويبدو أن هذه الأقاليم تقع خارج النفوذ الفرنسي.

وقد حصر المعهد الملكي البريطاني للعلاقات الدولية حدود الشرق الأوسط بآسيا العربية مضافاً إليها مصر والسودان وتركيا وإيران، في حين تحدد الجمعية الإسرائيلية للدراسات الشرقية منطقة الشرق الأوسط بأنها المساحة الواقعة بين تركيا إلى القرن الأفريقي وإيران إلى ليبيا.

وبحسب البروفيسور عبد الحي، فإنه في جميع المفاهيم التي ارتبطت بالشرق الأوسط، وبصرف النظر عن القوى التي أطلقتها نجد أن المنطقة العربية هي القاسم المشترك، وهي قلب العمليات، أي أنها هي الهدف، ذلك أن أطماع الغرب في الشرق الدافيء وبحاره الدافئة، ولاحقاً ثروته، وما تشكله فلسطين من قوة ورمز لمن يسيطر عليها، وهي التي تحدد مفهوم الشرق الأوسط، وما عملية توسيع حدوده إلا لضمان السيطرة على المنطقة العربية، إضافة إلى العالم الإسلامي، كنوع من أنواع الصراعات الحديثة التي أطلقوا عليها من خلال هنتنغتون اسم "صراع الحضارات".

وعليه فقد طابق معهد الشرق الأوسط في واشنطن بين الشرق الأوسط والعالم الإسلامي، في حين حددته وزارة الخارجية الأمريكية بأنه المساحة الواقعة

بين شمال أفريقيا والهلال الخصيب ودول الخليج مع استثناء تركيا، لأن تركيا عضو في حلف الناتو.

كان الغرب وعلى رأسه الولايات المتحدة في القرن العشرين على وجه الخصوص، مقيدين في التعامل مع مفاهيم الشرق الأوسط، وذلك بسبب وجود الاتحاد السوفييتي الطامح هو الآخر إلى إيجاد موطئ قدم له في الشرق الأوسط، وقد نجح في ذلك من خلال تحالفه مع اليمن الجنوبي والعراق ومصر وليبيا وسوريا، لكنه خسر مصر عندما قام الرئيس المصري أنور السادات بطرد الخبراء الروس من مصر، وقال وزير الخارجية الأمريكي الأسبق "العزيز" هنري كسينجر قولته المشهورة في معرض تعليقه على هذه الخطوة: "لم أر في حياتي رئيساً أغبى من السادات، الذي طرد الخبراء الروس بالمجان، ولو ساومنا على ذلك لأعدنا له الضفة وغزة!!

بعد انهيار الاتحاد السوفييتي عام 1990، وتقلصه إلى روسيا وبعض الجمهوريات السوفييتية، أصبح النفوذ الروسي محدوداً، إذ خسر العراق وليبيا واليمن الجنوبي، وها هي موسكو تبدي الكثير من التشدد إزاء بقاء النظام السوري، لأنها لا تريد فقدان قاعدتها العسكرية في اللاذقية، ووصل الأمر بالرئيس الروسي فلاديمير بوتين أن يقول في تصريح له بداية أيار 2013 إنه لن يتخلى عن الرئيس الأسد حتى لو وصل القتال إلى البيوت في موسكو.

في هذه المرحلة ظهرت الولايات المتحدة قطباً وحيداً أوحداً، فهي حجمت بريطانيا سابقاً، وباتت تتصرف وكأنها صاحبة الشرق الأوسط، وهي الوصية على تحديد مفهومه، وبالتالي ظهر علينا تعبير "الشرق الأوسط الكبير" حتى تضيف سلاحاً جديداً تقاتل به أعداءها، دون أن يخطر على بالها تمرد إسرائيل عليها، إذ أصدر الرئيس الإسرائيلي كتاباً عام 1996، حول الشرق الأوسط،

وعنوانه "الشرق الأوسط الجديد"، وهو ذلك الشرق المجزأ إلى كانتونات إثنية وعرقية ومذهبية وطائفية تكون بمجملها مربوطة في وتد بتل الربيع (تل أبيب).

وقامت أمريكا بنشر قواتها في هذه المنطقة، وكان التركيز على الصحراء العربية التي باتت تعج بالوجود الأمريكي المسلح، ناهيك عن الفضاء المائي العربي، بمعنى أن فضاءات العرب الثلاثة المائية والجوية والبرية باتت ملوثة بالوجود الأمريكي العسكري الذي يرفد إسرائيل بالدعم في حال حدوث أي مواجهة مع العرب.

لا ننسى الحديث عن ملف شمال الأطلسي (الناتو) الذي تقوده أمريكا ويقوم بدور كبير في المنطقة، وآخر معاركه كانت في ليبيا للإطاحة بالقذافي عام 2011، لكنه لم يحرك ساكناً تجاه اليمن وحتى سوريا، مع أننا نمقت أي دور عسكري له في منطقتنا.

عند التعمق في مفهوم الشرق الأوسط الكبير، نجد أن هناك "شرق أوسط صغير" في ثناياه، وترافق ظهوره مجدداً مع مسار التسوية السياسية للصراع الفلسطيني الإسرائيلي، وظهر هذا المشروع للمرة الأولى في مقال كتبه شيمون بيريز في مجلة الأزمنة الحديثة الفرنسية عام 1967 بعنوان "يوم قريب ويوم بعيد." [3]

واتسع الحديث حول هذا الموضوع من خلال جهود تسع وزارات أمريكية وأحد عشر مركز أبحاث عام 1979، قبيل اندلاع الحرب العراقية- الإيرانية التي تمنينا ألا تحدث، لأنها كانت بمثابة دمار شامل للمنطقة ولكن بأيدي أبنائها، كما أنها كانت المسمار الأكبر في نعش القضية الفلسطينية، لأنه لولاها لما تمكن شارون من احتلال بيروت صيف العام 1982، وطرد قوات م.ت.ف من لبنان.

طرأ مفهوم جديد على الشرق الأوسط في هذه المرحلة وهو أنه لم يعد

جغرافياً يضم المغرب العربي وآسيا الوسطى، بل اقتصر على المنطقة الممتدة من مصر إلى إيران وتركيا وآسيا العربية وإسرائيل.

وتحدث بيريز في كتابه عام 1993 عن المفهوم الأمريكي الجديد، وانطلقت أوروبا في عملية البحث عن تكريس هذه المفهوم بعد توفير الشريان الاقتصادي له، لكن مفهوم الشرق الأوسط الكبير عاد من جديد ليحل محل الشرق الأوسط الصغير.

تحدثت المجموعة الوثائقية الأمريكية للمرة الأولى عام 1995 عن مفهوم الشرق الأوسط الكبير من أجل توسيع نطاق عمل القيادة العسكرية الأمريكية الوسطى لتشمل آسيا الوسطى، ووجود ترابط بين الشرق الأوسط الصغير ودول آسيا الوسطى والأقليم المحاذي لها والذي يتضمن النفط والغاز وشبكة الأنابيب الناقلة، بهدف وضع حد للطموح الصيني والإيراني والنووي والإسلامي.

ومن يمعن النظر في أبعاد الشرق الأوسط الكبير، يجد أنها تنحصر في بعدين وتضم النزاع الفلسطيني- الإسرائيلي والخليج وبحر قزوين وجنوب آسيا والمياه والأسلحة غير التقليدية اضافة إلى النفط والغاز.

بعد ذلك بات مألوفاً الحديث عن الشرق الأوسط الكبير أمريكياً وفي المحافل الدولية، ففي خطابه أمام مجلس الناتو في براغ عام 2003، طالب الممثل الأمريكي الدائم في الناتو نيكولاس بيرنز بضرورة اتجاه الناتو جنوباً وشرقاً ليغطي نشاطه الشرق الأوسط الكبير[(4)]، وتبع ذلك حديث للرئيس الأمريكي بوش الابن بنفس مفهوم بيرنز عام 2004.

كما أن وزراء خارجية الاتحاد الأوروبي بحثوا في ورقة معدة من الاتحاد حول مشروع الشرق الأوسط الكبير بنفس العام، حسب المفهوم الأمريكي، كما

أن اجتماع الدول الصناعية الثماني في شهر تموز، اجتماع أمريكي أوروبي في إطار الناتو بتركيا، بحث استراتيجية التعامل مع هذا المشروع الذي أصبح حقيقة واقعة على الأرض.

معروف أن عدداً من كبار المسؤولين العرب يتقدمهم الرئيس المصري المخلوع محمد حسني مبارك والقيادة السعودية رفضوا فكرة الشرق الأوسط الكبير، استناداً إلى فكرة أن الولايات المتحدة لا تستطيع تصدير أنظمة ديمقراطية جاهزة إلى الدول العربية.

إضافة إلى أن اعتماد المبادرة على تقريري التنمية البشرية في العالم العربي للأمم المتحدة بشكل انتقائي ركّز على نواقص يعاني منها العالم العربي في مجالات الحرية والمعرفة وتمكين المرأة، فيما أهملت المبادرة تأكيد تقرير التنمية البشرية على أن استمرار الاحتلال الإسرائيلي للأرض العربية يشكّل أهم التحديات التي تواجه الإصلاح في العالم العربي. وكانت الأمين العام المساعد للأمم المتحدة د. ريما خلف قد اشتكت هي الأخرى من هذا التركيز الإنتقائي.

ولم يكن موقف المثقفين العرب المتعطشين للتغيير، أقل حدة من موقف الرئيس المصري والقيادة السعودية، لأنهم تخوفوا كثيراً من كون هذه المبادرة ذات منشأ أمريكي، وما زاد الطين بلة هو أنها احتوت حزمة من التغييرات في مجالات الحياة والمرأة والطفل والإعلام وغير ذلك مما يظهر العرب وأنهم في طريقهم للتميز والإبداع، فكان السؤال: هل يعقل أن تفتح أمريكا المجال للعرب بأن ينهضوا؟ خاصة وأنها هي التي عملت على طمس حضارتهم وولت عليهم حكاماً أقل ما يقال فيهم أن الديكتاتورية تتبرأ منهم لغلظتهم.

ظهرت أصوات عربية تشكك جلياً بهذا المبادرة وتسمي الأشياء باسمائها وقيل أنها سايكس بيكو2 ولكنها ستكون الأخطر وسيندم العرب يوماً أنهم

عارضوا سايكس بيكو لأن هذه المبادرة ستقسم المقسم وتجزيء المجزأ. بمعنى أننا سنهرب من الدلف إلى تحت المزراب.

وفي هذا السياق يقول السفير إدوارد ووكر، المساعد السابق لوزير الخارجية الأمريكية لشؤون الشرق الأدنى، والرئيس الحالي لمعهد الشرق الأوسط في واشنطن: إن إدارة الرئيس بوش أساءت للمرة الثانية تقديم مبادرة تستجيب لرغبات الشعوب العربية في التحول إلى الديمقراطية، وزيادة الفرص الاقتصادية، واللّحاق بمسيرة التقدم للتمكّن من المنافسة في عالم اليوم، ولو كان ذلك صحيحاً لوجب علينا أن نعترف أننا ظلمنا الولايات المتحدة، وهذا ليس صحيحاً طبعاً.

من الواضح أن امريكا لا تتعظ من أخطائها، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على انها مسيّرة وأن هذا المشروع هو إسرائيلي الهدف، وقد سبق لها وأن قدمت ما سُمي بمبادرة الشراكة مع شعوب وحكومات الشرق الأوسط ولكنها لم تنجح، لأنها كانت صناعة أمريكية وباعتمادات ضئيلة، بحيث يديرها وينفّذها أمريكيون، وعندما أدركت إدارة الرئيس بوش أنه من الأفضل أن تطرح مبادرة أكبر وأشمل، تسعى فيها إلى الشراكة مع المجتمع الأوروبي والدول العربية، لتشعر الأطراف العربية أنها تمتلك مقدرات التغيير والإصلاح وقعت في خطأ تقديمها كتصور أمريكي.

سربت إحدى الدول الأوروبية النص الأمريكي المقترح، الذي كان من المُفترض مناقشته وتقييمه انتظاراً لمؤتمر الإصلاح العربي في الإسكندرية، ثم انتظار موقف القمة العربية في تونس إزاء الأفكار الخاصة بكيفية مساعدة دول المنطقة على تحقيق الإصلاح المنشود في العالم العربي، ووجد الأمريكان أن

مبادرتهم باتت في مأزق كبير، وجرى تصور في العالم العربي أن المبادرة هي خطة أمريكية سيتم فرضها علينا.

وأعرب السفير ووكر عن اعتقاده بأن تسمية المبادرة بالشرق الأوسط الكبير أدى إلى تصور خاطيء بأنها تقدم نموذجا واحداً للإصلاح يتجاهل الخصوصيات والفروق بين ظروف دولة كالمغرب في أقصى غرب المنطقة، وبين دولة مثل أفغانستان في أقصى التعريف الجديد للشرق الأوسط الكبير. مع أنه كان يفترض به أن يكون أول العارفين بأن هذه المبادرة هي إسرائيلية المنشأ، وإن كانت بدفع أمريكي، وقد اعتاد اليهود أن يحاربوا بسلاح غيرهم. وليس ادعاءً أن إحتلال العراق قد كشف الغشاوة عن الذين كانوا يظنون بأمريكا خيراً، إذ بات الخوف يعشش فيهم، وأدركوا أن الطابور العربي سيكون طويلا للدمقرطة الأمريكية، علماً بأن مشروع الشرق الأوسط الكبير كان يعني أكثر من المحرك الأمريكي.

يتفق زبجنيو بريجينسكي، المستشار الأسبق للرئيس كارتر لشؤون الأمن القومي، مع السفير ووكر حول أن إدارة الرئيس بوش استعملت أسلوباً خاطئاً في محاولتها بيع الديمقراطية والترويج لها في العالم العربي.

وبدأ الخطأ باختيار الرئيس بوش طرح تلك المبادرة في خطاب مُفعم بالمشاعر أمام معهد أمريكان "إنتربرايز" معقل صقور الحرب في العراق، وهو معهد لا يُبدي تعاطفاً مع العرب. ومعروف أن هؤلاء الصقور هم من المحافظين الجدد، بل من متطرفيهم وهم بالتأكيد من المسيحية الصهيونية.

رأي الخبير الاستراتيجي الأمريكي أن التحول الديمقراطي في العالم العربي الذي تُروج له المبادرة يُمكن أن يُسفر عن نتائج غير مستهدفة، إذ يمكن أن تُسفر الانتخابات الحرة في أراضي السلطة الفلسطينية عن انتخاب زعيم حركة

حماس، وإذا تمّت انتخابات عاجلة في المملكة العربية السعودية، فليس من المضمون أن يفوز فيها ولي العهد السعودي آنذاك الأمير عبد الله والذي أصبح ملكاً للعربية السعودية، وهو من الإصلاحيين، على زعيم ديني متشدد يتبع خطى بن لادن.

وهذا ما حدث في الانتخابات الفلسطينية إذ فازت حماس، وأدى ذلك إلى حصارها دولياً وحتى عربياً، وتقلص حجم القضية الفلسطينية من قضية مقدسة إلى لقمة الخبز اليومي لأهالي قطاع غزة حيث تربعت حماس وحكومتها.

لا شك أن الرسالة وصلت بريجينسكي، وأن ما عقّد استقبال مبادرة الشرق الأوسط الكبير هو تَشكّك الدول العربية والأوروبيين في أن الاهتمام المفاجئ من إدارة الرئيس بوش بالديمقراطية في الشرق الأوسط يرجع إلى رغبة الإدارة في تأجيل القيام بأي دور نشط في عملية السلام بين الفلسطينيين والإسرائيليين، وظهر ذلك جلياً عندما صرّح ديك تشيني، نائب الرئيس الأمريكي بأن الإصلاح الديمقراطي في الشرق الأوسط هو شرط لازم للتوصل إلى تسوية سلمية للصراع العربي الإسرائيلي الطويل الأمد، وهو بذلك قد وضع العربة قبل الحصان، وهنا يكمن سوء النية الأمريكي. ورد عليه بريجينسكي بأنه يتجاهل حقيقة تاريخية مفادها أن الديمقراطية لا تنتعش إلا في مناخ من الكرامة السياسية، ولذلك فإن الفلسطينيين لن يشعروا بجاذبية الديمقراطية، طالما رزحوا تحت ذل السيطرة الإسرائيلية وتعرضوا للإهانة بشكل يومي، وينطبق ذلك على العراقيين الذين يُعانون من وطأة الاحتلال الأمريكي.

اقترح بريجينسكي لنجاح هذه المبادرة ثلاثة أمور:

أولاً، أن يتم تطويرها بالتعاون مع الدول العربية، لا أن تُقدم لهم كصيغة أمريكية.

ثانياً، أن تعترف المبادرة بأنه بدون توفّر الكرامة السياسية النابعة من حق تقرير المصير، وإلا فإن إقامة الديمقراطية سيكون من سابع المستحيلات، وبالتالي، يجب أن تقترن المبادرة بجهود حقيقية لمنح العراقيين والفلسطينيين سيادتهم.

ثالثاً، أن تضع الولايات المتحدة أُسُساً مضمونة لتسوية سلمية في الشرق الأوسط، ثم تشرع في وضعها موضع التنفيذ. أيده بذلك د.جوزيف سيسكو، الوكيل السابق لوزارة الخارجية الأمريكية في ضرورة التشاور مع الدول العربية حول سُبل المساعدة التي تحتاج إليها للمضي قُدماً بخطط التحول الديمقراطي وبرامج الإصلاح، بدلاً من أن تسلمها تصوراً أمريكياً قد يحظى بمساندة قمة الدول الصناعية أو المجتمع الأوروبي.

كما اتفق سيسكو مع د. بريجينسكي في ضرورة الإقرار بحق تقرير المصير لشعوب المنطقة، وخاصة الشعبين العراقي والفلسطيني، ويقول: "إن ذلك الإقرار يساعد في إزالة الحاجز النفسي بين الشعوب العربية والغرب الذي يستند إلى شعور بانتقاص العرب لكرامتهم عن طريق الاحتلال الأجنبي".

قال الدكتور سيسكو: "إن أول خطوة على هذا الطريق هي الشعور بالحرية كمقدمة للديمقراطية. ولذلك، يجب إقرار حقوق الشعوب العربية في تقرير مصيرها، وخاصة الشعب الفلسطيني". غير أنه يرى كذلك أن أحد أهم عناصر استعادة الكرامة في العالم العربي هو إحداث مستوى من النمو الاقتصادي في

المجتمعات العربية، بحيث تتحسّــن الأحوال المعيشـية اليوميـة للمـواطن العربـي، وحينما يَـأمن على رغيفه، سيتمكّــن مـن الشـعور بالحريـة والرغبـة في ممارسـة حقوقه السياسية.

وأُقر د.سيسكو بأنه لن يمكن للولايات المتحدة من خـلال مبـادرة الشـرق الأوسط الكبير أن تنجز مهمة إدماج إسـرائيل في شـرق أوسـط أكـبر يضـم إلى العالم العربي دولاً أخرى، كإيران وتركيا وأفغانسـتان وباكسـتان، إلا إذا دخلـت إسرائيل في اتفاق سلام شامل ينهي الصراع العربي الإسرائيلي، حيث أن السلام والديمقراطية يجب أن يسيرا جنباً إلى جنب.

يروي د. عصمت عبد المجيد أمين عام جامعـة الـدول العربيـة الأسـبق أن شيمون بيريز سأله ذات مرة: متى ستقبلون انضمام إسـرائيل إلى جامعـة الـدول العربية؟ فأجابه عبد المجيد: عندما تتكلم إسرائيل العربية![1] ولم يقل عبد المجيد، أو أنه لم يرد الأيضاًح أنه في حال انضمام إسرائيل للجامعة العربية فسـيتم تغـيير اسمها إلى جامعة الشرق الأوسط.

المصادروالمراجع

1- الشرق الأوسط الكبير.. مؤامرة أمريكية ضد العرب. د. سعيد اللاوندي ص 31.

السم في الدسم

أكثر ما يحز في النفس، أن أمريكا شخصت أوضاعنا ورسمتنا جيداً على أوراقها، ووصفت لنا المخطط لتحويلنا إلى ما يخدمنا من خلال تحقيق ما ينقصنا وهذا هو الدسم الذي أخفوا فيه السم، فهم الذين زرعوا الأنظمة الديكتاتورية الفاسدة، ورعوها بالدعم المادي والغطاء العسكري والحماية في الأمم المتحدة، وها هم يتحدثون عن مضمون شرق أوسطهم الكبير، بأنهم يرغبون بدمقرطتنا، وتسوية النزاعات الإقليمية وفي مقدمتها الصراع الفلسطيني- الإسرائيلي، الذي يعد حجر الأساس، والرغبة الملحة في تثبيت إسرائيل دولة سيدة في المنطقة.

كما أن هم دعوا إلى زيادة التنسيق الأورو- أمريكي في التعامل مع مشاكل المنطقة، وهذا يقع ضمن البند السياسي.

أما البند الاقتصادي فإن الحصيف ومن أول نظرة يكتشف أن كل ما قيل في هذا الشأن، إنما يصب في مصلحة إسرائيل من حيث الانفتاح الاقتصادي والتطبيع مع إسرائيل في هذا المجال دون ذكر ذلك على المكشوف، ناهيك عن الدعوة إلى تغيير المناهج التعليمية في المنطقة. وقد دعا وزير خارجية أمريكا السيناتور جون كيري في مؤتمر دافوس على شاطئ البحر الميت في أيار 2013 إلى السلام الاقتصادي متجاوزاً أسس الصراع المنطقية.

هذا ما يعمل عليه "معهد بحوث ودراسات الشرق الأوسط الإعلامية"- ميمري- الذي أسسه ضباط مخابرات من الموساد الإسرائيلي في واشنطن عام 1998 ومن أهدافه مراقبة الإعلام والمساجد والمناهج في المنطقة، وترجمة "الخلل" إلى اللغات الرئيسة الغربية وتوزيعه على الكونغرس والاتحاد الأوروبي وال (إف- بي- آي) وبالنكهة الإسرائيلية، والقول للغرب: إن العرب يكذبون

عليكم عند الحديث باللغة الإنجليزية، ويقولون لكم إنهم يحبونكم ويحبون اليهود، أما في أحاديثهم باللغة العربية فإنهم يكرهونكم ويكرهون اليهود لأنهم يشاركونكم نفس القيم!! وقد كنت أحد ضحاياه، لأنني كتبت مقالاً يوم 29/ 11/ 2011 في جريدة "العرب اليوم" بعنوان "إسرائيل والسلام لا يتفقان" ** وقد اشتكى عليَّ للحكومة الأردنية، وجرى فصلي من عملي في الجريدة، ولكنهم نفذوا قرار الفصل بعد ثمانية أشهر عند بلوغي سن الستين ليبدو الأمر وكأنه قانوني.

تحدث مشروع الشرق الأوسط عن حقوق المرأة، وكأن المرأة في الغرب تربعت على عرش حقوقها، وأصبحت كياناً محترماً بعيداً عن الاستغلال، كما تطرقوا إلى موضوع حقوق الإنسان، وبرعت مؤسسة "راند" الأمريكية قريبة الصلة بالبنتاغون في هذا الموضوع في دراسة أطلقت عليه" الإسلام الديمقراطي المدني عام 2003"، وقسمت فيه الإسلاميين إلى معتدلين ترضى عنهم أمريكا ومتطرفين لا ترضى عنهم أمريكا وهم الشريرون الذين يعادون إسرائيل وأمريكا.

تعج هذه الوثيقة بنصائح شيطانية منها: تعرية الإخوان المسلمين، وتشجيع الانشقاق بين الإسلاميين، وشيطنة المتطرفين، وتشجيع الليبراليين وتشجيع الحركات الصوفية، ولبرلة التعليم الديني، وخلق منظمات المجتمع المدني، وتمويل وإنتاج مسلسلات فنية تعمق الطائفية، ودعم الشباب![1]

لا توجد جريمة كاملة، ولا يوجد مجرم ذكي، إذ أن الدلائل التي استنبطناها من غزو أمريكا لكل من أفغانستان 2001 والعراق 2003 كتبعة من تبعات تفجير البرجين في 11 سبتمبر 2001، تؤكد أن تلك التفجيرات شكلت تحولاً في النظرة إلى الشرق الأوسط الكبير، وأنه آن الأوان لقيام أمريكا بالتنفيذ لكنها عجزت عن ذلك، لأسباب أوردناها آنفاً.

ما نقوله ليس استعراضاً معرفياً، بل هو مقرون بالدلائل المثبتة على الأرض، إذ أن الندوة المشتركة التي عقدت في باريس في 25-11-2003 وشارك فيها كل من مركز راند لسياسات الشرق الأوسط العامة، والمعهد الفرنسي للعلاقات الدولية، ناقشت ضرورة تطوير دور حلف الناتو ليشمل العراق وأفغانستان، ويصبح الشرق الأوسط الكبير، المركز الجديد للتحالف عبر الأطلسي، وبذلك أصبحت مسؤولية الشرق الأوسط الكبير غربية، وليست أمريكية مع ما يلزم من تطورات لمواكبة متطلبات المرحلة مثل قيادة أمريكا لحلف الناتو في العراق، وإشراك الأمم المتحدة سياسياً واقتصادياً، وإعادة هيكلة القوات الأمريكية في أوروبا، لتلبية الاحتياجات الجديدة في الشرق الأوسط.

وهناك خلاف بين أمريكا وأوروبا حول دور الناتو الجديد، إذ يرغب الأوروبيون ببقاء الناتو بعيداً عن الشرق الأوسط، في حين أن الأمريكيين يريدون من الناتو أن يكون حلفاً عالمياً، بمعنى أن الأوروبيين يريدون إضفاء الطابع السياسي على هذا الحلف، أما الأمريكيون فيرغبون بأن يكون له طابع عسكري بمعنى أن الخلاف يكمن في التوظيف.

"إن هي إلا لعبة كبرى.. اسموها الشرق الأوسط الكبير"[2]، ويقول رئيس تحرير صحيفة البديل الأستاذ محمد حمدان القاق في سلسلة مقالاته التي حملت هذا العنوان، أنها لعبة جديدة، وإن الشرق الأوسط كبير فعلاً بحجمه وثرواته وتاريخه وثرواته وسكانه وعطائه، وأضاف: إنه كبير في تنوعه وإبداعه، ولا شك أن فضل الشرق كبير على الغرب من حيث العلوم وغير ذلك.

يورد القاق أن إدراة بوش التي استيقظت على حلم تنفيذ الشرق الأوسط الكبير، كانت تفكر في مصير الاتحاد السوفييتي، الذي انتهى إلى جمهوريات مستقلة، وذلك استناداً إلى رأي كل من المحللين روين رايت وغلين كيسلر، وأن

الرغبة كانت ملحة لإشراك أوروبا في هذا الخطة، وأرى أن محاولة إشراك أوروبا لم تأت حباً بها أو من فراغ، بـل رغبـة مـن أمريكـا في إيجـاد ممـول لمشـاريعها في المنطقة، وهذا ما جرى من خلال ما يطلق عليـه الأوروبيـون مشـاريع الشـراكة، ناهيك عن الدور الأوروبي في محاولات إنهاء الصـراع الفلسـطيني- الإسـرائيلي الفاشلة، وكان دور أوروبا هو التمويل بينما الريع السياسي يكون لأمريكا.

الهدف الحقيقي غير المعلن من وراء سعي أمريكا لتنفيذ هذا المشروع، هـو تفتيت المنطقة، وتحويلها إلى بيئة تنازع دائم لتكون دائمة الحاجة للحماية الإسرا- أمريكية، أما الهدف غير الحقيقي والمعلن فهو ادخال الديمقراطية إلى المنطقة.

واقع الحال يصفع هذا التزوير الأمريكي، فها هو العراق بعد عشر سنوات من الاحتلال، معلن برسم التقسيم، وإن بوادر التقسيم وخطوطه بدأت تتجسـد عملاً على أرض الواقع، والسؤال هنا: ألا يعلم الأمريكيون أن الشعوب العربية ترفض السياسة الخارجية الأمريكية وتحاول الانقضاض على المصالح الأمريكية، لولا التضييق والكبت الممارس عليها من قبل أنظمة الحكم الديكتاتورية؟ فهل يا ترى سيستقيم الحال لو أن الديمقراطية أشرقت شمسها في الـوطن العربـي، هـل ستبقى هنا سفارات أمريكية أو إسرائيلية في المنطقة؟

يخلص القاق إلى القول: إن أوروبا تدرك جيداً أن أمريكا تريد لها أن تكون مثل حصان طروادة[3] وأن أوروبا ذاتها ستكون مستهدفة في نهاية المطاف، حتـى لا تنتقل إلى دور القطب الثاني بعد أمريكا وخاصة بعد توسيع الإتحاد الأوروبي.

أصبحت منطقة الشرق الأوسط عرضة للعبث الدولي من أجـل التغـيير، بعد انهيار الاتحاد السوفييتي بداية تسعينيات القرن المنصرم، وقد كشرت أمريكـا عن أنيابها بعد أحداث البرجين في 11-9-2001 واختـرع بـوش الابـن نظريتـه

المعهودة: "من ليس معنا فهو ضدنا"، وكانت النية السيطرة على الشرق الأوسط الغني الدافيء، ورأينا صوراً جرى اختلاقها وأهمها الحرب على الإرهاب.

برزت فكرة الشرق أوسطية، أو إيجاد نظام اقليمي جديد يشمل إسرائيل في عهد بوش الأب، الذي مهد عهده لبزوغ الشمس الأمريكية كوكباً وحيداً على الأرض، تمهيداً لحل الصراع الفلسطيني- الإسرائيلي- وقدموا لذلك باختراعات أولها مؤتمر مدريد للسلام، بعد إلحاق الهزيمة بالجيش العراقي في الكويت وحصار العراق، والبدء بالمفاوضات متعددة الأطراف ومؤتمرات القمة الاقتصادية للشرق الأوسط وشمال أفريقيا[4].

لكن الملاحظ أن الاهتمام بتنفيذ مشروع الشرق الأوسط الجديد قد تراجع إبان ولاية بيل كلينتون الثانية (1996-2000) بعد فشل قمة كامب ديفيد بين الرئيس الفلسطيني الراحل ياسر عرفات وشارون وكلينتون، مما أدى إلى انهيار عملية التسوية، لكن الأمور عادت إلى سيرتها الأولى في عهد بوش الابن في شباط 2004.

بعد تنفيذ عملية تفجير البرجين وما رافقها من أعمال إرهابية أخرى، ومنها حصار طائرة الرئيس بوش في الجو، أصبح الشغل الشاغل للرئيس بوش الصغير هو التبشير بالرغبة الأمريكية بدمقرطة ولبرلة الشرق الأوسط، وربطه بالتجارة الحرة والحرب على الإرهاب والفساد وإنجاز الإصلاحات المطلوبة، ورافق ذلك إعلان خارطة الطريق التي قدمتها اللجنة الرباعية الدولية عام 2003 لكن شارون رفضها في حينها.

إن دل هذا على شيء فإنما يدل على الرغبة الأمريكية في تمهيد الطريق أمام إسرائيل للاندماج في المنطقة كدولة يهودية خالصة نقية، وأن يتم شطب

جامعة الدول العربية وتأسيس جامعة الشرق الأوسط على أنقاضها تكون إسرائيل عضواً مؤسساً سيداً فيها.

كان الهدف من مشروع الشرق الأوسط الكبير، الذي تم طرحه بعد احتلال العراق، هو استمرار العمل لفكرة المشروع الذي طرح في تسعينيات القرن المنصرم، وشطب الهوية القومية للمنطقة، وذوبان القومية العربية في مكونات الشرق الأوسط الكبير لتفقد بريقها ودورها وثقلها، ويصبح العرب حالهم كحال التركمان أو أي أقلية أخرى في المنطقة، ورغبة من أمريكا في الاستثمار في السلام بدلاً من الحروب[5].

هذا يعني أن مصلحة إسرائيل هي التي اقتضت تخريب الشرق الأوسط، استناداً إلى أن الشعوب الغنية تخاف من الحروب وتبعاتها أكثر من الشعوب الفقيرة، وكأن الدول العربية خاضت حروبا حقيقية ضد إسرائيل.

ولعل الإتيان بالرئيس جورج بوش الابن الذي لطمت والدته على وجهها عندما علمت بفوزه رئيساً، وقالت: "أيعقل يا الله أن يصبح أغبى أبنائي رئيساً لأمريكا؟" لكنها لم تعلم أن تلك كانت إرادة يهود الذين أرادوا الانتقام من بوش الأب الذي منعهم من تنفيذ مشروع طائرة لافي، ورفض منحهم قرضاً مقدراه عشرة مليار دولار مقابل حضورهم مؤتمر مدريد للسلام.

أراد يهود البرهان لبوش الأب أنهم سيحققون من خلال ابنه ما عجزوا عن تحقيقه في عهده، وهكذا كان، اذ جاؤوا به رئيسا متهوراً، اقتنع بكل بساطة أن هناك إرهاباً إسلامياً ضد أمريكا، وأن من ينتصر على العراق المحاصر منذ العام 1990 سينتصر في حرب هرمجدون!

كانوا بذلك يريدون رئيساً أمريكياً على مقاسهم، ليعيث فساداً وتقسيماً في

منطقة الشرق الأوسط، وإنجاز خريطة جديدة له تتناسب مع الطموح الإسرائيلي.

لذلك جاءت جريمة 11 سبتمبر الإرهابية لتكون مدخلاً ليهود كي يورطوا أمريكا مباشرة في الشرق الأوسط.

هناك مؤشر آخر وهو أن بوش الصغير، ولكي يقفل ملف والده الذي أمر بعقد مؤتمر مدريد للسلام، أعلن عدم اهتمامه بالعملية السلمية، لأن شارون واللوبيات اليهودية في واشنطن نصحوه بوعورة هذا الطريق، ولذلك رأيناه يهتم بتنفيذ مشروع الشرق الأوسط الكبير، ويغلق عينيه وأذنيه حتى لا يرى أو يسمع تطورات الصراع الفلسطيني- الإسرائيلي، وكان جل اهتمامه هو التأكيد على مفاهيم الشرق الأوسط الكبير، كما أنه آمن أن الصراع الفلسطيني- الإسرائيلي ليس هو مصدر التوتر والتطرف في المنطقة، وأن الاحتلال الإسرائيلي، ليس هو المصدر الأساسي لنمو التطرف و"الإرهاب"، وحمل ذلك للنظام العربي الذي يرعى الفساد وينمي الفقر(6).

هذه هي ملامح ومفاهيم الشرق الأوسط الكبير الذي أراد بوش الصغير مدفوعاً من قبل يهود، تكريسه على أرض الواقع، وأن تصبح المساحة الواقعة ما بين غزة إلى بحر قزوين، عبارة عن خارطة فسيفساء غير متجانسة، تتربع إسرائيل اليهودية على عرشها لتؤمر فتطاع.

أما مفهوم وملمح الشرق الأوسط الكبير عندنا فهو التخلص من سايكس بيكو، والوحدة والتوحد واقامة علاقات جوار تشابك فيها المصالح بين العرب والمسلمين وحتى غير المسلمين في الإقليم إعلان الشرق الأوسط الكبير، منطقة حرة خالصة من السلاح النووي ومن إسرائيل ومن التطرف.

نستطيع ذلك من خلال تغليب العقل والمنطق، وتوجيه خطاب جديد للعالم، نقول فيه: إننا، عرباً ومسلمين لن نقبل هيمنة أحد علينا، وإننا أحرار في أوطاننا، ونعلن عن رغبتنا بسحب أرصدتنا المهولة في بنوك الغرب، وإيداعها في بنوك الإقليم لتسهم في التنمية المستدامة، كما أننا مستعدون للحوار مع الآخر دون إسرائيل بطبيعة الحال، من منطلق النِدّية والتعامل مع الجميع بموجب المقايضة، أي أننا بحاجة للآخر لنستفيد مما لديه، وهو بحاجة لنا ليستفيد مما نملك.

بشر بوش الابن بإقامة منطقة حرة مع 23 دولة في الشرق الأوسط، زاعماً أن هذه المنطقة بحاجة إلى مستثمرين أجانب، وأن ذلك مقدمة لإحلال السلام فيها.[7]

المصادر والمراجع

1- مشروع الشرق الأوسط الكبير.. البعد الاستراتيجي أ.د. وليد عبد الحـي ص9

2- حدث غدا – محمد حمدان القاق ص21

3- المصدر ذاته ص26

4- مشروع الشرق الأوسط الكبير، دلالاته وإشكالاته ماجد كيالي ص9

5- المصدر ذاته ص18

6- المصدر ذاته ص20

7- الشرق الأوسط الكبير.. مؤامرة امريكية ضد العرب.د.سـعيد اللاونـدي ص56

** Tuesday, November 29, 2011

Jordanian op-ed sets record for amount of anti-Semitism in one article

This column ist in Jordan's Al Arab al Yawm، Asad al-Azzouni, manages to hit every major anti-Semitic stereotype about Jews - and create a couple of new ones - in a pretty short op-ed.

MEMRI gives us the translation:

Israel is a peace rejectionist. That much is obvious. But what people don't know is the reason for this– namely، that Jews and peace are generally incompatible.

[The Jews] are the epitome of corruption، and this is what caused the Christian West to commit inhuman acts [against them] and to violate international laws. I am referring to the [West's] scheme to expel the Palestinians from their land and hand it over to the Jews as their national homeland…

The Christian West was repulsed by the Jews, their plots, their licentiousness and their [practice of exacting] usury, and decided to get rid of them، not knowing that they would encircle the whole West in a Christian-Zionist noose، bind everyone in shackles of humiliation and contro, and pass freedom-limiting laws, such as the law [against] antisemitism.

None of the wars and conflicts in the world would have started if it weren't for the Jews, who scheme in the darkness to start fires in [various] countries and instigate conflict among people. What is written in The Protocols of the Elders of Zion is perhaps [the best] proof that they [work to] prevent peace from prevailing between the ruler and his subjects. They form groups that establish ties with both sides and incite each against the other, warning the ruler against his citizens and [at the same time] urging the citizens: 'rise up against your oppressive ruler'.

It was the Jews who invented the position of secretary– in order to create a buffer between bosses and their subordinates…

[They also invented] the legal profession in order to exonerate oppressors and oppress the innocent. They are behind all [forms of] corruption, and they are not happy unless they are [instigating] wars.

The Jews cannot live with others، regardless of their identity، and that is why they invented [their] ghettos and fortresses. During their heyday in Europe, they lived in special neighborhoods of their own، and in the Arabian Peninsula، before the advent of Islam, they lived in fortified compounds, which explains why [today] they choose to build their West Bank settlements on the tops of the hills and the mountains.

Their tanks and [fighter] jets also [serve them as] fortresses. The way they arm and equip themselves indicates the extent of their cowardice…

But in confrontations without tanks and jets, they are transformed from ferocious lions into helpless rabbits. This was clearly evident in the [1968] Battle of Karama [in Jordan]، in the battles in South [Lebanon] and during the siege on Beirut. May God curse those who strengthened [the Jews] while weakening themselves.

For Israel, war is an opportunity to gain sympathy by any means. During the 1960s, there was a German film which showed

22 men dressed as Arabs, armed with swords and [other] weapons، surrounding a beautiful half-naked girl who was crying for help. At the end of the film، a caption appeared saying 'Save Israel'! [When] the lights came on in the theatre, pretty half-naked girls would pass [through the audience] with collection boxes labeled 'Donate to Israel…'!

They twist every situation to their own advantage، [including] statements by Arab and Muslim leaders... They market [these statements] to the West as threats against Israel، and the West – which fears that the Arabs might defeat Israel, forcing [the Jews] to return to their [countries] of origin – is thus forced to support Israel، materially, morally and politically.

Israel understands very well that if it allows the Arabs' feebleness to be understood as peace, the West – including even the Jews that refuse to emigrate [to Israel] but [nevertheless] support it– will withdraw [its support]… That is why [Israel] fights every effort to make peace, and deals daily blows to the Arabs who call for peace and aspire to it... That is why it has decided to keep the flame of threat and tension burning in the region.

We have seen how Israel continues its aggression in the Gaza Strip, though Hamas is calling for a tahdiah and wants a long-term ceasefire with the enemy, and is [even] keeping other factions from

carrying out armed operations against Israeli targets. [In fact،] if nobody [threatens] it, it will instruct its own agents to carry out deliberate terrorism against civilian Israeli targets, so that it can scream bloody murder [and tell] the West that the Arabs are not interested in peace with it, and that it needs urgent help in order to defend its citizens. For it knows that the West, terrified of the possibility that the Jews might come back، will meet its demands.

One of the commenters actually took the author to task for promoting racism, saying there were some good Jews. Like Mordechai Vanunu.

5 Posted by Elder of Ziyon at 3:09 PM

المقال باللغة العربية

السلام وإسرائيل لا يتفقان

بقلم: أسعد العزوني 2011- 10- 29

إسرائيل ترفض السلام، وهذا بدهي، لكن الذي لا يعلمه العامة أن السبب في ذلك يكمن في أن يهود بعامة والسلام لا يتعايشان، فهم عنوان الفساد والإفساد، وهذا ما دعا الغرب المسيحي لارتكاب جميع المحرمات الإنسانية. وتجاوز القوانين الدولية، وأعني بذلك التحايل لنزع فلسطين من أهلها، وتسليمها ليهود وطناً قومياً لهم، وذلك بعد أن وجدوا "رخاوة "من الإقليم.

قرف الغرب المسيحي من يهود ومؤامراتهم وعبثهم ورباهم، فقرر

التخلص منهم، دون علم منه أنهم سيطوقون الغرب بأكمله بطوق المسيحية- الصهيونية، وتكبيل الجميع بقيود الذل والهيمنة، وسن القوانين المقيدة للحريات ومنها قانون اللاسامية وغير ذلك!

زد على ذلك أن جميع حروب العالم ونزاعاته، لم تكن لتحدث لولا أصابع يهود التى تعبث هنا وهناك في الظلام، لإشعال النيران في البلاد وبين العباد، ولعل ما ورد في "بروتوكولات حكماء صهيون" خير دليل على ذلك، ومنها عدم السماح للأمن والسلام أن يسودا بين الحاكم ورعيته، من خلال تشكيل فرق مهمتها الاتصال بالطرفين لتؤلب هذا على ذاك، وتقول للحاكم احذر من رعيتك، وتقول للرعية ثوروا على حاكمكم الظالم.

وهم أنفسهم من ابتكر مهنة السكرتاريا لحجب المسؤول عمن هم دونه ويعملون معه، وكذلك مهنة المحاماة لتتم تبرئة الظالم وظلم البريء، وهم وراء كل رذيلة، ولا تستقيم حالهم أبدا إلا بالحروب.

يهود، لا يستطيعون العيش مع الآخر، بصرف النظر عن هويته، لذلك ابتدعوا الغيتو والحصون، حتى إنهم وإبان بحبوحتهم في أوروبا، عاشوا في حارات خاصة بهم، كما أنهم عاشوا في حصون محصنة في الجزيرة العربية قبل الإسلام، وهذا ما يفسر اختيارهم للمرتفعات وقمم الجبال في الضفة ليقيموا عليها مستعمراتهم.

إضافة إلى ذلك، فإنهم جعلوا من دباباتهم وطائراتهم حصوناً، وحمولتهم الفردية من الأسلحة والتجهيزات تدل على مدى جبنهم، وهذا هو منبع صلفهم وتعنتهم، لكنهم، عند المواجهة بدون الدبابات والطائرات يتحولون من أسود هائجة إلى أرانب لا حول لها ولا قوة، وظهر ذلك جلياً في معركة الكرامة

ومعارك الجنوب وحصار بيروت، لكن قاتل الله من زودهم بالقوة من خلال إضعاف ذاته.

أما من الناحية الثانية، فإن الحرب بالنسبة لإسرائيل باب مكسب لاستدرار العطف، بصرف النظر عن الأسلوب، ففي منتصف ستينيات القرن المنصرم عرض فيلم سينمائي في ألمانيا، وكان أبطاله 22 بطلاً يحملون أدوات البلطجة والسيوف، ويرتدون الزي العربي، ويشكلون دائرة تقف فيها فتاة جميلة شبه عارية، وتصرخ طالبة النجدة، وما إن انتهى الفيلم حتى ظهرت يافطة كتب عليها: أنقذوا إسرائيل!

وعند ذلك أشعلت الاضواء في قاعة العرض، وتحركت حسناوات شبه عاريات يحملن صناديق كتب عليها: تبرعوا لإسرائيل!

هكذا يعملون، فلا ضعفنا يرضيهم، ولا جعجعتنا تفيدنا، فهم يستغلون كل حالة لصالحهم، ومن ذلك أنهم يستغلون تصريحات القادة العرب والمسلمين مع أنها في واقعها لا تسمن ولا تغني من جوع، ويسوقونها للغرب على أنها تهديدات فعلية لإسرائيل، وبالتالي، فإن المطلوب من الغرب- المرعوب من فكرة أو احتمالية قيام العرب بهزيمة إسرائيل، وإجبار يهود على العودة إلى من حيث أتوا- تقديم الدعم المادي والمعنوي والسياسي لإسرائيل.

إسرائيل تدرك جيداً أنها لو سمحت للخنوع العربي أن يتجسد في سلام على الأرض فإن الغرب وحتى يهود الذين يرفضون الهجرة إليها، ولكنهم يدعمونها ويعملون من أجلها، سيرفعون أيديهم عنها، وكذلك أمريكا والغرب، ولذلك فإنها تخرب كل جهود السلام، وتصفع العرب الداعين والساعين جادين إلى السلام، يومياً بقولها على سبيل المثال إن عباس لا يمثل الفلسطينيين، وهذا

يفسر سر الانقسام الفلسطيني وعدم قدرة القيادات الفلسطينية على تجاوز وتحقيق المصالحة.

لذلك فإن قرار إسرائيل هو ابقاء جذوة التهديد والتوتر في المنطقة مشتعلة، وقد رأينا كيف أن إسرائيل تواصل عدوانها على قطاع غزة، مع أن حركة (المقاومة) الإسلامية حماس تدعو للتهدئة وترغب بهدنة طويلة مع العدو، وتمنع الفصائل الأخرى من القيام بعمليات مسلحة ضد الأهداف الإسرائيلية، وحتى لو لم يرد على عدوانهم أحد، فإنها توعز لعملائها، للقيام بتنفيذ عمليات ضد أأهداف إسرائيلية مدنية بالطبع، لتصرخ بأعلى صوتها في الغرب وتقول إن العرب لايريدون السلام معها، وإنها بحاجة لمساعدات عاجلة لتحمي مدنييها، ولأن الغرب مرعوب من احتمال عودة يهود إليه، يلبي مطالبها.

أوروبا ومشروع الشرق الأوسط الوسيع

صحيح أن من أهم أهـداف الاسـتحواذ الأمريكـي علـى منطقـة الشـرق الأوسط، هو تحقيق الرغبة الإسرائيلية بأن تكون إسـرائيل اليهوديـة هـي الـنجم الساطع في سماء الشرق الأوسط الوسيع، الغارق في منازعاته العرقيـة والإثنيـة، يلي ذلك بطبيعة الحال حرمان أوروبا الموحدة من إيجاد موطئ قدم لها في الشرق الأوسط، وألا يتعدى دورها دافع الشيكات أو الممول للتنميـة ومحـاولات إنهـاء الصراع الفلسطيني- الإسرائيلي، ناهيك عن كبح جماح الصـين وروسـيا وحتـى إيران التي دخلت النادي النووي، وباتت قوة يحسب لها ألف حساب.

أدرك الأوروبيون سوء النوايا الأمريكية، فتحركوا علـى الأرض حتـى لا ينحصر دورهم بدور دافع الشيكات. ودعوا إلى إجراء بعـض التعـديلات علـى مشروع الشرق الأوسط الوسيع، دون أي مسـاس لمرتكزاتـه الأساسـية، وقـدم وزير خارجية ألمانيا يوشكا فيشـر مبـادرة لإصـلاح الشـرق الأوسـط، ودخلـت فرنسا على الخط، وولـدت مبـادرة ألمانيـة- فرنسـية جديـدة اسمهـا " مـن أجـل مستقبل مشترك مع الشرق الأوسط". كما أصدر الاتحاد الأوروبي مبادرة موحدة يعنوان " التقرير المرحلي لعلاقة الشراكة الاستراتيجية بين الاتحاد الأوروبي ودول المتوسـط والشـرق الأوسـط"، تحـدث فيهـا عـن رؤيتـه لواقـع الشـرق الأوسـط ومشكلاته وهي الإصلاح والقضية الفلسطينية والعراق[1].

لعل من المفيد التذكير بأن أوروبا فتحت الباب واسعاً لإسـرائيل لـدخول الشرق الأوسط الكبير والاندماج فيه، عن طـرق مشـروع اتحـاد دول المتوسـط، وقد عارضت فرنسا- شيراك وألمانيا- شرودر، استفراد أمريكا بالشرق الأوسط،

وعارضتا سياسة بوش الابن، وهذا ما دعاهما لمعارضة العدوان الأمريكي على العراق.

وفي السياق ذاته، لا يجب أن ننخدع طويلاً بمثل هذه الخلافات، وأن نتوقع من الآخرين القيام بدورنا وتحقيق أهدافنا، فغيابنا عن الساحة أدى إلى استقواء الجميع علينا.

بعد جريمة 11 سبتمبر الإرهابية عدل الأوروبيون مسارهم واستقلوا القطار الأمريكي بدعوى محاربة "الإرهاب" والدعوة إلى الإصلاح في الوطن العربي على وجه الخصوص، إلى درجة أن وزير خارجية ألمانيا يوركا فيشر قال علانية إن "الخطر الكبير الذي يتهدد أمننا الإقليمي والعالمي في بداية هذا القرن، هو الإرهاب الجهادي المدمر، بأيدولوجيته التوتاليتارية، وبؤرته الشرق الأدنى".

لكن أوروبا سجلت نقاطاً عديدة بخصوص نظرتها إلى واقع الشرق الأوسط خلال نقاشاتها مع أمريكا، فقد رفضت الإصلاح الأبوي، وأن يكون ذلك من خلال مشروع أوروبي- أمريكي مشترك مستنداً على تفاهم مع حكومات الاقليم، لكن أمريكا أصرت على الغزو والعدوان كما هو الحال في أفغانستان والعراق.

لعل ذلك يجسد الخلاف الأوروبي- الأمريكي، لأن أوروبا كانت تريد الحصول على العنب لا قتل الناطور (الحراس) للكرم، أما أمريكا فعملت على قتل جميع الحراس وربما لم تحصل على العنب لأنها سممته بقنابلها وأسلحتها الكيميائية.

زد على ذلك أنه وعلى الرغم من تجاهل بوش الابن للصراع الفلسطيني- الإسرائيلي، عكس أبيه بوش الأب، فإن أوروبا أبقت على درجة الاستعداد

والمساهمة الفعلية في القضية الفلسطينية والتوصل إلى سلام عادل وشامل في المنطقة، وارتضت بدور دافع الشيكات، وهي تعلم أن الربيع السياسي لأي تقدم في هذا المسار إنما سيكون لأمريكا التي لم تتخل يوماً عن إسرائيل، وتدعمها سنويا بمبلغ 3.1 مليار دولار نقداً في إطار برنامج مساعدات شامل للأسلحة والمعونات والدعم السياسي في المحافل الدولية، إلى درجة أنني لم ألتق مسؤولاً أمريكياً يتحدث معي عن مصالح بلاده، بل ينهمك في الحديث عن مصالح ومستقبل إسرائيل.

لا أقول إن الموقف الأوروبي الذي نتحدث عنه إنما جاء لسواد عيوننا نحن العرب على وجه الخصوص، بل جاء تثبيتا للمصالح الأوروبية، ولا ننسى أن جذور أوروبا في المنطقة ما تزال بادية للعيان.

تؤمن أوروبا أن أي خلل أمني أو سياسي أو حتى اقتصادي يحدث في الشرق الأوسط، إنما ينعكس سلباً عليها، ولذلك نجدها تركز وتضع المشاريع الممولة لسياسة الجوار، كونها جاراً لهذا الشرق، بينما لا تهتم أمريكا بما يحدث في المنطقة لبعدها عنا، ولذلك نجدها تدعم إسرائيل، إلا أنها تتحسس مما يحلو لها تسميته "إرهاب" القاعدة، التي تتهمها بأنها هي التي نفذت جريمة 11 سبتمبر الإرهابية، مع أنها بريئة من ذلك براءة الذئب من دم يوسف، ولا شك أن الحكمة الأوروبية تغلبت على العنجهية الأمريكية في موضوع النظرة إلى الإصلاح في الوطن العربي، وهذا ما جرى تبنيه رسمياً في قمة مجموعة الثماني في حزيران 2004. ولكن أمريكا أصرت على رؤيتها وطريقتها الجديدة المتمثلة بالحرب الاستباقية، للوصول إلى التغيير الذي تريده في المنطقة.[3]

جرى على إثر ذلك إصدار مبادرة "الشراكة من أجل التقدم ومستقبل مشترك مع منطقة الشرق الأوسط الموسع وشمال أفريقيا"، تضمنت وجهة نظر

أوروبا في التنمية والإصلاح والتسوية العادلة والشاملة استناداً على قراري الأمم المتحدة 242، 338 والشراكة الأوروبية- المتوسطية، والشراكة الأمريكية- المتوسطية ومبادرة الحوار العربي- الياباني. وليس سراً القول إن إسرائيل موجودة في كل بند من هذه البنود.

كانت الرؤية الأوروبية تركز على الحوار كأساس للتغيير نحو الأفضل، عكس أمريكا التي لا تؤمن بالحوار وترى أن القوة العسكرية هي الحل، وهذا ما جرى في أفغانستان والعراق.

لابد من التذكير أن أمريكا وعلى الرغم من عن جهيتها، قامت بتوظيف أوروبا سياسياً واتكأت على دبلوماسيتها، كما أنها حددت لها دور دافع الشيكات في العملية السلمية المتعثرة في الشرق الأوسط.

كما قامت أمريكا بالتنسيق مع فرنسا الأوروبية لاستصدار قرار 1559 الذي يهدف إلى إضعاف سوريا عن طريق سلخ لبنان عنها، وكذلك توظيف الدبلوماسية الأوروبيين لتفعيل المشروع النووي الإيراني(4)، والموافقة على دور للناتو في دارفور بالسودان. والملاحظ أن أمريكا هذه الأيام حريصة على عدم تجاوز المصالح الأوروبية في سوريا التي تشهد نزاعاً داخلياً مدعوماً من الخارج، كما حدث في العراق.

ينظر الأوروبيون إلى العرب على أنهم يميلون للحكم الأوتوقراطي، وأن موقف الرأي العام الأوروبي من إسرائيل يؤثر على التوجهات السياسية للجهات السياسية الأوروبية، بمعنى أن هناك كراهية متنامية لإسرائيل في أوروبا، وليس أدل من ذلك من أن الشارع الأوروبي بدءاً من بريطانيا صاحبة وعد بلفور، إلى بلجيكا مروراً بإسبانيا، بدأ يتململ بصورة ملحوظة ضد إسرائيل، وقد شهدت هذه الدول الثلاث مطاردات لمسؤولين إسرائيليين وفي مقدمتهم

إيهود باراك وتسيبي ليفني، كما هو الحال بالنسبة للندن وإجراء محاكمات لمسؤولين إسرائيليين يتقدمهم شارون كما جرى في بروكسيل ومدريد.

تحاول أوروبا هي الأخرى كما أسلفنا حفظ حقوق إسرائيل وعدم إهمالها، ولذلك أسست الحوار المتوسطي الذي يشمل ست دول عربية وإسرائيل، ويجري العمل على توسيعه، وتسعى أوروبا إلى أن تصبح فاعلاً حقيقياً لا مجرد دافع شيكات ليس إلا[5].

نخلص إلى القول مع كل التحفظ على الواقع العربي، إن نظرة أوروبا إلى قضايا الشرق الأوسط أكثر حنّية من النظرة الأمريكية، فأوروبا تنادي بالإصلاح الطوعي والشراكة والسلام والحوار والتشجيع الاقتصادي والتعاون الدولي، عكس أمريكا التي ترى أن التغيير في الشرق الأوسط يجب أن يكون عن طريق طائرات B 52، وغير ذلك من الأسلحة المتطورة.

أغلب الظن أن توفير فرص اختبار الأسلحة الجديدة هو أحد أهداف الغزو العسكري الأمريكي للمنطقة العربية على وجه الخصوص، والغريب أن أمريكا لا تجد القبول والراحة في الغزو العسكري، سوى في المنطقة العربية والإسلامية، فها هي تسرح وتمرح عندنا بينما نجد حركاتها مقيدة في أمريكا اللاتينية على سبيل المثال. (كوبا وفنزويلا).

ما يمكن قوله: إن العرب دفعوا وسيدفعون ثمن قبولهم الارتماء في أحضان الأجنبي، وتسليم مقدراتهم له، فهم وكما تقول التحليلات وما نلمسه من قراءات أرض الواقع، سيكونون فريسة لحقبة جديدة من الوصاية الدولية[6]. ولعل "الربيع العربي" الذي انفجر بالضغط دون التخطيط له ومن ثم اختطافه، سيسهم في تسريع تنفيذ مشروع الشرق الأوسط الكبير، وها هو العراق على مذبح التقسيم، والحديث يدور عن سوريا أيضاً.

قد يسأل أحدهم، لماذا ضحى الغرب بعملائه في المنطقة العربية؟ والجواب على هذا السؤال لا يحتاج لائتلاف سحري هندي يهودي مغربي، اذ أن هؤلاء الحكام (بن علي، القذافي، ومبارك) باتوا عبئاً على الغرب، فالرئيس التونسي المخلوع رفض القيام ولو بالإصلاحات الصوريه لذر الرماد في العيون، وقال لهم إن الوضع عنده مضبوط، ولأن الأحداث تطورت في تونس جارة أوروبا، فقد تم الإيعاز لمدير الأمن العام تدبير خطة مكيدة لخداع بن علي وإخراجه من تونس.

وتكمن القصة في أن مدير الأمن العام ذهب إلى بن علي وأبلغه أن معلومات خطيرة وصلته للتو تفيد أن الجماهير تزحف نحو القصر، وأن قائد الجيش رفض التعاون معه لصد الجماهير، وأنه لا يمتلك القوة الكافية لتتعامل مع ذلك الزحف، عندها سأله بن علي مرعوباً: ما الحل؟ فرد عليه: الخروج المؤقت؟

فما كان من بن علي إلا وطلب منه إحضار طائرة، ثم بدأ مع زوجته بجمع ما خف وزنه وغلا ثمنه، وكان الهبوط في جدة بالعربية السعودية.

أما القذافي فقد أزعج الغرب بعبثه وتمويله لحركات التحرر، وصرفه اللامحدود، وتصرفات أبنائه اللامعقولة في الغرب، تبع ذلك استسلامه لأمريكا بتسليم كل ما لديه من أسلحة دمار شامل، ومطالبته الغرب بأمواله المودعة في بنوكهم، ناهيك عن دعمه للرئيس الفرنسي السابق ساركوزي، وعلاقاته مع رئيس الوزراء الإيطالي برلسكوني وشراكتهما في حفلات الجنس الجماعي، وقد قررت أمريكا التخلص منه حتى لا تتاح له محاكمة عادلة يكشف كل ما لديه من أسرار عن أمواله وعلاقاته مع الغرب ومن وظفه، وما إلى ذلك.

بعد اختفائه في الصحراء، إثر هجمات الناتو المسلحة، جاءت وزيرة خارجية أمريكا السابقة هيلاري كلينتون إلى طرابلس الغرب في زيارة استمرت

ساعتين، وسلمت القادة الليبيين الجدد معلومات عن مكان وجود القذافي حسب الأقمار الصناعية الأمريكية، وطلبت منهم إحضاره ميتاً وشددت على ضرورة قتله وهكذا كان!!

أما مبارك فقد نصحته واشنطن بعدم توريث ابنه، لكنه أصر على ذلك، واضطر لخسارة الدعم الإسرائيلي، وأوعزت واشنطن لوكيلها مدير المخابرات المصرية عمرو سليمان بخلع مبارك وتسليم الحكم مؤقتا للعسكر.

المشهد مركب في الشرق الأوسط، فالشعوب تكن كراهية عميقة لأمريكا ولسياستها الخارجية بسبب دعمها لإسرائيل وحمايتها لحكام الشرق الأوسط، ولذلك فإن إدعاء أمريكا برغبتها في دمقرطة الشرق الأوسط باطلة. ولو كانت أمريكا صادقة في خوفها على مصائر الشعوب العربية لتخلت عن إسرائيل بالمقام الأول.

يقول المدير المساعد في برنامج السياسة الاقتصادية العالمية "أمريكا الجديدة" شيرل شوينيغز" إن جوهر السياسة الأمريكية في العقود الثلاثة المنصرمة كان معادياً للديمقراطية وللعرب في تقرير مصيرهم". مضيفاً إن "الرؤساء الأمريكيين المتلاحقين تبنوا ثوابت مضرة بعمق الشعب العربي وهي تمويل سياسة الدفاع الإسرائيلية، الترويج لمسار سلمي محدود ودعم الحكومات الموالية لواشنطن"[7].

عموماً فإننا نرى أن أوروبا أقرب إلى العرب، كونها جارة حدود، وهي مثلنا ذات عمق حضاري جرى الاحتكاك بيننا، وكنا قدوة لهم في صدر الإسلام، وأخذوا منا وعنا ونهضوا، وعندما ابتعدنا عن الإسلام تحولوا إلى قدوة لنا، نأخذ منهم وعنهم القشور، ولو دخلوا جحرضبٍّ لاتبعناهم.

أوروبا تعلم جيداً أن محاولات أمريكا لإشراكها في مشروع الشرق

الأوسط الوسيع، ليس من باب الحب الذي تكنه لها، وهـي تعلـم أيضـاً أن مـن أول أهداف واشنطن هو كبح جماح أوروبا عن الانطـلاق مـن جديـد، ولـذلك فإنها تحاول الاتكاء عليها للتخفيف عنها، ومسـاعدتها في معاركهـا المتزايـدة في العالم، والوقوف معها في مواجهة أعدائها، لكن أوروبا أيضاً تعي أن شهر العسل مع أمريكا قصير وأنها ستجد نفسها في تناقض صارخ مـع أمريكـا(8). كمـا أنهـا تعي أن أمريكا تنظر إلى دور أوروبا على أنه دور حصان طروادة(9).

لابد من القول إن نهج أمريكا العدواني إنما ينبع من حقيقة مفادها أن هذا البلد الكبير القوي الجديد، لا يمتلك حضارة ضاربة الجذور في التاريخ، كما هـو الحال النسبة لأوروبا أو العالم العربي، وإنما هي خليط من الحضارات والثقافات أسسها مجرمون جرى نفيهم من قبل بريطانيا العظمـى إلى مسـتعمراتها البعيـدة، ووجدوا أنفسهم في وضع يؤهلهم للقضاء على السكان الأصليين (الهنود الحمر) في أمريكا، وهكذا أصبح جـين القتـل والغـزو والعـدوان هـو الجـين السـائد في أمريكا.

بعد انهيار جدار برلين، وتفكيك الاتحاد السـوفييتي إلى جمهوريـات سـارع بعضها ببيع نفسه إلى أمريكا، وبعض الآخر تطوع بشن حرب على روسـيا مثـل جورجيا، اختفى البعبع الشيوعي الذي كان يشكل تهديداً للغرب بعامة، وعلـى الفور اخترعت أمريكا بعبعاً آخر وهو الإسلام، علماً بأن الإسلام السياسي ممثلاً بتنظيم القاعدة هو الذي ساعد أمريكـا علـى القضـاء علـى الوجـود السـوفييتي المسلح في أفغانستان، وبالتالي اختفاء الاتحاد السوفييتي من على الخارطة العالمية.

بعد ذلك، وكما أسلفت سابقاً تحـرك يهـود والـيمين الأمريكـي ونفـذوا هجمات 11 سبتمبر الإرهابية، وبدأ الحديث عن "الإرهاب" وإلصـاقه بالإسـلام، مع أن أحداً حتى اللحظة لم يضع له تعريفاً، وأنه لا دين ولا جواز سفر له، وأن

القتل سمة البشرية، فنحن أولاد القاتل قابيل الذي قتل أخاه هابيل،لأن أختهما مالت إليه وفضلته عليه فقام بقتله، ولم يتمكن من دفنه إلا بعد أن بعث الله غراباً يحفر في الأرض ليريه كيف يجب عليه دفن أخيه.

بعد إرهاب 11 سبتمبر تحرك الإعلام الأمريكي وبدأ يشوه صورة الإسلام والمسلمين، ويحرض علينا وأصبح الصديق عدواً، ووجدت أوروبا نفسها مضطرة للسير في الركب الأمريكي، وأسهمت في غزو أفغانستان، لكنها تململت عند غزو العراق، وتنحت ألمانيا وفرنسا جانباً، في حين كانت بريطانيا- بلير من أشد المصفقين لغزو العراق، وقد جرى توظيف هرطقات هننغتون الذي نادى بصراع الحضارات، وأن تحالفاً مستقبلياً سيتم بين الحضارتين الإسلامية والكونفوشية ضد الحضارة الغربية(10).

يقول الباحث د. غسان العربي في ورقته المقدمة إلى الندوة الحوارية حول مشروع الشرق الأوسط الكبير في دمشق نيسان 2004، إن مجموعة القطار التى عرضت للنقاش حول أهداف مشروع الشرق الأوسط الكبير، وصفت من قبل مراقبين عرباً وأوروبيين بأنها " شراكة من دون شركاء " لأنها صيغت بدون التشاور مع أصحاب الشأن العرب أو الحلفاء الأوروبيين، وأنها تهدف إلى تحقيق المصالح الأمريكية فقط حسب ما ورد على لسان وزير خارجية أمريكا السابق كولن باول(11).

كما أسلفت، فإن المحافظين الذين برزوا جلياً في عهد بوش الابن، هم أكثر الأمريكيين حماسة لتنفيذ هذا المشروع، وخاصة ما ورد في كتاباتهم في تسعينيات القرن الماضي، وليس سراً القول إن وثيقة بيرل- نتنياهو في العام 1997 نادت بضرورة احتلال العراق لتجفيف منابع دعم القضية الفلسطينية، وتغيير الشرق الأوسط برمته، لذلك قيل إنه مشروع الشرق الأوسط الإسرائيلي

الكبير، كما أن أمير الظلام المحافظ المتشدد ريتشارد بيرل، وضع دراسة مع محافظ متشدد آخر هو دوغلاس فيث بعنوان "استراتيجية جديدة تضمن أمن إسرائيل"، دعيا فيها إلى التخلي عن أوسلو والدعوة لإقامة إسرائيل الكبرى.

كل ذلك دعا أوروبا إلى التحفظ على المشاركة الفعلية في تنفيذ مشروع الشرق الأوسط الكبير، وكان غياب العرب عن الساحة أكبر عائق أمام أوروبا للوقوف في وجه أمريكا، وهذا ما دعا الناتو عام 1992 وبإيعاز من واشنطن إلى إصدار بيان يتحدث عن الخطر الإسلامي المحدق بالغرب.

هناك من يقول إن إرتفاع نسبة الشباب العربي (51٪) الراغبين بالهجرة إلى الغرب كان أحد أسباب القلق الأوروبي[12]، ولعل ذلك ما دفع أوروبا إلى دفع الناتو للمشاركة في الحرب على "الإرهاب" والأمن الجماعي وإدارة الأزمات وحث الدول العربية وتحديداً السعودية لإجراء "إصلاحات" على مستويات متعددة، لتفكيك البنية التحتية[13]. وما يجري في السعودية من حراك نسائي للسماح بالقيادة والمطالبة باللبرلة، إنما هو من ثمار مشروع الشرق الأوسط (الإسرائيلي) الكبير.

يقول الباحث ميخائيل عوض في ورقته المقدمة إلى "الندوة الحوارية حول مشروع الشرق الأوسط الكبير بعنوان "في الأفق".. الشرق الأوسط الكبير فخ للعرب وأوروبا[14]، وأن مشروع الشرق الأوسط الكبير جاء لينقذ الكيان الإسرائيلي من أزمة اقتصادية خانقة بحسب مركز "داحف" الصهيوني.

كما أن أمريكا أرادت تقييد أوروبا وتحجيمها وترويضها وإقحامها في المشروع الأمريكي حتى لا تنافس أمريكا التي بدأت شمسها تأفل، خاصة وأن أوروبا باتت تروج لشراكات مع الشرق الأوسط، بمعنى أن أمريكا أرادت لأوروبا دوراً ذيلياً ممولاً ليس إلا.

فأمريكا تستهدف في مشروعها كلاً من سوريا ولبنان وإيران وتركيا ومصر والسعودية على طريق إلغاء العروبة وطمس اللغة العربية، إضافة إلى طمس الثقافة الإسلامية في إيران وتركيا وبقية الدول الإسلامية، وتسويق إسرائيل.

يقول الباحث خليل العناني في ورقته بعنوان" هجوم سلمي أوروبي على الشرق الأوسط": إن أوروبا لم تقف متفرجة على واقع العالم العرب، بل قدمت المبادرة تلو المبادرة لإصلاحه وفي المقدمة المبادرة الأوروبية التي قدمتها ألمانيا وناقشها المستشار غيرهارد شرويدر مع الرئيس الأمريكي الأسبق جروج بوش، وكان يفترض صدور مبادرة أوروبية- أمريكية مشتركة لإصلاح الشرق الأوسط، لكن أمريكا استبقتها وأطلقت مبادرتها المسماة بالشرق الأوسط الكبير، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على أن أمريكا ليست صادقة في تحالفها مع أحد، ولا ترغب بمشاركة أحد.

هناك أيضاً مبادرة فيشر الألمانية، وتتحدث عن مشاركة بين الاتحاد الأوروبي والناتو من جهة، وبين الدول المتوسطية من جهة أخرى، وتتضمن أربع مراحل هي تعاون سياسي وثيق، ومشاركة أمنية، ومشاركة اقتصادية جديدة، تتضمن إقامة منطقة تجارة حرة بحلول العام 2010، وكذلك تعاوناً في مجالات القانون والثقافة والتعليم والتدريب والديمقراطية وبناء وتقوية المجتمع المدني، في حين يركز المحور الثاني على الإسلام والأمن وعدم استعمال القوة والرقابة على الأسلحة ونزع الأسلحة والتعاون الأمني ومحاربة الإرهاب وتحقيق الحكم الرشيد(15).

يؤشر مضمون المبادرة الأوروبية على الإصلاح في العالم العربي كأساس للتحول والتغيير إلى الأفضل، وتنادي أيضاً بدور فاعل للأمم المتحدة والمجتمع الدولي في حل قضايا المنطقة.

وهي بذلك لا تبعد كثيراً عن محتوى المشروع الأمريكي، ولكن الفرق الوحيد بينهما هو الرفض العربي للمشروع الأمريكي، لأنه يعتمد القوة في التغيير عكس المبادرة الأوروبية التي تدعو للحوار الداخلي، وتؤكد الحفاظ على الهوية الذاتية لكل دولة عربية، تماما كما هو حاصل في الاتحاد الأوروبي الذي لم يصل إلى مرحلة الاندماج، كما أن أوروبا ترى في المنطقة شريكاً أساسياً لها، في حين ترى أمريكا أنها ملكها وحدها، وأن أوروبا تدعو لحل الصراع الفلسطيني- الإسرائيلي عكس أمريكا التي لم تعد تهتم في هذا الموضوع منذ مجيء بوش الصغير إلى الحكم.

جاءت المبادرة الأوروبية ليس دفعاً للمصالح الأوروبية، بل خوفاً على مصير العالم العربي، ورغبة منها في مداواة جروح المنطقة[16] حتى لا يتكرر العدوان على العراق. وقد تم طبخها على نار هادئة، رغبة من أوروبا في مشاركة أمريكا بدلاً من التصادم معها، لقطع الطريق على التفرد الأمريكي في تقرير مصير المنطقة، التي كانت سابقاً تحت النفوذ الأوروبي، بيد أن الانقسام الأوروبي (فرنسا- ألمانيا) و(بريطانيا- أسبانيا) قد أضعف الموقف الأوروبي.

لكن استقالة أمير الظلام المحافظ ريتشارد بيرل صاحب نظرية تجاهل أوروبا، قد عدل المسار الأمريكي بعض الشيء وأدى إلى دخول أوروبا على الخط الأمريكي ونجم عن ذلك تطوير "هلسنكي أوسطية".

المصادر والمراجع

1- مشروع الشرق الأوسط الكبير ودلالاته وإشكالاته ماجد كيالي ص 22

2- المصدر ذاته ص23

3- الشرق الأوسط الكبير.. مؤامرة أمريكية ضد العرب. د. سعيد اللاوندي ص57

4- مشروع الشرق الأوسط الكبير.. البعد الجيو- استراتيجي وليد عبد الحي ص30

5- المصدر ذاته ص40

6- مشروع الشرق الأوسط الكبير ودلالاته واشكالاته ماجد كيالي ص46

7- المصدر ذاته ص49

8- حدث غدا محمد حمدان القاق ص23

9- المصدر ذاته ص26

10- أعمال الندوة الحوارية حول مشروع الشرق الأوسط الكبير تحرير د. منير الخمش ص110

11- المصدر ذاته ص112

12- المصدر ذاته ص124

13- المصدر ذاته ص162

14- المصدر ذاته ص 191

15- المصدر ذاته ص198

16- المصدر ذاته ص200

الفوضى الخلاقة...حدود الجماجم

قلنا في فصول سبقت، إن أمريكا كانت ترغب بنيل "شرف" تفكيك العالمين العربي والإسلامي، في نظرية استباقية لاحتمال نهضة العرب والمسلمين يوماً لتحرير فلسطين، وكانت الرغبة تحدو المحافظين الجدد لتقسيم هذه المنطقة من غزة إلى حدود الصين، إلى موارس، ثم تسليمها لإسرائيل، تهيمن عليها كما تشاء.

ولكن الظروف لم تسمح لأمريكا التي انكفأت في نهاية المطاف على نفسها، وتلهت بلعق جراحها في أفغانستان والعراق، والتعرض لضربات في أماكن أخرى، كل ذلك بسبب اندلاع المقاومة العراقية، إذ كان مقدراً أن تقوم أمريكا بغزو سوريا بعد العراق، ولكن الله سلم.

عند ذاك كلفوا "إسبارطة" المنطقة، إسرائيل بالمهمة المستحيلة، ولأن حزب الله ليس دولة عربية، ولم تعقد معه صفقة ليستسلم بعد سويعات أمام جيشها، ويتم تتويج إسرائيل بطلاً لمرة أخرى في المنطقة، إذ صمد ما ينوف عن الشهر، ومرغ أنف إسرائيل العسكرية والسياسية في الوحل، وعندها سمعنا نغمة جديدة وهي "الفوضى الخلاقة"، أي أنه بعد فشل أمريكا وإسرائيل في تنفيذ المهمة المستحيلة، أنيط بالعرب والمسلمين أنفسهم تدمير انفسهم بأنفسهم. وهذا ما يجري حالياً في الوطن العربي، وسيتبع ذلك في العالم الإسلامي، أو هكذا جرى التخطيط.

حتى يومنا هذا لم نستطع بكل ما أوتينا من عزم قراءة ملف الثورات العربية في دول الربيع العربي، إذ اختلط علينا الحابل بالنابل، ولم نعد قادرين

على المتابعة، لكثرة الجماجم التي دفنت تحت التراب، وقـدر لهـا أن تكـون هـي حدود الشرق الأوسط الوسيع.

الذنب ليس ذنبنا، بل هو ذنب الشعوب التي لم تفـرز معارضـات حقيقيـة تستند على برامج للتغيير، ولديها برنامج خاص لليوم التـالي الـذي يـأتي بعـد الخلاص من النظام الظالم.

الأسئلة ما تزال في ازدياد: من وراء الثورات؟ لماذا الآن؟ لماذا تدخل الناتو في ليبيا ولم يتدخل في اليمن؟ وما الذي يجري في سوريا؟ مع أننـا ضـد التـدخل الخارجي، فالحرية إن لم تجبل بدمائنا فلن يكون لهـا طعـم. ولمـاذا ضـغطت دو ل الخليج في سوريا بقوة وتراخت في اليمن؟ وهل صحيح أن الشباب الغـض هـم الذين فجروا الثورات؟ وهل يعقل أن تخترق بلاد عن طريق الفيس بـوك؟ ومـا دور إسرائيل في مجريات الأمور؟ وحزمة الأسئلة المعقدة الأكبر هي: هـل يعقـل أن أمريكا بخاصة والغرب بشكل عام يفرح لرؤيتنا ننعم في سـهول الديمقراطيـة، وينابيع الحرية وبيادر حقوق الإنسان وهم يعلمون أننا لا نطيقهم لأنهم يدعمون إسرائيل؟

إن استطاع أحد الإجابة علـى هـذه الأسـئلة، فسـيكون قـد كشـف السـر الدفين وراء ما يجري، وسيجري في البقية الباقية من الدول العربيـة والإسـلامية التي صمتت وسكتت عن إسـرائيل، منـذ وعـد بلفـور وحتـى يومنـا هـذا، بـل وتحالفت معها.

من سيعوض الضحايا؟ ومن سيجيب علـى السـؤال: مـا سـبب قتلـهم؟ ولماذا استشرس النظام هنا وهناك على شعبه، مـع أن الأنظمـة العربيـة جميعـاً لم

تصمد في وجه إسرائيل لسويعات؟ ما سر التركيز على سوريا؟ مع أن العرب والمسلمين جميعاً تقمصوا دور القردة الثلاثة: "لا أرى ولا اسمع ولا أتكلم" بالنسبة لحصار بيروت والمقاومتين الفلسطينية واللبنانية، واحتلال بيروت عام 1982 على مرأى ومسمع الجميع؟

وكيف استشرست المعارضة الفورية في القتال ضد النظام وانشقت رتب كبيرة من الجيوش وهي التي لم تحرك ساكناً إبان الحروب مع إسرائيل؟

وليام إنغدال: التدمير الخلاق لشرق أوسط كبير

كتب المحلل الأمريكي وليام إنغدال مقالاً تحليلياً بعنوان: ((التدمير الخلاق لشرق أوسط كبير)) نشر في العديد من الصحف والمواقع الأمريكية يوم 5/ 2/ 2011، قال فيه: إنه على الرغم من رأي الأغلبية الذي يخالفه، فإنه يحتفظ برأيه القائل إنه لا يوجد شيء عفوي بالنسبة لحركات الاحتجاج الجماهيرية في الدول العربية، وإنه يراها استنساخا للثورات الملونة التي نسقتها الولايات المتحدة، لإحداث تغيير في النظام في ما كان يسمى سابقاً بدول الاتحاد السوفييتي.

نفس السيناريوهات وتجميع الرموز: قادة المعارضة المحلية دربهم الصندوق الوطني للديموقراطية والمنظمات الأخرى التي تمولها الولايات المتحدة على فن تنظيم ثورات عفوية، الخطوط العريضة لاستراتيجية أمريكية سرية للمنطقة واضحة منذ بعض الوقت، لكن السؤال هو هل ستعمل؟

في أعقاب التغيير السريع للنظام في تونس، أتت حركة الاحتجاجات الشعبية التي انطلقت يوم 25 يناير ضد نظام حسني مبارك الراسخ في مصر.

وخلافاً للانطباع الذي تم رسمه بعناية من أن إدارة أوباما تحاول الإبقاء على نظام مبارك، تقوم واشنطن في الحقيقة بالتنسيق لتغيير النظام في مصر بالإضافة إلى تغيير أنظمة إقليمية أخرى من سوريا وحتى اليمن إلى الاردن، وأبعد من ذلك بكثير، في عملية يشير إليها بعضهم بـ" التدمير الخلاق".

وبخصوص نموذج التغيير السري للأنظمة فإنه يؤكد أنه تم تطويره بواسطة البنتاغون ووكالات المخابرات الأمريكية والعديد من مؤسسات الفكر مثل مؤسسة راند على مدى عقود، بدءاً بزعزعة رئاسة ديغول في مايو 1968 في فرنسا، وأنها المرة الأولى منذ تغييرات الأنظمة التي دعمتها الولايات المتحدة في

أوروبا الشرقية قبل نحو عقدين تبدأ واشـنطن بعمليـات متزامنـة في العديـد مـن البلدان في المنطقة.

كما أنها استراتيجية ولدت مـن يـأس معـين ولا تخلـو مـن مخـاطر كـبيرة بالنسبة للبنتاغون وبالنسبة لأجندة وول ستريت طويلة المدى.

كما يكشف ذات المحلل الأمريكي أن رانـد مؤسسـة بحثيّـة تابعـة للقـوات الجوية الأمريكية تأسسـت عـام 1948م بعـد الحـرب العالميـة الثانيـة، وتُـدعِّمها المؤسسة العسكرية الأمريكية، وهى أكبر مركـز للفكـر الاسـتراتيجي- بمنظـوره الغربي- في العالم والذي يروج لفكر المحافظين الجدد، وهي أحد أهم مؤسسـات الدراسات الاستراتيجية الموجهة والمـؤثرة لصـناعة القـرار في الإدارة الأميركيـة؛ وقد بدأ نشاطها ضد الإسلام أو ما يسمى "بالحرب ضـد الإرهـاب" تحديـداً عـام 2001م بعد أحداث 11 سبتمبر.

أصدرت راند سلسلة من التقارير للحرب على الإسلام، أخطرها ملخص تقرير وتوصيات تقدمت به للإدارة الأمريكية، وما زالت الادارة الحالية تسترشد به على الرغم من الاختلاف مع سابقتها في تكتيك آلية التنفيذ فقط؛ وهو ينطوي على مؤشرات ذات دلالات واضحة وعلاقة مباشرة بما يجري في المنطقة العربيـة لمحاولات تنفيذ استراتيجية "الفوضى الخلاقة" لتقسيم شعوب منطقتنا، كما وضعت المنظمة مشروع الشرق الأوسط الجديد أو الكبير.

مؤسسة راند بالتعاون مع كارنيجي للسـلام، قامـا بعمـل دراسـة لمشـروع الشرق الأوسط الكبير يمتد من المحيط إلى الخليج ويشمل دول شرق آسيا متضمنة روسيا والصين.

في دراسة لراند عام 2008 وضعت استراتيجية للتدخل في منطقـة الشـرق

الأوسط عبر منظمات غير حكومية، باسم نشر الديمقراطية كوسيلة للحرب على الإرهاب في المنطقة باستعمال التكنولوجيا الحديثة.

قبل زيارة أوباما في 2009 للقاهرة قامت هيلاري كلينتون باستقبال مجموعات من شباب التغيير، تابعين لبرنامج جيل جديد و التابع لمؤسسة فريدوم هاوس.[1]

تعد فريدوم هاوس والصندوق الوطني للديمقراطية أدوات تنفيذ مشروع الشرق الأوسط الكبير الذي قال به جورج بوش الابن بعد أحداث 11 سبتمبر 2001.

يتضمن مجلس إدارة الصندوق الوطني للديمقراطية نائب وزير الدفاع السابق ورئيس وكالة المخابرات المركزية فرانك كارلوتشي من مجموعة كارلايل، والجنرال المتقاعد ويسلي كلارك من منظمة حلف شمال الأطلسي والمحافظين الجدد، وزلماي خليل زاد الذي كان مهندس الغزو الأمريكي على أفغانستان في زمن جورج بوش، وأصبح بعد ذلك سفير أفغانستان فضلاً عن العراق. عضو آخر في مجلس الأمناء هو فين ويبر شارك في ترأس قوة عمل رئيسة مستقلة عن سياسة الولايات المتحدة تجاه التغيير في العالم العربي، و كذلك وزيرة الخارجية الأميركية السابقة مادلين أولبرايت ومفكري مشروع القرن الأميركي الجديد: ديك تشيني ودونالد رامسفيلد، اللذيْن دعيا لتغيير النظام بالقوة في العراق عام 1998.

تشمل الخطة الاستيلاء على بنوك المنطقة واقتصادها عن طريق إحلال بنوك عالمية محلها، تتحكم فيها واشنطن مباشرة، بالإضافة إلى السيطرة على بترول المنطقة، وتأمين دولة إسرائيل من المناطق المحيطة به، وتشمل المنطقة من الصين حتى المغرب العربي. وفي 2004 لقي مشروع الشرق الأوسط الكبير

رفضاً شديداً من أكبر رئيسين في المنطقة العربية هما: الرئيس المصري والعاهل السعودي، وأجبرا بوش على وضع ذلك المشروع جانباً.

لا يمكن لأحد أن يشكك في أن المظالم الحقيقية هي التي حركت الملايين للخروج إلى الشوارع مخاطرة بحياتها، ولا يمكن لأحد أن يدافع عن الفظائع التي ارتكبها نظام مبارك وتعذيبه وقمعه للمعارضة، ولا يستطيع أحد أن يشكك في الارتفاع غير العادي لأسعار المواد الغذائية بسبب المضاربات في أسواق السلع في شيكاغو و"الوول ستريت"والتحول المجنون نحو زراعة الذرة من أجل الوقود في الأراضي الزراعية في الولايات المتحدة، وهو ما تسبب في ارتفاع أسعار الحبوب إلى أعلى مستوى لها، ومصر هي أكبر مستورد للقمح وكثير منه يأتي من الولايات المتحدة.

إن عقود القمح الآجلة في شيكاغو ارتفعت بنسبة مذهلة (74٪) فيما بين يونيو ونوفمبر 2010 ما أدى إلى تضخم في أسعار الغذاء في مصر بنحو 30٪ على الرغم من الدعم الذي تقدمه الدولة.

لكن ما تم تجاهله بشكل واسع من جانب السي إن إن والبي بي سي وتغطيات وسائل الإعلام الغربية الأخرى لأحداث مصر، هو حقيقة أنه على الرغم من كل تجاوزاته في الداخل إلا أن الرئيس المصري حسني مبارك يمثل عائقاً كبيراً في المنطقة أمام أجندة أمريكية أكبر.

ليس هناك أي مبالغة عند القول بأن العلاقات بين أوباما ومبارك كانت باردة كالثلج من البداية، إذ كان مبارك يعارض بشدة سياسة أوباما بشأن إيران وطريقة التعامل مع برنامجها النووي، وكذلك سياسات أوباما نحو دول الخليج وسوريا ولبنان بالإضافة إلى الفلسطينيين.

كان شوكة كبيرة أمام أجندة واشنطن الأكبر للمنطقة برمتها، مشروع واشنطن للشرق الأوسط الكبير، الذي أعطي في الآونة الأخيرة اسماً أكثر اعتدالاً "الشرق الأوسط الجديد".

ومثلما هو حقيقي أن هناك عوامل دفعت الملايين للخروج إلى الشوارع في أنحاء شمال أفريقيا والشرق الأوسط، إلا أن ما لا يمكن تجاهله هو حقيقة أن واشنطن هي التي تقرر التوقيت وفق ما تراه، في محاولة لصياغة النتيجة النهائية لتغيير شامل في النظام واضطرابات في أنحاء العالم الإسلامي، ففي اليوم الذي خرجت فيه المظاهرات الشعبية المنسقة جيداً تطالب بتنحي مبارك، كان هناك أعضاء بارزون من قيادة الجيش المصري من بينهم رئيس هيئة الأركان، اللواء سامي حافظ عنان، كانوا كلهم في واشنطن كضيوف للبنتاغون، وهذا عمل على تحييد مريح لقوة الجيش الحاسمة في إيقاف الاحتجاجات المناهضة لحسني مبارك من التزايد في الأيام الأولى الحاسمة.

الاستراتيجية كانت موجودة في العديد من ملفات وزارة الخارجية والبنتاغون على الأقل منذ عقد أو أكثر، بعد إعلان جورج دبليو بوش الحرب على الإرهاب عام 2001 كان يطلق عليه مشروع الشرق الأوسط الكبير، وفي أيامنا هذه يعرف باسم أقل تهديداً، مشروع "الشرق الأوسط الجديد".

إنها استراتيجية تحطيم دول المنطقة من المغرب وحتى أفغانستان، تلك المنطقة التي عرَفها صديق ديفيد روكفلر، صامويل هنتنتغون، في مقاله الشهير صراع الحضارات في مجلة فورين افيرز.

استراتيجية واشنطن في التدمير الخلاق لشرق أوسط كبير، تثير الذعر في المنطقة ليس فقط في العالم الإسلامي بل في الصين وموسكو وشرق آسيا.

سيناريو البنتاغون الحالي لمصر يبدو مثل رائعة المخرج الهوليودي سيسيل بي ديميل، فقط هذا الشخص، مع مجموعة من ملايين من الشباب الذين تم تدريبهم بدهاء عبر تويتر بشكل جيد، وشبكات عناصر جماعة الإخوان المسلمين، تعمل مع جيش دربته الولايات المتحدة، دور البطولة للإنتاج الجديد في الوقت الراهن ليس سوى الفائز بجائزة نوبل، والذي يبدو أنه قام على نحو ملائم بسحب جميع خيوط المعارضة للنظام القديم، إلى ما يبدو أنه انتقال سلس نحو مصر جديدة تحت ثورة ليبرالية ديموقراطية نصبت نفسها.

بعض المعلومات الأساسية عن اللاعبين الفاعلين على أرض الواقع تعتبر مفيدة قبل النظر في خطة واشنطن الاستراتيجية طويلة المدى للعالم الإسلامي من شمال أفريقيا وحتى الخليج وصولاً إلى الشعوب الإسلامية في آسيا الوسطى على حدود الصين وروسيا. مثل كفاية و حركة البنتاجون غير العنيفة.[2]

المصادروالمراجع

http://www.youtube.com/watch?feature=player_embedded&v=Dn-SsO_Nc4Y

النص الكامل لترجمة مقال إنغدال على الرابط التالي:

(2) http://revfacts.blogspot.com/2011/05/blog-post_18.html

البلدان المغاربية ومشروع

"الشرق الأوسط الكبير"[1]

يقول الباحث التونسي رشيد خشانة، في معرض تسليط الأضواء على وضع بلدان المغرب العربي على خارطة الشرق الأوسط الكبير أن العواصم المغاربية حتى تاريخه، اكتفت بمراقبة ردود الفعل الآتية من المشرق على مبادرة "الشرق الأوسط الكبير" التي طرحتها إدارة الرئيس بوش الابن على بلدان المنطقة، وأنها لزمت الصمت إزاء ما تضمنته من إصلاحات سياسية، كما لو أنها كانت غير معنية بها.

اللافت للنظر، أنه لم يصدر أي رد فعل رسمي أو تعليق على المبادرة، سواء في اتجاه تبنيها أو رفضها، عدا الأفكار المنشورة في صحف تعكس عادة وجهات النظر الرسمية، والتي سارعت إلى التشكيك في نوايا الولايات المتحدة وذكّرت بممارسات قواتها في العراق، وبدعمها غير المحدود لإسرائيل.

لكن، وللوهلة الأولى يبدو تعاطي الأمريكيين مع شمال إفريقيا أحد أسباب هذا الموقف الانتظاري، فهم لم يدرجوا بلدان اتحاد المغرب العربي {الجزائر وتونس والمغرب وموريتانيا وليبيا} في الجولة الخاصة التي قام بها مساعد وزير الخارجية مارك غروسمان من 1 إلى 5 مارس/آذار على عواصم عربية وغربية لشرح أهداف المبادرة، عدا زيارة خاطفة للمغرب اجتمع خلالها مع "الملك محمد السادس" في الحسيمة، فيما كان المغاربة منهمكين في تطويق مضاعفات الزلزال الذي دك بلدة "ايمزوران" في الشمال الشرقي للبلاد.

يستطرد الباحث خشانة: لكن ما قالته واشنطن بالجملة في وثيقة "الشرق

الأوسط الكبير" سبق أن أبلغته بالمفرق للعواصم المغاربية على لسان مسؤولي الإدارة، فمساعد وزير الخارجية لشؤون الشرق الأوسط، وليم بيرنز شدد لدى زيارته الجزائر في تشرين ثاني 2003 على ضرورة إجراء إنتخابات شفافة ونزيهة، في إشارة مباشرة للانتخابات الرئاسية المقررة للثامن من شهر نيسان الذي يليه، وهذا عنصر أساسي في وثيقة "الشرق الأوسط الكبير"، وأن ما قاله بيرنز في الجزائر كرره في تونس والرباط اللتين زارهما في الجولة نفسها مع التركيز على خصوصية كل بلد، أي الاشارة إما إلى ضرورة تحرير الاعلام من القيود بالنسبة لتونس أو تحسين وضع المرأة ومراجعة التشريعات الاجتماعية بالنسبة للمغرب.

يتابع: إن هذا "الهجوم الديمقراطي" استمر على المنطقة من خلال جولة الوزير باول المغاربية في مطلع كانون أول2003، التي عرض خلالها على البلدان الثلاثة الخطوط الكبرى للمشروع قبل إعلانه رسمياً، إذ استأثر موضوع الإصلاحات السياسية بحصة الأسد من المحادثات التي أجراها مع الرئيسين بوتفليقة وبن علي والملك محمد السادس على حساب القضايا الدولية الساخنة.

مما أكد هذا التوجه هو زيارة لون كرينر، مساعد وزير الخارجية الأمريكي لشؤون حقوق الإنسان والديمقراطية لتونس والجزائر في شهر كانون ثاني 2003 لمتابعة الملفات التي بحثها باول، فيما أقدم المغرب على إصدار مدونة جديدة للأسرة اعتبرت خطوة مهمة في طريق التحديث الشامل الذي يدعو له مشروع "الشرق الأوسط الكبير".

وهذا معناه أن الحكومات المغاربية وضعت عملياً المشروع على جدول أعمالها، وباشرت تنفيذ بعض بنوده، وإنْ بانتقائية واضحة، على الرغم من استمرار الحذر من التعليق على مضمونه رسمياً.

حول وضع ليبيا يقول خشانة: إن الوضع الليبي في هذا المشهد المغاربي يبدو "حالة خاصة"، فالعقيد القذافي قفز من مقعد الزعماء المنبوذين بسبب "دعمهم للإرهاب" طبقاً للتصنيف الأمريكي السابق، إلى لائحة الأصدقاء الموعودين بزيارة كبار المسؤولين في الخارجية الأمريكية بعدما زاره أقطاب من مجلس الشيوخ، لمنحه شهادة براءة على تخلصه من أسلحة الدمار الشامل بلا حرب.

وإذا كان موضوع الإقدام على إصلاحات سياسية لم يطْفُ على السطح في جولات المفاوضات الليبية- الأمريكية، ومع أن ليبيا وقفت أيضاً موقف الصمت الذي وقفه جيرانها من مبادرة "الشرق الأوسط الكبير"، فإن بعض الخطوات التي اتخذتها أخيراً تدخل تحت عنوان "الإصلاح"، وفي مقدمتها فصل وزارة العدل عن وزارة الأمن العام {الداخلية} بمناسبة التعديل الوزاري الأخير الذي أبعد بموجبه بعض رموز الحرس القديم مثل محمد المصراتي وزير العدل والأمن العام الذي كان على خلاف مع سيف الإسلام القذافي{عين في منصب النائب العام}، وتسمية وزراء منسجمين مع رئيس الوزراء محمد شكري غانم على نحو عزز تيار الإصلاحيين في الحكومة.

يرجح أن هذه الخطوة ستعقبها إشارات أخرى تكرس التجاوب الليبي مع المبادرة الأمريكية من دون الإعلان عن تبنيها رسمياً بسبب مخاوف الحكم من بنودها الأخرى التي يعتقد أنها تشكل خطراً على استمرار النظام في المدى المتوسط والبعيد.

أما في موريتانيا التي تقدمت في العقد الماضي إلى موقع الشريك الأوثق صلة بواشنطن في المنطقة، فلا يعتقد أن هناك تحفظات جوهرية على المبادرة على الرغم من الامتناع عن إعلان موقف رسمي منها.

رأى مساعدون للرئيس الموريتاني معاوية ولد طايع أن النظام السياسي المتسم بالتعددية الحزبية والاعلامية سبق "مشروع الشرق الأوسط الكبير" بسنوات، وأن نواكشوط هي المعنية أقل من سواها بتنفيذ بنوده لأنها انتهجت الانفتاح داخلياً وخارجياً بما في ذلك إقامة علاقات مع إسرائيل.

ويعزو عارفون بالشأن الموريتاني الامتناع عن إعلان التأييد للمبادرة الأمريكية إلى الحذر من رد فعل الرأي العام الداخلي، أكثر من تحاشي الاحتكاك مع البلدان العربية الكبرى التي رفضتها مثل السعودية ومصر وسوريا، لأن الرئيس الموريتاني أثبت في الماضي أنه لا يقرأ حساباً للعرب في القرارات المتصلة بالعلاقة مع الولايات المتحدة وإسرائيل.

قصارى القول: إن الحكومات المغاربية لم تتخط حرجها من المبادرة الأمريكية إلى مستوى حشد الرفض الدولي ضدها مثلما فعل الرئيس مبارك في جولته الأخيرة على كل من إيطاليا وفرنسا وألمانيا، لكنها استحسنت المعارضة الأوروبية للمبادرة ليس أملاً في إحباطها، لأنها تدرك أن رياح التوازنات الدولية تجري في الاتجاه الأمريكي، وإنما سعياً للتخفيف من حدة الضغوط التي تمارسها عليها واشنطن لاستعجال تنفيذ الإصلاحات.

1- رشيد خشانة- تونس- swissinfo 13-3-2004

مشروع الشرق "الإسرائيلي الوسيع"

أول ما خطر ببالي قبل الشروع في كتابة هـذا الفصـل هـو السـؤال: لماذا الشرق الأوسط الكبير؟ لكنني اهتديت إلى عنوان يتناسب ويتفـق حـد الالتحـام والانـدماج مـع فكرتـي مـن إصـدار هـذا الكتـاب، وهـو إبـراز دور إسـرائيل ومصلحتها في قيام أمريكا بفرض مشروعها على المنطقة.

لم يأت هذا العنوان اعتباطاً ولا بصورة استعراضية، بل لإيماني المطلق بأنه فُصِّلَ من ألفه إلى يائه، على مقاس إسـرائيل حتـى قبـل أن تنشـأ. وكمـا ورد في الفصل المتعلق بأوروبا، فـإن أوروبـا هـي أول مـن خطـط للشـرق "الإسـرائيلي" الكبير، لهدف أوروبي مقدس وهو التخلص مـن فسـاد وإفسـاد يهـود، وتطهـير أوروبا منهم، ولذلك برزت الفكرة من بريطانيـا مـرتين، الأولى علـى يـد وزيـر الخارجية كامبل باترمان عام 1907. الذي دعـا في مشـروعه المقـدم لمـؤتمر وزراء خارجية أوروبا، إلى فصل أفريقيا العربية عن آسيا وإنشاء قوة صديقة للاستعمار (إسرائيل).

كما أن ممثل بريطانيا سايكس توصل إلى اتفاق مع نظـيره الفرنسـي بيكـو، أطلق عليـه سـايكس- بيكـو، وجـرى خلالـه تقسـيم المنطقـة وتـولي بريطانيـا الانتداب على فلسطين، تمهيداً لتسليمها ليهود وذلـك عـام 1916، ليـأتي وزيـر خارجية بريطانية بلفور ويصدر وعده المعروف باسمـه، ويقضـي بمـنح فلسـطين وطناً قومياً لليهود.

كان القادة البريطانيون المتحمسون لإقامة وطن قومي لليهود بصرف النظر عن موقعه (سيناء أوغندا جورجيا أو فلسطين)، يريدون إقامة بريطانيـا مسـيحية خالصة خالية من اليهود، وهذا ما يفسر دعم الغرب لإسرائيل، حتى لا يـتمكن

العرب من إلحاق الهزيمة بها، فتضطر أوروبا لاستقبال يهود الذين سيمارسون الفساد والإفساد من جديد كما هو ديدنهم.

يتضح من هذه المقدمة أن إسرائيل هي المستفيد الوحيد من تقسيم الشرق الأوسط إلى كانتونات إثنية وعرقية متقاتلة، وترتبط كلها بوتد في تل أبيب، وعندها ستكون تل أبيب هي المتحكم في مصير العالم لأنها ستكون هي المسيطرة على النفط والغاز.

من أبرز بصمات إسرائيل على هذا المشروع، هي أن جورج بوش الابن الذي تحمس كثيراً لتنفيذه، ولوكان ذلك على حساب بلاده أمريكا وسمعتها، قد أعلن تخليه وإن كان بصورة غير مباشرة عن ضرورة حل القضية الفلسطينية. بخلاف والده الذي أجبر الإسرائيليين على المشاركة في مؤتمر مدريد للسلام عام 1992، وبدون منحهم قرضاً بعشرة مليارات دولار، كما طلب اسحق شامير رئيس الوزراء الإسرائيلي آنذاك، وقد وجهت العديد من الجهات العربية-والدولية انتقادات لاذعة لإدارة بوش الابن لتجاهلها القضية الفلسطينية[1]، لكن مبادرة فيشر جاءت لتعديل المواقف.

جاء هذا المشروع استمراراً للسياسة الأمريكية التي انتهجتها واشنطن طيلة 50 عاماً خلت بصرف النظر عن هوية الساكن في البيت الأبيض، جمهورياً كان أم ديمقراطياً، وهذه السياسة تقوم على أربعة ركائز هي:[2]

1- ضمان استمرار تدفق الموارد النفطية من المنطقة وبأسعار معقولة.

2- الحفاظ على أمن إسرائيل، وتفوقها النوعي في الشرق الأوسط.

3- الحيلولة دون تمكن أي قوة اقليمية أو دولية منافسة لها من السيطرة على هذه المنطقة.

4- المحافظة على استقرار النظم السائدة في المنطقة.

كما هو ملاحظ فإن الرئيسين بوش الابن وبيل كلينتون، سعيا لحل في المنطقة يتوافق مع إقامة نظام "شرق أوسطي"، تكون إسرائيل عضواً أساسياً فيه، بيد أن بوش الابن غير أصول وقاعد اللعبة ولم يعد يهتم بحل الصراع الفلسطيني- الإسرائيلي.

وليس سراً القول: إنه تم الاتفاق على تكليف إسرائيل لتشكيل الشرق الأوسط في المرة الأولى إبان عدوانها الغاشم على حزب الله بلبنان صيف العام 2006، والثانية عندما طلب منها "تحرير" غزة من حماس وتسليمها لعباس في عدوانيها 2008- 2009 و2011، وقد قالت وزيرة خارجية بوش الابن كونداليزا رايس عندما هاجمت إسرائيل لبنان: "الآن بدأ تنفيذ مشروع الشرق الأوسط الكبير!"

يهدف هذا المشروع فيما يهدف إليه إلى ضمان سيطرة أمريكا على هذه المنطقة، وبالتالي تحكم إسرائيل في الغرب بأسره، بمعنى أن الغرب هو الذي يزرع بينما إسرائيل هي التى ستحصد.

سيتم التحكم في ثروة المنطقة النفطية من خلال الوجود العسكري الأمريكي، وهذا ما يفسر فتح الفضاءات العربية للقوات الأمريكية، وهذا سيؤدي إلى التحكم في الإنتاج والأسعار وفي أنابيب النفط والغاز العبرة للمنطقة، وكذلك، وهنا بيت القصيد، التحكم في احتياجات أوروبا واليابان والصين، خاصة وأن عمر الاحتياطي النفطي الأمريكي لا يتعدى 11 عاماً، في حين أن الاحتياطي العراقي يربو على 128 عاماً.

ولأن إدخال إسرائيل وإدماجها في المنطقة كان سيواجه صعوبة من قبل بعض الأنظمة العربية، فقد كان لزاماً العمل على تمهيد الطريق أمامها من خلال احتلال العراق وتدمير سوريا، ومحاولة القضاء على حزب الله، ومنع إيران من تحقيق برنامجها النووي.

ناهيك عن ضرورة وضع قواعد عسكرية أمريكية بالقرب من الحدود الروسية والصينية، فعلى سبيل المثال تبعد قاعدة مناس الأمريكية في قرغيزيا 250 ميلا عن الحدود الغربية للصين، ناهيك عن القواعد الأخرى التي تحيط بالصين واليابان وكوريا الجنوبية وسنغافورة وأفغانستان، ويأتي توسيع حلف الناتو ليطوق روسيا من جميع حدودها.

ستتكيف إسرائيل مع جميع التغيرات التي ستطرأ على بنية المنطقة لتأكيد وظيفتها العسكرية، كذراع عسكري للغرب، وهذا ما يفسر استكلابها على ضرب إيران لمنعها من تنفيذ برنامجها النووي، كما فعلت مع مفاعل تموز في العراق عام 1981، حيث تؤمن أن نجاحها في هذا المسعى يؤهلها لتكون الدولة المركز، ولم لا وهي في دور منافس لتركيا في الإقليم والتي تعد زاوية مهمة في المشروع؟

عندما اخترت عنوان: "الشرق الإسرائيلي الوسيع" لهذا الكتاب، لم أسرح في الخيال، بل استندت إلى دعوة مؤسس الحركة الصهيونية ثيودور هيرتزل عام 1897 بتأسيس "كومنولث" في الشرق الأوسط، وأن ظهور موجات الضغط الغربي لتأسيس هذا الكومنولث تترافق مع أزمات الاقتصاد والمال في العالم(4)، ومعروف أن يهود هم من يصنع هذه الأزمات تماماً مثل إتقانهم خلق الفتن وشن الحروب.

في رده على شيمون بيرز صاحب مشروع الشـرق الأوسـط الجديـد، قـال الرئيس السوري الراحل حافظ الأسد: إن هذا المشروع يعني" شطب شيء اسمـه العرب والعروبة والمشاعر العربية والهوية القومية"، ومن يراقب تطورات الموقـف الإسرائيلي، يجد أن إسرائيل انتقلت من شعار "الأرض مقابـل السـلام" إلى "تنـازل العرب عن قيمتهم وهويتهم مقابل السلام".

ما يحير العقل السوي هو أن أمريكـا صـاحبة المشـروع، تقـول إنهـا تريـد دمقرطة الشرق الأوسط، وإدخال قيم الخير والصلاح إليه وتعزيز مكانة المـرأة، علماً بأن ما نراه على أرض الواقع، هو أن أمريكا وإسرائيل هما أساس الشـقاء والحرمان الذي يلف الشرق الأوسط وخاصة الدول العربية، وقد ورثت أمريكـا المنطقة العربية عن أوروبا، وجاءت إسرائيل لتمارس بدعم من أمريكا كل صور الحرمـان والقهـر للفلسـطينيين والعـرب علـى حـد سـواء، ولسـنا هنـا في وارد استعراض ملف الجرائم الإسرا- أمريكية بدءاً من الهجرة اليهوديـة إلى فلسـطين وطرد الشعب الفلسطيني إلى مـا تقـوم بـه الطـائرات الأمريكيـة بـدون طيـار في باكستان واليمن وأفغانستان، مروراً بجرائم إسرائيل التي لا تحصى، وفي مقـدمتها دير ياسين، وقبية وبحر البقر وقانا وتل الزعتر وصبرا وشاتيلا! فعن أي قيم خـير يتحدثون؟!

في خريف عام 1955 كتب المحلل الأمريكـي هـانس بينيـديكت أنـه "يجـب تعريف الشرق الأوسط ليشمل تركيا من الشمال إلى القرن الأفريقي ومن الغرب إلى باكستان، وأن هناك ثلاثة أهداف أمريكية لذلك هـي: السـيطرة علـى منـابع النفط والغاز الطبيعي، وضمان أمن إسرائيل وضبط حركة المنظمـات الأصـولية الإسلامية"[5].

محطات المشروع الإسرائيلي الوسيع متنوعة، وقد بدأت كما أسلفت قبل 200 عام، حيث تقرير وزير خارجية بريطانيا آنذاك كامبل باترمان، وتبعه سايكس- بيكو ووعد بلفور وزرع إسرائيل وإطلاق يدها، واحتلال العراق، بمعنى أن ما نراه اليوم هو امتداد لمشاريع أسست لذلك.

في ورقته للندوة الحوارية حول " مشروع الشرق الأوسط الكبير" التى عقدت في دمشق في 2نيسان 2004، دعا الباحث د. سامي ذيبان إلى إيجاد بديل عربي- إسلامي لا يتعلق على الأطروحات العالمية.

وفي حوار صحافي أجريته مع مدير عام المراكز الثقافية التركية (يونس امرة) د. حياتي ديفيلي على هامش جلسات الندوة الدولية "القواسم المشتركة والتفاعل الثقافي بين الأتراك والعرب" التي عقدت في الجامعة الأردنية ما بين 12-5/ 15/ 2013، قال: إن وحدة العرب وتركيا وإيران هي الرد على مشروع الشرق الأوسط.

وأضاف: إن علينا أن نتعلم لغات المنطقة الثلاث العربية والتركية والفارسية، كما أوضح أن ذلك سيفتح الباب واسعاً لدول البلقان والقفقاز وآسيا الوسطى، بمعنى أن الوحدة الإسلامية هي الحل(6).

وفي مقابلة أخرى مع مستشار الشؤون الثقافية لرئيس الوزراء التركي د.بكر كارليغا قال: إن تنفيذ هذا المشروع هو لمصلحة إسرائيل، وإن لإسرائيل دوراً في تشكيله، لأن منافعها ومصالحها تكمن في تفكيك العالمين العربي والإسلامي.(7)

وخلال احتفال حزب الوحدة الشعبية الديمقراطية الأردني بمناسبة الذكرى 56 للنكبة الفلسطينية قالت عضو المكتب السياسي للجبهة الشعبية ليلى خالد:

إن مشروع الشرق الأوسط الكبير هو مشروع صهيو- أمريكي، يهدف إلى تهديد وجودنا جميعاً، وإن تقسيم سوريا هو المقدمة الأولى لتصفية القضية الفلسطينية وتصفية المخيمات.[8]

إن أكبر دليل على أن الموساد الإسرائيلي هو الذي نفذ جريمة تفجير البرجين، أو ما يطلق عليها أحداث 11 سبتمبر 2001، هو حماس بوش الصغير الذي أصدر وثيقة الأمن القومي الأمريكي بعد عام من هذه الجريمة الإرهابية تحت ضغط شركاء إسرائيل، وهم المحافظون الجدد واللوبي اليهود والمسيحية الصهيونية التى باتت تضم أكثر من 80 مليون تابع، ولها سفارة في القدس المحتلة!!!!!

ونصت هذه الوثيقة على احتلال أفغانستان والعراق، والقول بمحور الشرق والدول المارقة وما إلى ذلك. ولعل دمج إسرائيل وإدخالها على شعوب المنطقة يُعد دلالة أكيدة أيضاً على أسرلة المنطقة الواقعة ما بين شواطيء البحر المتوسط الشرقية حتى بحر قزوين، وعدم حل القضية الفلسطينية حتى في إطار حل الدولتين الذي يعطي الفلسطيني الفتات!!

لن أبالغ إن قلت: إننا إن بقينا في هذا الشرق على ما نحن عليه، فإن الشرق الإسرائيلي الوسيع سيتحقق، وستعمل أوروبا وأمريكا على تحقيقه، لأننا نمر هذه الأيام في مرحلة اللا وزن أي افتقاد الوزن، لأنهم سرقوا ربيعنا العربي، وسلم د.بيرنارد لويس الراية إلى د. بيرنار ليفي وجورج فيلتمان وجون ماكين.

أما نحن فلاهون في تدمير ذواتنا ولعق دمائنا. وإنني لأتساءل بجدية لماذا جرى استثناء قبرص واليونان والهند من هذا المشروع، مع أنه شمل تركيا والباكستان وأفغانستان وإيران؟ وهل لذلك علاقة برفض الاتحاد الأوروبي لتركيا والتركيز على القنبلة النووية الهندية؟؟

لو تتبعنا حرب المصطلحات التي تطلقها علينا أمريكا الداعمة لإسرائيل! ووقفنا عند "الحرب على الإرهاب"، وتجييش واشنطن للدول التي تسير في فلكها لمشاركتها في هذه الحرب، وإجبارهم على احتلال أفغانستان والعراق، فيما يبدو أن فرنسا وألمانيا لم تتفقا معها في العراق، لوجدنا أن موضوع "الإرهاب" مرتبط بالعرب والمسلمين وهم المعنيون بالصراع مع إسرائيل.

لمزيد من التوضيح فإن تفجيرات ماراثون بوسطن الأخيرة، اتهم فيها شابان شيشانيان مسلمان، وقتل فيها 3 أمريكيين، أشعلت شهية الإعلام الأمريكية ومن لف لفيفه، علماً بأن هناك العشرات قتلوا في ذلك اليوم في العالم وفي أمريكا نفسها، في حودث سير أو أحداث مشابهة، لكن دون أن تأخذ تلك الحوادث حقها في النشر، لأن المقصود هو إبراز كل ما له علاقة بالعرب والمسلمين والقتل حتى لو كان ذلك تركيباً وزوراً.

ثم إن موضع التطرف قد جرى إلصاقه مثل الإرهاب بالعرب والمسلمين، على الرغم من أن هذه السمة عالمية، وعليه أسأل: لماذا لا تهتم أمريكا بما يفعله المستوطنون اليهود في فلسطين! ولماذا تصمت أمريكا راعية الديمقراطية وحاملة مشعل الحرية عن جرائم إسرائيل في فلسطين ومصر ولبنان وسوريا. وأين وصلت الطائرات الحربية الإسرائيلية؟!

إن أبرز ما تقصده أمريكا من هذا المكيال هو إضعاف العرب والمسلمين، وإبقاء إسرائيل قوية في الإقليم، وليتم دمجها فيه بكامل قوتها حتى تكون شريكاً مهيمناً في مجالات الأمن والاقتصاد والسياسة والمجال العسكري، أي أنها ستكون المهيمن الوحيد على الشرق الأوسط الوسيع!

ها هم الباحثون الغربيون يضعون إسرائيل ضمن دول قلب هذا الشرق وهي: الأردن، سوريا، لبنان، العراق، مصر. كما أن تكريس تعبير الشرق

الأوسط يدخل في هذا المجال، وقد حـددت إدارة كلينتـون رؤيتهـا الاسـتراتيجية الأمريكية في المنطقة على تعزيز اتفاقيات السلام العربية- الإسـرائيلية بمـا يبقـي إسرائيل دولة قوية وشريكاً أساسياً لأمريكا في المنطقة وتفوقها النـووي، إضـافة إلى تغليفات أخرى ترقى إلى مرتبة الكذب الأشر مثل الدمقرطة.

قامت إسرائيل بالترويج لهذا المشروع فكرياً ورسميـاً، وكمـا أسـلفنا فـإن ثيودور هيرتزل هو صاحب فكرة الكومنولث الشرق أوسطي، ناهيك عن كَـوْن جابوتنسكي من أوائل المنظـرين للمشـروعات الكونفدراليـة للمنطقـة! وتـبعهم بطبيعة الحال بن غوريون وآرنست برجمان وشيفر وديفيد هوريفيتز وبيريـز، فهـم يعلمون جيداً أنه بدون اندماجهم في المنطقة فلن يكتب لهم الاستمرار، وأن حبل الغـرب لـن يـدوم لهـم، وهـا نحـن نـرى بـالعين المجـردة الأزمـات الاقتصـادية والاجتماعية والعسكرية، التي تنخر عظم إسرائيل.

بالتالي، فإن مشروع الشرق الأوسط الوسـيع سيشـكل مخرجـاً لإسـرائيل وينقذها من مصيرها المحتوم إلى مرتبة المهيمن المتحكم في هذ المنطقة.

بعد مجـيء المحـافظين الجـدد إلى الحكـم في أمريكـا وغـالبيتهم مـن اليهـود الصهاينة، أنجز الثنائي الخطر في إدارة بوش الصغير وهما أمـير الظـلام ريتشـارد بيرل ودوغلاس فايت، دراسة بعنوان " استراتيجية جديدة تـدعم أمـن إسـرائيل"، وتدعو إلى التخلص من اتفاقيات أوسلو بسبب "عجـز" السـلطة الفلسـطينية عـن الوفاء بالتزاماتها!! واحترام "حقوق اليهود" في دولة إسرائيل الكبرى، وقد استغل شارون أحداث 11 سبتمبر ورفض أطروحات الاتحـاد الأوروبـي بحـل القضـية الفلسطينية.

المصادر والمراجع

1- مشروع الشرق الأوسط الكبير دلالات وإشكالات ماجد كيالي ص21

2- المصدر ذاته ص 29

3- المصدر ذاته ص37

4- اعمال لندوة الحوارية حول "مشروع الشرق الأوسط الكبير، تحرير د. منير الخمس ص 96

5- المصدر ذاته ص110

6- مقابلة صحافية

7- مقابلة صحفية نشرت يوم 31-5-2013 في جريدة الراية القطرية

8- 15/ 5/ 2013- مقر حزب الوحدة- عمان

خطوات تنفيذ مشروع الشرق الأوسط الوسيع

بدأت أولى خطوات تنفيذ مشروع الشرق الأوسط الوسيع، بتحالف العرب مع بريطانيا لتفكيك الإمبراطورية العثمانية، ومنذ تلك الواقعة ونحن نشهد الخطوة التعزيزية تلو الخطوة، فكانت معاهدة سايكس- بيكو بين فرنسا وبريطانيا لاقتسام العرب، ومن ثم وعد بلفور وعصبة الأمم والانتداب البريطاني على فلسطين وشرق الأردن والعراق، وانتداب فرنسا على سوريا بشكل خاص.

تبع ذلك مؤامرات حيكت ضد الشعب الفلسطيني لإفشال ثورته كما حدث عام 1936، حيث ضغط العميل نوري السعيد بكل قوته على الشعب الفلسطيني لوقف الإضراب الشامل بنص: إن صديقتنا العظمى بريطانيا وعدتنا بحل المشكلة؟!! وهاهم خلفاء نوري السعيد يمارسون نفس الدور ولكن بنص: إن صديقتنا العظمى أمريكا وعدتنا بحل المشكلة!!!

جاء تأسيس الكيان الصهيوني في 15/ 5/ 1948 ليقرع جرس الحقيقة، أن مشروع الشرق الأوسط الوسيع قد بدأ ينمو، لأن إسرائيل وحلفاءها في المنطقة قادرون على تفكيك الأمة، وحرق العباد قبل بيع البلاد، بدليل أن مشروع النهضة العربي قد أجهض رسمياً وفعلياً، وبقي المشروع الصهيوني يتمدد مثل الأفعى حتى التهم المساحة الواقعة بين شرقي المتوسط حتى موريتانيا، وبالمعاهدات رفرف العلم الصهيوني في أرجاء واسعة من الوطن العرب وفوق عواصم شتى. وحدهم الإيرانيون بعد خلع الشاه تخلصوا من هذا العلم، تبعهم بعد ذلك الموريتانيون.

لا يغيبن عن البال أن حرب "الأيام الستة" كانت حجر زاوية متين في أساس الشرق الأوسط الوسيع، لأنها قلبت الموازين وأثبت العرب أنهم لا يثبتون على لاء رافضة لإسرائيل.

بعد أن كانت مصر عبد الناصر ملاذ العرب وقبلة تحررهم، أصبحت مصر السادات بوابة قبر العرب جميعاً، بعد أن وقع مع إسرائيل معاهدة كامب ديفيد في 17-9- 1978 بعد زيارته الصدمة للكنسيت، وخطابه المجنون الذي رفع فيه الراية البيضاء، بدون شروط، ووعدهم أن حرب رمضان، ستكون آخر الحروب بين مصر وإسرائيل، كما أنه أقدم على طرد الخبراء الروس من مصر، وقال "العزيز" هنري كيسنجر وزير خارجية أمريكا الأسبق الذي استمتع برقص سهير زكي أمامه، إنه لم يتعامل في حياته مع رئيس يوازي في غبائه ما يتمتع به السادات، لأنه طرد الخبراء الروس مجاناً، ولو أنه ساوم واشنطن عليهم لأعادت له الضفة وغزة؟؟!

المشكلة الأخطر هي قيام أصحاب القضية بتوقيع أوسلو، ظناً منهم أن السلام آت، فعلى الرغم من مرور نحو عشرين عاماً على هذا الحدث الخطير، لم نر سلاماً أو حتى ما أشبه، بل نلمس شطباً للقضية الفلسطينية، خاصة وأن هناك فلسطينان وحكومتان الأولى في رام الله والثانية في غزة.

بعد م.ت.ف. جاء دور الأردن بعد ذلك بعام، إذ وقع معاهدة وادي عربة، وعلى الرغم من مرور السنين لم نجد سلاماً، بل تهديدات إسرائيلية متواصلة للأردن وحرائق حدود لا تنطفئ.

لم تقف الأمور عند دول الطوق، بل امتد الخطر ليشمل موريتانيا التي ارتبطت عام 1995 بعد المؤتمر الاقتصادي الذي عقد في عمان، بعلاقات مع إسرائيل، ووصلت الأمور إلى تبادل السفارات، ولم تكن موريتانيا أفضل حالاً

من غالبية الدول العربية التي ترقص في معظمها مع إسرائيل تحت الطاولة، لأن شعوبها لم تصل إلى مرحلة القبول بإسرائيل.

الخلافات العربية- العربية المتجذرة أيضاً، هي إحدى خطوات بناء المشروع الشرق أوسطي الوسيع، ومما زاد الطين بلة هو الخلاف العربي- الإيراني الذي تحول إلى تخندق، ووجدنا إسرائيل تصطف فيه معنا ضد إيران.

ما نراه اليوم وخاصة بعد احتلال العراق وإغراقه بالطائفية والمذهبية، وما حدث في ليبيا ومصر وسوريا وما تنتظره الدول العربية "الجملوكية" الأخرى، ينبيء عن قرب الإعلان عن تنفيذ هذا المشروع، ولكن تبقى مرحلة العبث الفعلي في إيران؟؟!!!

ما يجب التأكيد عليه أن التسوية لم تكن سوى حجر الأساس والمدماك القوي للشرق الأوسط الوسيع، لأن إنفراط العقد العربي، ودخول إسرائيل علانية في المعادلة العربية والتطبيع العربي معها، وقبول رؤية علمها يرفرف في عواصم عربية ورؤية حكام عرب يزورونها، دمر كل القيم والمعتقدات التي كان العرب يؤمنون بها، إذ أصبح الدارج والمألوف هو الحديث عن إيران وحزب الله كأعداء، وباتت إسرائيل صديقة للعرب.

إحدى الخطوات الفاعلة في بناء الشرق الأوسط الوسيع هي تفكيك الاتحاد السوفييتي وفرط عقد المنظومة الاشتراكية التي كانت مغلفة بنطاق حديدي وبجهود يهودية واضحة، لكنها بعد ذلك أصبحت كالسبحة التي انقطع خيطها وانفرط عقدها، دولة بعد دولة تطلب في غالبيتها التحالف مع أمريكا، ولا حظنا أن جورجيا شنت حرباً على روسيا.

كل ذلك كان بسبب هزيمة السوفييت في أفغانستان جراء التحالف القائم آنذاك بين بعض العرب والإسلام السياسي مع أمريكا، ونجم عن كل ذلك سهولة التغلغل الأمريكي في منطقة آسيا الوسطى، والعمل على إضعاف روسيا، لكنها وبوجود فلاديمير بوتين تنهض من جديد بيد أنها بطبيعة الحال لن تعيد هيبة الإتحاد السوفييتي السابق.

ونرى كذلك حراكات أمريكية على حدود الصين لإزعاجها وتعطيل مشروعها النهضوي الذي سيقودها إلى التربع على عرش المعمورة.

مما لا شك فيه أن الحرب العراقية- الإيرانية التي استمرت بين العراق وإيران ثماني سنوات، كانت عاملاً مهماً في فتح شهية الأعداء لفتح ملف هذا المشروع من جديد، لأنهم رأوا تأثيرها على العلاقات العربية- العربية والعربية الإسلامية والإسلامية الإسلامية حيث بدأ الإصطفاف جلياً.

كما أن انفراط عقد الوحدة السورية المصرية عام 1961، كان علامة مهمة من علامات إمكانية تنفيذ مشروع الشرق الأوسط الوسيع، لأنه أساساً قائم على التجزئة والتفتيت، وقد غاظتهم تلك الوحدة فجندوا قدراتهم وقدرات حلفائهم في المنطقة لإبطال تلك الوحدة، وليس خفياً أن إسرائيل لعبت دوراً في ذلك، وينطبق ذلك على الانقسام الفلسطيني.

أما علامة البدء الفعلي في تنفيذ المشروع، فهي نجاح إسرائيل في الحصول على اعتراف دولي بها على أنها دولة يهودية، وهذا ما رفضه الرئيس الأمريكي الأسبق هاري ترومان وشطب كلمة دولة إسرائيل اليهودية، وكتب مكانها بخط يده دولة إسرائيل.

المسألة اليهودية والشرق الأوسط الكبير

قلنا في مكان آخر إن الفكرة الأولى لمشروع الشرق الأوسط الكبير، انبثقت من أوروبا، لصنع حجاب حاجز سياسي عسكري في المنطقة، اسمه الآن إسرائيل وليكون رابطاً مع أوروبا، وبذلك يتخلص الأوروبيون من اليهود الذين أتعبوهم وأفسدوهم من خلال المؤامرات والحروب والفتن والربا وما إلى ذلك.

أوروبا كانت تتألم بسبب "المشكلة اليهودية"[1]، وما عجل السعي لتحقيق هذه الرغبة الملحة، هو اكتشاف النفط والغاز في هذه المنطقة، مما زاد من أهميتها بالنسبة للغرب، وضرورة أن لا تظهر قوة عربية تضبط الإيقاع السياسي والعسكري والاجتماعي وتشكل استقلالاً عربياً حقيقياً.

هذا ما يفسر عرقلة أي مسيرة عربية وحدوية، وتحطيم كل القوى العربية التي من شأنها قيادة مشروع الوحدة وفي المقدمة مصر والعراق، ولعل الاستكلاب الإسرائيلي الأمريكي البريطاني الإقليمي ضد الوحدة المصرية-السورية، أواخر خمسينيات القرن المنصرم، خير دليل على ذلك، إذ لم يهنأ بال أحد حتى أفشلوا تلك الوحدة، وبعدها رأينا حلف بغداد الأمريكي وقبلها جامعة الدول العربية التي أسسها وزير خارجية بريطانيا أنطوني إيدن، ليسهل على بريطانيا ضبط الإيقاع العربي باتصال واحد، وها هي جامعة الدول العربية تنخرط في ما يطلق عليه العملية السلمية بين الفلسطينيين والإسرائيليين، وكما هو معروف فإن أمريكا ورثت الجامعة عن بريطانيا.

ما يحير العقول السوية هو أن أمريكا التي أقيمت على أنقاض الهنود الحمر قبل نحو 200 عاما، وتفتقر بصبغتها الحالية إلى الثقافة الأصيلة، هو أن هذه الأمريكا رهنت نفسها ليهود، وباتت تنفذ مصالحهم وتحمي إسرائيل، ولو كان

ذلك على حساب الشعب الأمريكي الذي يدفع الضرائب فتذهب إلى إسرائيل بما مقداره نحو 21 مليار دولار سنوياً بأوجه متعددة.

تعددت ألقاب المنطقة العربية غربياً وأمريكياً، وتتابعت الاسماء، من الشرق العربي، إلى الشرق الأوسط، والعالم العربي، واشتدت الهجمة بعد إقامة إسرائيل، لتثبيتها في المنطقة، فغداة حرب السويس عام 1956، سمعنا نغمة مصطلح "الشرق الأوسط"، إذ طرح الرئيس الأمريكي آيزنهاور عام 1957 مشروعه الشهير بعنوان "ملء الفراغ في الشرق الأوسط"، حيث انهيار الإمبراطورية البريطانية بعد معركة بور سعيد والقناة، والإمبراطورية الفرنسية التي لفظت آخر أنفاسها في جبال الأوراس الجزائرية، وبعض أنحاء أفريقيا وانتصار حركات التحرر الوطني في معركة "ديان بيان فو" عام 1954 في منطقة الهند الصينية في جنوب شرق آسيا[2].

ليس سراً القول إن واشنطن وظفت الإسلام السياسي في تلك الفترة، لمواجهة المد القومي الذي كان يقوده الزعيم "الراحل جمال عبد الناصر"، وجرى تشكيل الحلف الإسلامي، الذي برز فيه الشاه المقبور إضافة إلى السعودية التي وقفت في وجه عبد الناصر إبان إرسال قواته إلى اليمن عام 1963، لكن انتصار الثورة الإسلامية في إيران عام 1978، أدخل الرعب في قلوب الأمريكيين، قال مستشار الأمن القومي للرئيس كارتر البروفيسور زيجنيو بريجنسكي إن الخطر الإسلامي بدأ يلوح في الأفق.

هنا نستطيع القول إن العداء الأمريكي لإيران، إنما هو نابع من هذا التحول الذي شهدته إيران، إذ كانت إيران الشاه المخلوع، محمية أمريكية بعد رحيل البريطانيين عن المنطقة، وكانت بئر نفط لإسرائيل قبل أمريكا، إضافة إلى كونها بنكاً مركزياً لإسرائيل، ومنفذها على العراق من خلال الشمال الكردي.

لم تغفل أمريكا والعقول اليهودية العبقرية الـتي تحركهـا وتوجـه بوصـلتها حيث إسرائيل مناسبة صغيرة أو كبيرة، إلا وأظهرت عداءها للعـرب والمسـلمين على حد سواء، ولم تسـتطع إخفـاء كرههـا لمصـر عبـد الناصـر وإيـران الثـورة، وشغفها بالشاه ومن لف لفيفه من الحكام العرب.

تطور مفهوم الشرق الأوسط من الشرق الأوسط الوسـيع الـذي دعـا لـه هيرتزل، إلى الشرق الأوسط الكبير الذي رسمه بيرنارد لويس وأقره الكـونفرس الأمريكي سراً عام 1983، وبشرت به وزيرة خارجية أمريكا الأسـبق كونـداليزا رايس صيف العام 2006 عندما غامرت إسرائيل في هجومها على لبنان، بهـدف القضاء على حزب الله وقالت: الآن بدأ تنفيذ مشروع الشرق الأوسـط الجديـد، وكان رئيس الكيان الإسرائيلي شيمون بيريز أوائل تسعينيات القرن المنصـرم قـد بشر في كتاب أصدره بالشرق الأوسط الجديد يحمل نفس العنوان.

ليس مبالغة القول إن الهدف من إطلاق صفة الإرهاب ولصقها بالإسـلام والمسلمين إنما يدلل على مدى كراهية المحافظين الجدد الـذين يتـدثرون بالغطـاء اليهودي- للمسلمين وللإسلام، ولو كـان الأمـر يتعلـق بالعلاقـة بـين الإسـلام والمسيحية، لما رأينا هذا العداء، لأن المسيحية هـي الـدين الأقـرب إلى الإسـلام، لكن فتش عن يهود!

لذلك نجد أن جميع البنود القابلة للتنفيذ في مشروع الشرق الأوسط الكبير، تركز على ضمان أمن إسرائيل وتسهيل اندماجها في المنطقـة، مـن أجـل شـطب الهوية العربية- الإسـلامية لهـذه المنطقـة الممتـدة مـن الشـاطيء الشـرقي للبحـر المتوسط حتى بحر قزوين.

تحطيم الأدوار كان هو المخطـط الإسـرائيلي- الأمريكـي، وبدايـة كانـت القاهرة ثم تلتها بغداد فدمشق، وهاهم يضيقون الخناق على طهران، ويخططـون

لخلط الأوراق في الأردن، وسيعبثون في الباكستان ولن يسمحوا لتركيا بالريادة، وهكذا دواليك.

الهدم والبناء هي نظرية المفكر الأمريكي اليهودي من أصل ألماني ليوشتراوس من جامعة هارفارد، ومن هذه النظرية انبعثت نظريات أخرى مثل الفوضى الخلاقة والعمى الخلاق (الكييوس)، ولعل هذا ما يفسر مجريات الأمور في المنطقة، حيث الدمار الشامل والقتل والتشريد، ومن ثم سيقومون في مراحل متقدمة بإعادة رسم المنطقة حسب ما اجتهد به بيرنارد لويس.

يبدو أن كل ما قيل سابقاً عن هذا المشروع كان مجرد بالونات اختبار، أو مجسات لمعرفة ردود الأفعال، لكن ما رأيناه بعد تفجيرات البرجين في 11 سبتمبر 2001، كان وضعاً لحجر الأساس، وهكذا كان، ولا شك أننا هذه الأيام دخلنا مرحلة العمق وأصبحنا نؤسس بأيدينا لهذا المشروع.

يقول الأستاذ محمد الخولي العضو في الجمعية العالمية لمستقبل العالم[3]، إن فريقاً مؤلفاً من 19 من أهم الباحثين والعلماء في مجالات الاقتصاد والعلوم السياسية والتخطيط الاستراتيجي عكفوا لمدة عام كامل بين صيف 2003 وصيف 2004، وهم من دول الغرب وأمريكا، ومن بينهم أستاذ من تركيا، على تناول موضوع الإصلاح في الشرق الأوسط الكبير، وركزوا على الديمقراطية والتنمية البشرية، وخرجوا بدراسة أطلقوا عليها اسم وثيقة (ورقة) إسطنبول، جاء فيها أن الشرق الأوسط الكبير يمتد من المغرب إلى أفغانستان، وأنه يتعرض لتهديدات من جانب أقطار المنطقة أو من العالم بأسره. وأنه يوفر حصة لا غنى عنها من الطاقة، وهو أخطر المناطق في العالم، وهناك إمكانية لحصوله على أسلحة الدمار الشامل، وأن "الإرهابيين" لن يتورعوا عن استعمال هذه الأسلحة.

عند التمعن في هذه الورقة، نجد أنها استندت إلى مصطلح غربي الأصل، وهو الشرق الأوسط الكبير، ولم يدخل إلى أدبياتنا إلا منذ الحرب الكونية الثانية وكان يصل إلى إيران، لكن هذا المصطلح الجديد تعدى إيران إلى الباكستان وأفغانستان وضم إسرائيل.

لا شك أن هذه الوثيقة حملت الغرب بعض مسؤولية التهتك الحاصل في هذه المنطقة وذلك عندما تحدثت عن إسرائيل.

لا يهدف مشروع الشرق الأوسط الكبير إلى السيطرة على الأسواق العربية فقط، بل كان الهدف الكبر هو إنهاء قضية الصراع الفلسطيني- الإسرائيلي، من خلال ربطها بمسألة التعاون الاقتصادي(4)، لدمج الاقتصادين في سلة واحدة، ذات هوية إسرائيلية، وكذلك دمج الاقتصادات العربية مع الاقتصاد الإسرائيلي، أيضاً، وبالتالي تثبت إسرائيل في المنطقة حلاً نهائياً للمسألة اليهودية، التي أرقت الغرب بأكمله. وهذا ما يفسر إقدام وزير خارجية أمريكا السيناتور جون كيري على طرح ما أطلق عليه مبادرة السلام الإقتصادي في خطابه في مؤتمر دافوس الاقتصادي في البحر الميت أواخر أيار 2013.

لعل بدء معركة هذا المشروع وانطلاقها من أرض الخليج الغني، وربما يكون انتهاؤه بأرض الخليج أيضاً إيران، يدلل على الصبغة الاقتصادية لهذا المشروع، وفي مرحلة لاحقة سنشهد إنشاء منطقة حرة بين إسرائيل والضفة الغربية وقطاع غزة، لزيادة معدل نمو الاقتصاد الإسرائيلي في قطاعي الصناعة والخدمات، بينما سيقتصر نمو الاقتصاد الفلسطيني على موضوع الخدمات فقط(5).

كما سيشمل ذلك لاحقاً الأردن وإسرائيل وفلسطين، وإقامة تجمع اقتصادي ثلاثي (أردني- فلسطيني- إسرائيلي)، وإن عرفنا أن الناتج المحلي

الإجمالي عام 1990 كان 51 مليار دولار، فيما الأردن 4 مليارات، والضفة وغزة 2,6 مليار، في حين تضاعف الناتج الإسرائيلي 9 مرات عـن فلسـطين والأردن معاً، نجد أن المعادلة لا يمكن أن تكون سليمة، وبالتالي فإن إسرائيل هي المستفيد الوحيد من هذا المشروع، وهم بذلك لا يريدون أن يعوا أن الاحتلال هـو عـائق التنمية، وأنه لا تنمية مع الاحتلال.

لوعدنا إلى مشروع شيمون بيرز 1986 (الشرق أوسطي) الذي يتلخص في "أنا أملك وأهيمن على الأرض والماء والسماء إذن أنا موجود"[6]. لوجدناه يدخل إلينا من الباب الاقتصادي، ويدعو شـأنه شـأن هيرتـزل لـدمج إسـرائيل القويـة والغنية والذكية، في الوطن العربي المتخلف الديكتاتوري والذي يحتاج إلى وصاية دولية.

دعا هيرتزل في مشـروعه أيضـاً عـام 1897 إلى دمـج إسـرائيل في الـوطن العربي، لتصبح إسرائيل سنغافورة الشرق الأوسط، وأن تكون الفاعلة والقائدة، ولا بد من القول إن مصطلح الشرق الأوسط جاء مع الصهيونية العالمية، ولكـن الجغرافيا هنا لم تكن موجودة، لأن الجغرافيا مثل بطن المرأة الحامل تتمدد وتكـبر عند الحمل وتصغر بعد الولادة، أما الاقتصاد الذي ركز عليـه مشـروع هيرتـزل فهو حجر الزاوية، وقد دعا الإسرائيليون إلى التزاوج بين العبقرية اليهودية والمال العربي، وأظن أن ذلك واقع هذه الأيام، لكن الناس لا تلم بالتفاصيل.

تعلم إسرائيل جيداً، أن تركيزها على الجغرافيا لن يفيدها، لأنها فشلت في جمع يهود العالم كافة، وبالتالي فإنها تعاني عجزاً بشرياً، ولو أنهـا امتلكـت هـذه القوة لوجدناها قد احتلت العالم العربي حارة حارة، لكن طموحها هو السـيطرة على الإقليم اقتصادياً وعسكرياً من خلال سلاحها الجوي، وثرائها.

إن دمج إسرائيل في الوطن العربي من خلال سفاراتها ورفرفة أعلامهـا في العواصم العربية، والزيارات المتبادلة بين مسؤوليها والمسؤولين العرب، والتطبيع بجميع أشكاله معهـا، سـيقود إلى الانفتـاح علـى العـالم العربـي، وكمـا وظفـت إسرائيل الجامعة العربية لتنفيذ أجندتها، فإنها نجحت في توظيف منظمة التعـاون الإسلامي التي تضم 57 دولة إسلامية، والتي دعت إلى المصالحة مع إسرائيل.

المصادر والمراجـع

1- الشرق الأوسط الكبير- محمد الخولي- كتاب الهلال ص5

2- المصدر ذاته ص9

3- المصدر ذاته 26

4- العولمة وأثرها على العالم العربي.. مشروع الشرق الأوسط الكبير د. يوسف المراشدة ص208

5- المصدر ذاته ص 215

6- الثورة الإسلامية الإيرانية وازمة البرنامج النووي الإيراني- عدنان ابو سرحان ص125

جين الشرق الأوسط عربي

خريطة للجينات العربية

أنجزها البروفيسور الأردني إحسان محاسنة

مشروع الشرق الأوسط الكبير لشطب الهوية العربية

الخريطة أثبتت أن العرب ليسوا بقايا حروب

خريطة اليهود الجينية تضم نسبة من الجينات العربية

عمان- الراية- أسعد العزوني: أنهى البروفيسور الأردني إحسان محاسنة الخبير المختص في التكنولوجيا الحيوية والهندسة الوراثية الذي عمل مدرساً في جامعة قطر لعدة سنوات مؤخراً خريطة الجينات العربية، بعد عمل استمر أربعة عشر عاماً منها خمسة أعوام في دراسة إعجاز القرآن الكريم ومثلها في دراسة علم الأنساب وأربعة أعوام في التحليل الجيني.

وقال في حوار أجرته معه الراية: إن فكرة هذه الدراسة جاءت لهدفين الأول علمي بحت، والثاني حضاري سياسي، بمعنى رد الطعن السياسي الموجه للأمة العربية من قبل كثير من المستشرقين عبر رحلة استمرت نحو ألفي عام، وكذلك الهجمة الحديثة على العرب والرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، والادعاء بأن العرب هم بقايا حروب (يونان، رومان، صليبيون، أتراك، تتار، وأوروبيون). كما أن الهدف العلمي لهذه الدراسة- الخريطة تمثل في أن جميع الدول الأخرى باستثناء العرب قاموا بإجراء التحاليل وتحديد المعالم الوراثية لشعوبها.

وعن الصعوبات التي تعترض علم الوراثة في المنطقة العربية أوضح د. محاسنة أن ذلك يكمن في عدم وجود المختصين بصورة كافية لتحقيق ما يسمى العينة (الحد الحرج) لإبراز الثقافة الوراثية وتعميمها لتصل إلى الرأي العام العربي.

ولدى إجابته على سؤال يتعلق بالوسائل المستعملة في إنجاز البحث بيّن البروفيسور الأردني أن فريقاً مكوناً من ثمانية طلاب وطالبات من دول عربية عملوا معه في المشروع من مختلف الدول العربية، إما مباشرة أو بطريقة غير مباشرة، حيث تم إيفاد طلبة إلى شمال أفريقيا ودول الخليج، وآخرون طافوا مناطق الأردن، ومنهم من توجه إلى العراق وسوريا ولبنان وفلسطين.

وتابع أنه بعد استلام العينات، تم عزل الحمض النووي DNA، وجرى استعمال جهاز التحليل الجيني فيما يتعلق بالمقاطع الجينية (القصيرة المتكررة). حيث جرى أيضاً استعمال البرمجيات الحيوية الخاصة والتحكم بها، واستخراج أنماط جينية ترتبط باسم العائلات، وهي موجودة في خط الذكور وتنتقل من الآباء فالأبناء والحفدة دون تغيير. مشيراً إلى أن لذلك علاقة في الإعجاز القرآني من خلال خبرته في حوار الأديان حيث علم النسب (إناخلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا).

إلى ذلك بيّن البروفيسور محاسنة أنه وجد في دراسته أن الكروموزوم (Y) ذكري ويحمل جينات معينة خاصة بالنسب، وتنتقل من الآباء إلى الأبناء حتى قيام الساعة، وتختلف من شعب لآخر ومن قبيلة لأخرى، منوهاً أنه لولا ذلك، لكان بإمكان أي مستشرق أن يطعن في القرآن الكريم.

وفيما يتعلق بالعينات، أوضح أنه جرى الحصول على 1400 عينة من الدول العربية، كما تم الاستفادة من الطلبة العرب الدارسين في الأردن والمرضى

العرب الذين زاروا الأردن للعلاج وخاصة من دول الخليج العربية، كما أن العشائر الأردنية تعاونت بصورة لافتة للنظر، موضحاً أنه تم إخراج الجينات الخاصة (المجموعة الجينية العربية).

ورداً على سؤال يتعلق بسبب ذلك قال: هناك جينات محددة خاصة لها تكرارات في حدود الأرض العربية، تبدأ بالتلاشي حد الانعدام عند الخروج من هذه الحدود، مشيراً إلى أن الأمم الأخرى لها جيناتها الخاصة بها، وأن المستشرقين يدعون أن الشرق الأوسط جينياً ليس أمة عربية، وبالتالي فإن العرب هم بقايا حروب، مؤكداً أنه عندما نتحدث عن الجينات نتحدث عن الديمغرافيا وبالتالي عن الأرض.

وأضاف البروفيسور محاسنه: إن الدراسة أثبتت أن هناك علاقة متلازمة بين المخزون الجيني العربي وبين الأرض العربية، بمعنى أن الأمة مستمرة جينياً. وبالتالي فإن العرب ليسوا شراذم حسب ادعاءات المستشرقين.

وفيما يتعلق بميزات الخريطة الجينية العربية أوضح أن مجموع الجين العربي ينقسم إلى العدنانيين والقحطانيين، وأن القسم القحطاني ينتشر بوضوح في الأردن وقطر وبقية دول الخليج وبلاد الشام، وأن هناك خطاً مغربياً ينتشر في شمال أفريقيا مع وجود خط عدناني وقحطاني أكثر بنحو 7٪.

أما بالنسبة للتطبيقات العلمية، بيّن البروفيسور محاسنة أن هناك ثلاثة محاور وهي استعمال الخريطة العربية لقراءة وتتبع الأرض الوراثية لدى المجتمعات العربية، وهي مرتبطة في العرق كما هو الحال عند الأوروبيين، بمعنى أن سرطان الجلد منتشر في الغرب ولا يوجد في الشرق الأوسط، وكذلك البروستات المنتشر عربياً ولا يوجد في الغرب.

أما المحور الثاني فهو اجتماعي بمعنى أن قضية الإنسان العربي المهاجر عبر آلاف السنين، أو أنه هاجر بسبب الحروب خاصة، وأن العرب هم أكثر من تعرض للهجمات الخارجية، منوهاً إلى أن آخر ملوك الغساسنة وهو جبلة بن الأيهم الذي رفض الدخول في الإسلام بعد معركة اليرموك عام 636 هاجر ومعه 30 ألفاً إلى روما واستقبلهم هرقل، ولذلك فإن جيناتهم تظهر هناك، إضافة إلى قبيلة إياد العدنانية التي اختفت من التاريخ على الرغم من محاولات الخليفة عمر بن الخطاب لدخولهم في الإسلام لكنهم رفضوا ذلك وأصروا على الهجرة إلى القسطنطينية، ناهيك عن حملة (السفر برلك) العثمانية والحروب العربية الإسرائيلية. مشدداً على حق العربي في التعرف على أصله من خلال استعمال الخريطة الوراثية العربية، ذلك أن الخريطة تؤدي إلى لم الشمل الوراثي، وعليه فإن الفلسطينيين والعراقيين هم أكثر الناس استفادة منها لتشتتهم. وهناك ثلاثة أسئلة تراود الإنسان هي: من أنا؟ من أين أنت؟ ومن أين هو؟

أما المحور الثالث فهو التطبيقات الأمنية والعسكرية (الكوارث الطبيعية) وتشخيص الجثث في البوسنة والهرسك والحروب وتسونامي وعلم الإجرام.

وفي معرض حديثه عن ميزات خريطة الجينات العربية قال البروفيسور محاسنة: إن الخط القحطاني هو الغالب على الخريطة العربية، فيما توجد نسبة أقل من الخط العدناني، مؤكداً أن نسبة الخط القحطاني في العشائر الأردنية تبلغ 72٪ فيما تبلغ نسبة الخط العدناني 21٪، وعليه فإن مجموع الجين العربي في الأردن يصل إلى 93٪، فيما تتوزع النسبة المتبقية على المجموعة القوقازية والكرد

والأتراك والأرمن. بمعنى أن الأردن هو العاصمة الجينية العربية، وأن قطر قريبة من الأردن في هذا المجال حيث إن الأردن هو محطة جيوش الفتح.

ولدى سؤاله عن السود في الوطن العربي، أكد البروفيسور محاسنه أن لون البشرة ولون العيون لا علاقة له بالدراسة، لأن الطرز المظهرية ناجمة عن جين واحد من الأم والثاني من الأب، ولذلك فإن الحديث عن جينات في الذكر لا علاقة لها بجينات الأم.

وحول وضع الأقليات في الوطن العربي جينياً قال: إن نسبتهم متدنية في الدراسة، وإن خرائطهم الجينية في بلدانهم، مشيراً إلى وجود نسبة كبيرة من الأوروبيين في لبنان بسبب استقرار بعضهم من الحروب الصليبية، إضافة إلى من ترك أوروبا وفضل العيش في لبنان (المجموعة البريطانية)، وكذلك مجموعة الهنود والباكستانيين في سلطنة عمان، وهي ضئيلة.

وحول اليهود، شدد البروفيسور محاسنة على وجوب التفريق بين الجين والديانة التي يجلها المسلمون كونها ديناً سماوياً. موضحاً أن خريطة اليهود الجينية تضم نسبة من الجينات العربية بمعنى أنها جينات اليهود العرب الذين وُجدوا في الجزيرة العربية ورفضوا الدخول في الإسلام وغادروا الجزيرة إلى أوروبا، وظلوا يحملون الجينات العربية.

كما تحدث عن العرب المسيحيين في الأردن وأنهم ينتمون إلى الغساسنة ومن الخط القحطاني منوهاً إلى أنه قد تم مقارنة نتائج الدراسة بدراسات اليهود الجينية.

وفي سياق آخر قال البروفيسور محاسنه: إن هناك مواقع اليكترونية غربية وإسرائيلية تشكك بعروبة أهل الخليج وتقول إنهم بقايا حجاج وأنهم ليسوا عرباً، وإن ذلك يشكل هاجساً سياسياً لكل دول الخليج العربية، مؤكداً أن هذه الدراسة تدحض ذلك، كما أوضح أن الهدف من إقامة الشرق الأوسط الكبير هو خلط الجينات من خلال إدخال عناصر أجنبية مثل الأفغان والباكستانيين والأتراك والإيرانيين والإسرائيليين. وبالتالي شطب الهوية العربية.

الخاتمـــــة

بصرف النظر عن ائتلاف الآباء لمشروع الشرق الأوسط الكبير أو الجديد أو الوسيع لا فرق، بدْءاً من هيرتزل وانتهاء بليفي، مروراً بآخرين وردت أسماؤهم في بحوث هذا الكتاب، إلا أننا يجب أن نتوقف ملياً عند اثنين هما: الفيلسوف اليهودي الفرنسي د. بيرنارد ليفي واليهودي الأمريكي جورج فيلتمان اللذيْن أسهما في وضع حجر الأساس لمشروع الشرق الأوسط الكبير بطبعته الحالية.

إن ما ورد على ألسنة آباء المشروع وما خطته أياديهم، إنما هو جس للنبض وبالونات اختبار، بدليل أن الخوض في هذا المشروع استغرق قرناً كاملاً، وربما عقدت من أجله مئات الاجتماعات الدولية، ووضعت له آلاف الخطط ورأينا كيف أن إسرائيل جندت العالم بأسره، لتنفيذ هذا المشروع الذي يضمن اندماجها في الأقليم العربي- الإسلامي الوسيع، وتحقيق ما هو أبعد من ذلك، تتويجها قائدة لهذا الإقليم من شرقي البحر المتوسط وحتى بحر قزوين.

لا شك أن القوي العائب يخاف منه الجميع، ويهبون لنجدته وتقديم العون له، ليس حباً به، بل خوفاً منه، وحتى لا يرتد عليهم بغضبه، وهذا ما يفسر دعم الغرب بأسره لإسرائيل، فهذا الدعم ليس حباً بإسرائيل، أو كراهية بالفلسطينيين والعرب، بل خوفاً من وقوع ما لا يحمد عقباه، علماً بأنه احتمال بعيد الحصول، وهو انتصار العرب على إسرائيل وهزيمتها، وبالتالي اضطرار المستوطنين اليهود إلى العودة من حيث أتوا، بمعنى عودتهم للفساد والافساد في المجتمعات الغربية التي عاشوا فيها وأفسدوها بالربا وغير ذلك، لأن الشيء بالشيء يذكر، ولو كان الغرب يخاف العرب ويحسب لهم حساباً، ولديه أدنى شك بأنهم سيلجأون إلى

استعمال سلاح النفط، لوازن الأمور على الأقل، لأنه سينظر آنذاك إلى مصالحه، فيما لو كانت مهددة، وغير نظرته إلى إسرائيل والقضية الفلسطينية!!!

لكنه وكما هو حالنا، لا يحسب لنا حساباً ويرانا فضاءات مفتوحة له، لتسرح فيها قطعات جيوشه براً وبحراً وجواً، ويستعملنا قواعد انطلاق ضد بعضنا بعضاً، أي أننا دمى عمياء في يديه، ننفذ له أجندته، وندفع له الأموال مكافأة له، لأن راض عنا وعلينا.

علماً بأن مسؤولاً أمريكياً، نسيت اسمه، قال ذات يوم: إن المعادلة في الشرق الأوسط، يجب أن تتغير. وعندما سئل عن القصد من وراء هذه الكلمات، أجاب: إن العرب يقدمون لأمريكا ما تطلبه منهم من الألف إلى الياء، وبالسرعة الممكنة ومجاناً، بينما إسرائيل تبتز واشنطن في حال طلبت منها شيئاً، ولكنها في نهاية المطاف لا تقدم لها شيئاً!!!

عندما ورط يهود أمريكا في أفغانستان أثر هجمات 11 سبتمبر الإرهابية التي نفذوها، وكذلك في العراق بعد أن أقنعوا بوش الصغير، أن من ينتصر في حرب العراق المحاصر منذ نحو 11 عاماً، والذي خاض حرباً ضروساً مع إيران لمدة 8 سنوات، وخرج مهزوماً مدمراً من الكويت، سينتصر في حرب هرمجدون؟!

عند ذلك، وجدت أمريكا نفسها في ورطة كبيرة، وأدركت أنها غاصت في الوحل، ووجدت نفسها عاجزة عن تنفيذ مشروع الشرق الأوسط الكبير، لأن باكستان لم تف بوعودها لها، ولأن المقاومة العراقية التي لم تكن في الحسبان، عطلت انتقال الجيش الأمريكي إلى سوريا كما كان مخططاً، وهذا ما ولد عندهم فكرة الفوضى الخلاقة التي تطورت إلى "العمى الخلاق" أو "الكييوس"!

الغريب في الأمر أن يهود ومن لف لفيفهم لم يضموا الهند إلى مشروعهم، بل تحدثوا عن أفغانستان وباكستان وإيران وتركيا ودول إسلامية في آسيا الوسطى، وكان السبب في ذلك أن الهند ليست دولة إسلامية وهذا دليل على النوايا المبيتة لتفتيت العالمين العربي والإسلامي لصالح مستعمرة إسرائيل.

علينا العمل عرباً ومسلمين لإفشال هذا المخطط الجهنمي، الذي بدأ رأسه البشع يطل علينا منذ سنتين، ولن ننجح في ذلك إلا برفضنا للتطبيع مع إسرائيل وبكل أشكاله، وعلى علماء ديننا الحنيف إصدار الفتاوى المتتابعة لتحريم التطبيع مع هذه المستعمرة الشريرة، وعلينا بالتالي تعزيز علاقاتنا العربية- الإسلامية.

وقد أعجبني ما قاله لي المستشار الثقافي لرئيس الوزراء التركي البروفيسور بكر كاريغا ذات حوار صحافي في أيار الماضي، على هامش ندوة عن العلاقات العربية- التركية: إن هذا المشروع يطمس هويتنا الإسلامية والهوية العربية، وإن الرد عليه هو بالتكاتف العربي التركي الفارسي.

بقي القول إن ما فشل في تحقيقه الكبار، أمثال بوش الصغير وطوني بلير وساركوزي، نجح فيه الصغار أمثال بيرنارد ليفي وجورج فيلتمان.

مقالات المؤلف حول الشرق الأوسط الكبير

الشرق الأوسط الجديد... دول سادت ثم بادت؟!

كلنا يتذكر تصريحات وزيرة خارجية أمريكا المنصرفة كونداليزا رايس بداية العدوان الإسرائيلي على جنوب لبنان صيف العام 2006 للقضاء على حزب الله، لكن مقاتلي الحزب تصدوا له، إذ قالت (لا فُضَّ فوها!): "الآن بدأت عملية تنفيذ مشروع الشرق الأوسط الجديد". لكن الله سلم وأحبط المساعي الشريرة وتمكن حزب الله من صد ذلك الهجوم، وخرج عن المألوف عربياً وهدد إسرائيل من داخلها، وأمطرها بزخات من الصواريخ، وقام بإغراق السفينة الحربية "ساعر 5"، ولم نسمع من رايس ولا من غيرها بعد هذا النصر شيئاً عن "مشروع الشرق الأوسط الجديد"، فما هو هذا المشروع ولماذا تفكر به أمريكا وإسرائيل؟

ببساطة إنه إعادة فك وتركيب الدول العربية والإسلامية، واستبدال خريطة أخرى بخريطة سايكس بيكو، تجزيء المجزأ في الدول العربية، تحديداً بهدف محو الهوية العربية لهذه المنطقة، وإدخال العنصر غير العربي، حتى لا يبقى يقال إن هناك منطقة عربية بل شرق أوسط، تضم خارطته إيران وباكستان وتركيا وأفغانستان، ويكون بطبيعة الحال تحت السيطرة الإسرائيلية، بعد أن تصبح إسرائيل عضواً فاعلاً في الجامعة العربية التي سيتبدل اسمها إلى جامعة الشرق الأوسط.

ما هو ليس معروفاً عند بعضهم، أن الحديث عن مشروع الشرق الأوسط الجديد، بدأ إبان استعار نيران الحرب العراقية- الإيرانية عام 1980، والتي تمنينا لو أنها لم تندلع، لكن إبليس وفعله كانا أقوى من كل الأمنيات، إذ صرح مستشار الأمن القومي الأمريكي آنذاك زينيغيو بريجنسكي: "إن المعضلة التي

ستواجه أمريكا منذ الآن (1980) هي كيف يمكن خلق حرب خليجية ثانية، تقوم على الحرب الخليجية الأولى، التي وقعت بين العراق وإيران تتمكن أمريكا من خلالها تعديل حدود معاهدة سايكس- بيكو".

على الفور كلف البنتاغون المؤرخ الصهيوني المتأمرك د.برنارد لويس، بوضع مشروع لتفكيك الوحدة الدستورية للدول العربية والإسلامية على حد سواء، إلى مجموعة من الكانتونات والدويلات العرقية والدينية والمذهبية تحت إشراف البنتاغون.

في العام 1983 وافق الكونغرس الأمريكي بالإجماع في جلسة سرية على مشروع د. لويس، بعد أن تم تقنين هذا المشروع واعتماده وإدراجه في الملفات السياسية الأمريكية الاستراتيجية لسنوات مقبلة.

ما الذي تفتق عنه ذهن ذلك الصهيوني؟ لقد اتفق في هذا المشروع على تقسيم مصر إلى أربع دويلات هي:

1- سيناء وشرق الدلتا- تحت النفوذ الإسرائيلي- لتحقيق حلم يهود : حدودك يا إسرائيل من الفرات إلى النيل.

2- الدويلة القبطية المسيحية وعاصمتها الإسكندرية، وتمتد من جنوب بني سويف حتى جنوب أسيوط وتتوسع غرباً لتضم الفيوم وتمتد في خط صحراوي عبر وادي النطرون، ليربطها بالإسكندرية، كما تتوسع لتضم جزءاً من المنطقة الشمالية الممتدة حتى مرسى مطروح.

3- دويلة النوبة المتكاملة مع الأراضي الشمالية السودانية وعاصمتها أسوان، تربط الجزء الجنوبي الممتد من صعيد مصر حتى شمال السودان باسم بلاد النوبة، بمنطقة الصحراء الكبرى لتلتحم مع دولة البربر، التي سوف تمتد من جنوب المغرب حتى البحر الأحمر.

دويلة مصر الإسلامية وتضم الجزء المتبقي من مصر وعاصمتها القاهرة، ويراد لها أن تكون تحت النفوذ الإسرائيلي وتدخل في نطاق إسرائيل الكبرى.

أما السودان فسيتم تقسيمه هو الآخر إلى أربع دويلات هي:

1- دويلة النوبة المتكاملة مع دولة النوبة المصرية التي عاصمتها أسوان.

2- دويلة الشمال السوداني الإسلامية وعاصمتها الخرطوم.

3- دويلة الجنوب السوداني المسيحية وقد تحققت بالاستفتاء الذي جرى مؤخراً، علماً أن لويس كان قد أوصى في مشروعه بإجراء استفتاء في الجنوب قبل إقراره في اتفاق نيفاشا عام 2005.

4. دويلة دارفور الغنية باليورانيوم والنفط والذهب.

وتتضمن خطة الصهيوني لويس، تفكيك دول شمال أفريقيا العربية وهي تونس والجزائر وليبيا والمغرب، لإقامة دويلة البربر، على امتداد دويلة النوبة بمصر والسودان، وكذلك دويلة البوليساريو إضافة إلى دويلات المغرب وليبيا وتونس والجزائر.

تحدثنا سابقاً عن تفتيت مصر والسودان ودول شمال أفريقيا العربية، أما بالنسبة لدول الخليج، فإن خطة الصهيوني لويس تقضي بشطب الكويت وقطر والبحرين وسلطنة عمان واليمن والإمارات من الخارطة، وإلغاء وجودها الدستوري بحيث تتضمن شبه الجزيرة والخليج، ثلاث دويلات فقط هي:

1- دويلة الإحساء الشيعية وتضم الكويت والامارات وقطر وسلطنة عمان والبحرين.

2- دويلة نجد السنية.

3- دويلة الحجاز السنية.

وأوصى الصهيوني لويس بتقسيم العراق إلى ثلاث دويلات عرقية ومذهبية كما كان الحال بالنسبة لسوريا إبان الحكم العثماني وهي:

1- دويلة البصرة جنوب العراق.

2- دويلة بغداد في الوسط.

3- دويلة كردية في الشمال والشمال الشرقي (كردستان) حول الموصل، وتضم أجزاء من الأراضي السوفييتية سابقاً والعراقية والسورية والإيرانية والتركية، وقد صوت مجلس الشيوخ الأمريكي كشرط لانسحاب القوات الأمريكية من العراق يوم 29 تموز 2007 على تقسيم العراق إلى ثلاث دويلات.

وطالب مسعود البارزاني بإجراء استفتاء لتقرير مصير إقليم كردستان العراق واعتبار كركوك الغنية بالنفط عاصمة له.

ونال هذا المشروع المباركتين الأمريكية والعراقية في تشرين أول 2010، وكما هو معروف فإن دستور بريمر وأدوات أمريكا في العراق أقر هذه الفيدرالية التي تشمل هذه الدويلات الثلاث.

سيتم تقسيم سوريا إلى أربع دويلات هي:

1- دويلة علوية شيعية على امتداد الشاطيء.

2- دويلة حلب السنية.

3- دويلة دمشق السنية.

4- دويلة الدروز في الجولان ولبنان (جنوب سوريا وشرق الأردن والأراضي اللبنانية).

وعلى الرغم من صغر حجم لبنان إلا أن الصهيوني لويس أوصى بتقسيمه إلى ثمانية كانتونات عرقية ومذهبية ودينية وهي:

1- دويلة سنية في الشمال وعاصمتها طرابلس.

2- دويلة مارونية مسيحية في الشمال وعاصمها جونيه.

3- دويلة سهل البقاع العلوية وعاصمتها بعلبك تحت النفوذ السوري شرق لبنان.

4- دويلة بيروت الدولية المدولة.

5 - كانتون فلسطيني حول صيدا وحتى نهر الليطاني تسيطر عليها منظمة التحرير الفلسطينية.

6 - كانتون كتائبي مسيحي في الجنوب ويشمل مسيحيين ونصف مليون شيعي.

7- دويلة درزية في أجزاء من الأراضي اللبنانية والسورية والفلسطينية المحتلة.

8- كانتون مسيحي تحت النفوذ الإسرائيلي.

أما نصيب الأردن الذي وقع معاهدة وادي عربة مع إسرائيل، فإن الصهيوني لويس في مخططه الصهيو- أمريكي أوصى بشطبه عن الخريطة ونقل السلطة فيه إلى الفلسطينيين، في حين سيتم ابتلاع فلسطين بالكامل وهدم مقوماتها، وإبادة شعبها وهذا ما يبرر فشل التوصل إلى سلام على الرغم من اتفاقيات ومعاهدات السلام الموقعة مع إسرائيل.

سيتم تقسيم إيران وباكستان وأفغانستان إلى عشرة كانتونات عرقية ضعيفة هي: كردستان، أذربيجان، تركستان، عربستان، إيرانستان (ما يتبقى من إيران

بعـد التقسـيم)، بوخنسـتان، بلونسـتان، أفغانسـتان (مـا يتبقـى بعـد منهـا بعـد التقسيم)، باكستان (ما يتبقى منها بعد التقسيم) وكشمير.

بقي القول: ألسنا هـذه الأيـام في مرحلـة التفكيـك لتنفيـذ هـذا المشـروع الصهيو- أمريكي بعد انفصال جنوب السودان؟!

حال العرب لا يسر.. لماذا ؟

حال العرب ومنذ بداية القرن المنصرم تحديداً، لا يسر صـديقاً، ولا حتـى يفرح عدواً، فنحن وبشهادتنا جميعاً، خرجنا من دائرة الفعل والتـأثير في الآخـر، وعليه، وأصبحنا عرضة للفعل فينا وتأثير الآخر علينا، واستجابتنا السريعة لهـذا التأثير، ضمن ما يطلق عليه ردة الفعل السريعة غير المحسوبة أو المدروسة، ولهـذا نجد أن أحوالنا في تراجع مستمر.

كانت أمورنا سابقاً محتملة، إذ كنـا تجمعـات سـكانية كـبيرة يطلـق عليهـا الأقاليم، مثل بلاد الشام، وبلاد النيلين والمغرب العربي، لكن ضعفنا حد السقم، أوصلنا إلى الدولة القُطْرية، وبتنا نتكلم بـ "الأنا" وأغفلنا عامدين متعمـدين كلمـة "نحن"، فدفعنا الثمن وما أكبره، وهو الهوية.

اليوم بات ينطبق علينا مقولة "أمسنا أفضل من يومنـا، ويومنـا أفضـل مـن غدنا"، إذ طلقنا الدولة القُطْرية مكرهين أيضاً، بسبب ضعفنا وهزالنا حـد السـقم الذي لا شفاء منه، وبتنـا مشـاريع كانتونـات ضـمن مشـروع الشـرق الأوسـط الجديد، أو الكبير لافرق، وهو من إبـداع الصـهيوني- الأمريكـي الحاقـد علـى العروبة والإسلام د. بيرنارد لويس، الذي أبـدع في تفريـغ حقـده علـى العـرب والمسلمين، وخرج بهذا المشروع الحـاراتي إمعانـاً في إذلالنـا وتحقيرنـا وطمـس

هويتنا، والغريب في الأمر أننا متماهون معه تماماً، وأصبحنا نحن الغاية والهدف والأداة في الوقت نفسه.

ليس من قلة فينا ولا ضعف، ولكنه سوء طالع أصابنا لأننا أخطأنا الطريق وضللنا الدرب القويم، فصرنا إلى هلاك، سرنا إليه طائعين، لأننا فضلنا الآخر علينا ولم نحترم ذاتنا، وبالتالي هُنّا على أنفسنا قبل أن نهون على الناس، وأعني بالناس هنا الآخر الطماع النهم الذي لا يشبع، كون ما لدينا يغري حتى من لا يسمع ولا يرى، فما بالك بمن يسمع ويرى واستعار سمع وبصر إبليس؟

كرهنا الجمع والضرب لأنهما يضاعفان، وعشقنا حد الوله، القسمة والطرح، لأنهما يصغران، وحتى في هذا المجال لم نختر العمليات البسيطة، بل أقحمنا أنفسنا في العمليات الكبيرة فطرحنا منا الكثير، إذ لم يتبق لنا شيء، وقسمنا أنفسنا على الكثير، حتى أننا لم نعد نمتلك من أمرنا شيئاً، وهذا حالنا ومن فعل أيدينا ولا يحق لنا لوم أحد سوانا.

وعلاوة على عشقنا للطرح والقسمة بدون حساب، اعتمدنا نظام الشطب بدون تفكير أيضاً، وعملنا على شطب من قيضه الله لخدمتنا، فها هي مصر المحروسة وبفعل تآمر بعضهم عليها وجدت نفسها خارج دائرة التأثير العربي، حتى إنها إبان حكمي السادات ومبارك البائدين وجدت نفسها في خندق الأعداء، ويا لسوء هذه الحالة!

ها هو محراث الشرق الأوسط الجديد يعمل على عجل وبقوة ألف حصان، نظراً لمواتاة الظروف التي تساعد أياً كان على تحقيق هدفه المعلن، وغير المعلن في منطقتنا، وقطار التقسيم وتجزئة المجزأ يتوقف في المحطات العربية ويحمل من الركاب المجزئين الكثير، ومن لم يدخل نادي التجزئة مكرهاً دخله طائعاً كما حصل بالنسبة للسودان الذي وقع اتفاق نيفاشا عام 2005، وانتهى به الحال إلى

انفصال الجنوب وتكوين دولة طائفية إسرائيلية فيه تُكِنُّ العداء الشديد للسـودان وتشن الحروب عليه.

وها هي ليبيا تدخل في إطار التجزئة، وكأن ما حدث فيها كان بهدفه غـير المعلن الوصول إلى هذه المرحلة، ولا ندري ما الذي سيحصل للمحروسة مصـر إن استمر الحال فيها إلى ما هو عليه.

أما سوريا فعلى الرغم مـن ضـباب الـدماء الـتي تسـيل فيهـا، فـإن خطـة التقسيم باتت تظهر ساطعة شـيئاً فشـيئاً، والـدور علـى الجميـع لأن مـن يـزرع الشوك لا يحصد به العنب.

العراق.. هل دخل مرحلة التقسيم؟

التوقيت مهم جداً، في تشخيص الحالة المراد تسليط الضوء عليها، ذلك أنه "بيضة القبان" التي ترجح الاحتمال الوارد في الذهن، والأقرب إلى الحقيقة.

التقسيم هو القدر الظالم للعراق، المفروض عليه منذ الاحتلال الأمريكي له في ربيع العام 2003، لكن انطلاق المقاومة العراقية الباسلة غير المحسوب، ولا المشار إليه في تقارير السي آي إيه، والعملاء العراقيين آنذاك، والذي أتشرف بأنني الصحافي العربي الوحيد الذي نشر بيانها الأول، حمت العراق من التقسيم آنذاك.

كما أنها حمت سوريا من الاحتلال الأمريكي، لأن العراق كان أولاً تليه سوريا حسب "مشروع الشرق الأوسط الجديد" الذي أنيط بأمريكا في تلك الفترة تنفيذه بحجة دمقرطة المنطقة.

لكن ما يؤسف له، هو أن المقاومة العراقية هذه الأيام قد خبت، واختلط الحابل بالنابل، وجيء بالقاعدة ومن بعدها الصحوات، وسمعنا بإمارات إسلامية في العراق، كما انحرف الصراع عن مساره الطبيعي مع الاحتلال ليصبح صراعاً داخلياً، ارتقى في بعض صوره إلى الحرب الأهلية الطائفية وما يزال.

الغريب في الأمر، أن التفجيرات كانت هي العنوان الأبرز في العراق، وشكل العراقيون الهدف الأول والأخير لها، بينما كنا نرى المحتلين "يتبغددون" بخيرات العراق وينعمون بالأمن وبالهدوء وكأنهم ضيوف مرحب بهم، إلى درجة أن هناك منهم من علق في صنارة حب عراقية؟!

سمعنا عن مسرحية الانسحاب الأمريكي من العراق، ورأينا مهازل الانتخابات التي تشكل عنوان الديمقراطية الأبرز، لكنهم في الانتخابات الأخيرة صدمونا بعدم التسليم بفوز د. إياد علاوي وقائمته، وآثروا بقاء نوري المالكي في الحكم، على الرغم من أن هدف الاحتلال الأبرز هو دمقرطة العراق.

ما هو ملاحظ، أن العراق غرق في بحر الطائفية اللجي بعد الاحتلال، وخيم عليه شبح التقسيم، بعد أن كوفيء الحزبان الكرديان الرئيسان في الشمال، بدويلة نفطية ينتظر ترسيم حدودها وترفيعها إلى دولة بعد السيطرة على كركوك الغنية بالنفط.

كما طالب بعضهم باستقلال البصرة والموصل، ولكن الظروف وعلى ما يبدو، لم تكن مواتية لمثل هذا العبث، فطويت الأوراق والصحف إلى حين.

اليوم، وفجأة تبين أن السنة في العراق، اكتشفوا أنهم مظلومين، وأن مظلوميتهم باتت تؤرقهم، ولم يعودوا قادرين على تحمل حكم المالكي الذي تجذر وبات مرغوباً.

هنا تبرز أهمية التوقيت في التحليل، ولذلك فإن السؤال الذي يطل علينا بقرنيه الحادين: لماذا الآن؟ ولماذا التحرك السلمي؟ ولماذا لم يتحركوا عسكرياً ضد الاحتلال، مع أنهم أصحاب القاعدة والصحوة؟ والحزب الإسلامي العراقي الذي شارك بالترحاب بالإحتلال، وشارك في حكم بريمر وما بعده، وتسنم زعيمه طارق الهاشمي منصب نائب رئيس جمهورية العراق ما بعد الاحتلال؟

مختصر القول، إن هناك حرباً بين قوتين إقليميتين تدور في العراق، وأوعز للسنة أن يتحركوا.

تشطير السودان.... هم إضافي للعرب

..وكأن الأجندة العربية وما أكبرها، تنقصها مساحة لهمٍّ عربي جديد، هـو السودان، الذي تجزأ مبدئياً إلى جزئين بدون "ربيع سوداني"، بـل قبـل علـى نفسـه طواعية الدخول في مرحلة التشطير، بموافقته على اتفاقية نيفاشا التي وقعت عـام 2005، وكانت بطبيعة الحال بصياغة أمريكية.

الأخوة السودانيون في الشمال، مـن مسـؤولين ومـواطنين عـاديين، كـانوا يبشرون، بأن تداعيات هذا الانقسام ستعود عليهم بالخير، وكـم كـانوا مقتـنعين ومجمعين على ذلك، وكأنه تعميم حزبي وزع علـى جميـع الشـماليين، إلى درجـة أنني التقيت قبل سنتين، أكاديميين سودانيين في طهران، وجرى بيننا نقاش مطـول حول تشطير السودان، وأيدوا بدورهم الانفصال وتحدثوا عنه وكأنه عرس يجـب الاحتفال به.

كان السـبب الوجيـه، هـو أن الشـماليين، اعتقـدوا أن انفصـال الجنـوب، سيعود علـيهم بـالأمن والأمـان، وحتـى السـلم، لأن قنـاعتهم ترسـخت، بـأن الحروب التي لم تنقطع منذ استقلال السودان عن بريطانيا عـام 1956، سـتتوقف نهائياً، وسيتحمل الجنوبيون همومهم لوحدهم.

خلال زيـاراتي للسـودان كنـت ألتقـي أخـوة وأصـدقاء مـن الإعلامـيين والمثقفين والسياسيين، وكنـت أسمـع ذات النغمـة، وهـي أن انفصـال الجنـوب سيجلب السلم للشـمال، وأن ويـلات الحـرب سـتنتهي، لكـني كنـت أخـالفهم الرأي، نظراً لاعتقـادي أن هـدف التشـطير سـيعود بالمنفعـة لـيس علـى مـن تم تشطيرهم، بل ستكون جرة العسل، لمن قـرر التشـطير ووقـع عليـه، ومهـد لـه، وأعني بذلك أمريكا التي شددت على حق تقرير المصير للجنوب في اتفاق نيفاشا

2005، وإسرائيل التي مولت وغذت الحرب الأهلية في السودان التي فجرتها منذ الاستقلال.

ربما كان مع الأخوة في الشمال كامل الحق في التفاؤل بنتيجة التشطير، ويعود ذلك لحسن النوايا وطيب قلوبهم، فهم لا يتعاملون بخبث مع الأحداث، ولا يحملون ضغينة لأحد، حتى لو ألحق بهم الضرر.

لكن عالم السياسة كما الغابة الموحشة، في الليل، لا يرحم ولا يضمن أحد فيها أمنه ولا سلامته، وهكذا كان وضع الشمال في السودان بعد انفصال الجنوب.

أول خطيئة ارتكبتها " دولة الجنوب"، هي التشبيك العلني وعلى أرض الواقع مع "إسرائيل"، إلى درجة أن المستثمرين ورجال الأعمال الإسرائيليين، باتوا يتحركون في جوبا عاصمة الجنوب بعلانية وحرية وبأسمائهم الصريحة، ناهيك عن البعثات الاستخبارية التي تتخفى بثوب التدريب والتأهيل ومنح الخبرة للجنوبيين.

أما الخطيئة الثانية فهي أن الجنوب، أصبح مصدر شرور للشمال، وعدنا إلى المربع الأول حيث الحروب والغزوات والتحشيد، وبتنا نرى اللقاءات الثنائية تطوف دول القارة الإفريقية، وكان الشمال متساهلاً مع "الأخوة الأعداء"، لكن الجنوب كان يخرق الاتفاق، حتى قبل أن يجف حبره، وتتبدد حروف المسؤولين وتصريحاتهم في الهواء.

على الرغم من تساهل القيادة الشمالية في الخرطوم، إلا أننا رأينا تعنتاً جنوبياً لا مثيل له، إذ كانوا يتصرفون وكأن وراءهم قوى عظمى، ولعمري إنهم كذلك، لأن أمريكا وإسرائيل، معنيتان بعدم استقرار الشمال، وعدم نهضة

الجنوب أيضاً، لحاجة في نفس يعقوب قضاها، وقد تنفس الطرفان الصعداء عندما وافقت الخرطوم على اتفاق نيفاشا 2005.

أرض الجنوب ليست جرداء قاحلة، ولا هي صخور سوداء لا حياة فيها، بل هي أرض خصبة وخضراء يانعة ومطرها غزير، ولديها ثروة حيوانية وسمكية هائلة، وفيها ثروات لا تعد ولا تحصى أهمها النفط، علاوة على أن نهر النيل العظيم يمر منها باتجاه الشمال ومصر.

لست راغباً في تقليب أوراق ملف، لكن الحقيقة يجب أن تقال، وهي أن نظام الرئيس المصري المخلوع،ي تحمل كامل المسؤولية، عما آلت إليه الأمور في السودان، وأنه ضغط على الخرطوم للقبول باتفاق نيفاشا، ولم يقف مع الخرطوم في محنتها.

برز هذا الموقف المصري المستهجن منذ مجيء السادات، الذي تولى زمام الأمور في مصر بعد وفاة الزعيم الخالد جمال عبد الناصر مسموماً بالزرنيخ، وكرس ذات الموقف نظام مبارك المخلوع، الذي رفض التقارب مع الخرطوم، كي لا تغضب منه واشنطن، إلى درجة أنه رفض منحة شمالية لمصر وهي أرض مساحتها ملايين الهكتارات لزراعتها قمحا لصالح الشعب المصري.

العراق على مذبح التقسيم الطائفي

عاد العراق الذبيح ليتصدر مشهد الطائفية البغيضة، وكأنه لم يدخل مرحلة القتل والدمار، منذ أن ورطوه في حرب قذرة مع إيران، امتدت لثمانية أعوام حسوماً، أكلت الأخضر واليابس، ومن ثم فتحوا له طريق الكويت، لينهكوه، ويشنوا عليه عدواناً غاشماً بعد حصار استمر نحو 13 عاماً، افتقد الشعب العراقي خلالها حبة الدواء ورغيف الخبز، وتكون خاتمة السوء احتلالاً تدميرياً لم يترك لا الشجر ولا الحجر ولا حتى البشر.

قبل الغوص في التفاصيل، فإن انهيار العراق كان مقدمة لشطب القضية الفلسطينية، وتفتيت سوريا، والانقضاض على إيران لاحقاً، وبالتالي شطب حزب الله في لبنان، لتكون المعادلة قد اكتملت. وسوف لن تنجو تركيا من مخططات التقسيم. ولا بد من التنويه أن مكافأة أكراد العراق بدولة سوف تنسحب على سوريا وتركيا.

فكرة تقسيم العراق قديمة قدم المؤامرة الصهيونية على العرب والمسلمين على حد سواء، وهي للثأر من قيام القائد العراقي نبوخذ نصر بسبي يهود من فلسطين إلى بابل، حيث نسجوا هناك توراتهم وتلمودهم وحقدهم على البشرية جمعاء.

الحقد اليهودي على العراق لم يتوقف، وهذا بدوره ينسحب على مصر حيث الحقد اليهودي على المحروسة بسبب معاملة الفراعنة ليهود مصر كما يستحقون.

هناك مقولة لرئيس وزراء إسرائيل الأسبق تقول:

"إن تدمير الجيش العراقي وتقسيم العراق، وتدمير الجيش السوري وتقسيم سورياً، وتدمير الجيش المصري وتفتيت مصر أحد أهم وأقوى ضمانات بقاء إسرائيل".

على الرغم من أن مصر السادات تصالحت رسمياً مع إسرائيل من خلال معاهدة كامب ديفيد سيئة الصيت والسمعة، التي أخرجت مصر من ساحة الصراع، إلا أن إسرائيل لم تغفر لمصر غير الفرعونية ما فعله الفراعنة بيهود مع أن يهود اليوم ليسوا يهوداً

كان يفترض أن تبدأ عملية تقسيم العراق ربيع العام 2003 إثر الغزو الذي أدى إلى الاحتلال، بمعنى أن العراق كان أولاً في مشروع الشرق الأوسط الجديد أو الكبير لا فرق، لكن ما لم يكن وارداً في الحسبان ولا متوقعاً ولم يرد ذكره، غباءً من عملاء أمريكا في العراق، قد وقع، وبالتالي تلخبطت الأوراق، فانكفأت أمريكا في العراق، وتأجل العبث في سوريا.

كما قلت كان المشروع الصهيو- أمريكي يهدف للانقضاض على سوريا بعد احتلال العراق، ليستمر المحراث الأمريكي في تقسيم المنطقة ويستقر في المحروسة مصر التي يعدونها بالنسبة إليهم "الكنز"، بمعنى أنهم "سيتمزمزون" على تقسيم مصر، لأنها الضربة القاضية للعرب.

لكن اندلاع وانطلاق المقاومة العراقية التي كان لي الشرف كإعلامي أن أكون الصحافي العربي الأول الذي ينشر بيانها الأول، قلب الموازين وقيل آنذاك إن الخطة تقتضي بالانتقام من العراقيين من خلال الاحتلال والعملاء وأن تكون حالة العراق تشبه حالة العمى الخلاق.

لذلك رأينا الدم يسفك في العراق على أيدي الاحتلال والعملاء والقاعدة وما أطلق عليه كتائب الصحوة، ورأينا التفجيرات هنا وهناك ولم يعد للعراقي أدنى قيمة.

بعد انطلاق الإشارة في سوريا وتوسع العبث ليشمل البلاد بأسرها، أصدرت "حكومة العالم الخفية" أوامرها بالعودة إلى المربع الأول وهو العراق، لأسباب عديدة وأهمها حسم الأمور في العراق أولاً، للبدء في تنفيذ مؤامرة الشرق الأوسط الكبير، فاشتعلت النيران في العراق مجدداً وتحرك الناس هناك مع أنهم كانوا موجودين منذ الاحتلال فما الذي تغير؟ الجواب واضح: حان وقت تقسيم العراق، لأن لحظة الحسم في سوريا قد اقتربت.

السودان....ضحية النهج الاستسلامي العربي

أما فلسطين فقد ضاعت، وها نحن نشهد ولادة دولة يهودية في مرحلة أعلن فيه النظام الرسمي العربي تبنيه خيار "السلام" الاستراتيجي، ولا رجعة عن ذلك، ولبنان أصبح عصياً على الضياع، لأن الدولة "المارقة" إيران وضعت لها مواطئ أقدام فيه، ولم يعد هو النقطة الأضعف في المساحة العربية الممتدة من الماء إلى الماء، وتحصن بحزب الله.

اليوم، نحن أمام ضياع عربي جديد يتمثل بفقدان سلة الغذاء العربي وهو السودان، الذي أقدم على "فعلة" لم يجرؤ عليها أي بلد عربي وهي توجيه صفعة قوية لأمريكا ونسج علاقات صداقات مبنية على المصالح مع منافسي أمريكا واستفاد من نفطه، وفتح أبوابه وأبواب أفريقيا أمام الصين التي بدأت بصماتها التنموية تلمع في القارة السوداء.

منذ تأسيس إسرائيل ومعول الهدم الإسرائيلي يتحرك يمنة ويسرة في الوطن العربي، ويسجل نجاحات في الأطراف على طريقة "خنجر إسرائيل" للمؤلف الأمريكي اليهودي ألفريد ليلنتال، ويتمثل في نسج علاقات مع غير العرب المحيطين بالدول العربية وبالأقليات غير العربية التي تعيش في الدول العربية.

لقد سجلت إسرائيل نجاحات باهرة وأقامت علاقات مع أثيوبيا (مصر) وإيران الشاه (العراق) وتركيا (سوريا)، وقد انفصمت عرى الصداقة مع إيران بعد خلع الشاه الذي جعل من إيران بئر نفط وبنكاً مركزياً ومنطلق تجسس على العراق لإسرائيل، وها هي علاقاتها تشهد توتراً مع تركيا التى أفادت إسرائيل كثيرا، ولو أن استعملوا استخدموا عقولهم مع تركيا لقطعوا حبل الود التركي

المشوب بالطلاق مع إسرائيل، ولكنها مستمرة مع أثيوبيا وحـول منـابع حـوض النيل ليتعاظم الخطر على مصر والسودان معاً.

القصة لا تكمن في هذا الموقف أو ذاك، بل هي نتاج تقصـير العـرب تجـاه أفريقيا بشكل عام، ما فتح الأبواب على مصراعيها لإسرائيل كـي تغـرق القـارة السوداء ببؤر التجسس تحت غطاء الخبراء الزراعيين والتنمية والمياه.

معروف أن السودان قد حباه الله بنعم كثيرة، ولكنه بحاجة لجهد ومال، ولم يجد هذا البلد العربي عوناً من أشقائه العرب، ووقع فريسة يهود الـذين أشـعلوا نار الفتنة في الجنوب، وكانت حرباً أهلية ضروساً استمرت عشرات من السـنين، وعندما اتفق السودان مع نفسه، فجر أعداؤه بؤرة دارفور، التي ما تزال مشـتعلة حتى يومنا هذا حتى لا يتفرغ السودان لإعادة بناء نفسه.

لو أن الله وهـب العـرب بعضـاً مـن وسـائل الـتفكير السـليم، لمـا تركـوا السودان فريسة همومه، يعبث فيه الأعـداء شـرقاً وغربـاً وجنوبـاً، وذات زيـارة لوفد رسمي مصري، عرضت الحكومة السودانية عليه اختيـار وتحديـد أي بقعـة من الأرض في السودان لاستغلالها في زراعة القمح لصالح مصر، وأن السـودان لا يريد حبة قمح واحدة، وعند ذلك طلب الوفد عرض الأمر على صانع القرار في القاهرة، وبعد يومين جاء الرد: آسفون لرفض العرض لأن أمريكا ستغضـب منا إن وافقنا عليه!!

هذا هو حال السودان، وهذا هو حال العرب، ففـي العـام 2007 حظيـت بدعوة لحضور مؤتمر استثماري عربي في الخرطوم لدعم السودان، وخلال المؤتمر كنت متشوقاً لمعرفة قيمة الدعم، وكنت أظنه بالمليارات، لكنني فوجئت بـأن كـل ما قدمته الجهات العربية مع الجهـات المحليـة السـودانية، بلـغ فقـط 250 مليـون دولار، وهذه الإشارة تكفي.

السودان يدفع ثمن انتمائه العربي، ومواقفه الوطنية والقومية، وقد قامت الخرطوم على الرغم من واقع الحال بخطوة يعجز عنها من هم أكثر إمكانيات من السودان، فعندما أيقن الأمريكيون أن هناك نفطاً في السودان بعد التقارير النهائية لشركات التنقيب الأمريكية وشريكاتها الغربية، أصدرت الادارة الأمريكية أمراً بعدم استخراج هذا النفط لأسباب أمريكية بحتة، لكن الخرطوم حركت بوصلتها شرقاً واتفقت مع منافسي أمريكا الأقوياء وهم الصين و ماليزيا والهند وغيرها من الدول، الأمر الذي أثار حنق أمريكا.

كانت واشنطن تظن أن الصينيين والسودانيين سيعجزون عن استخراج النفط من الآبار المحفورة أمريكياً، وقد طلبوا من الشركة الكندية الانسحاب من السودان، لكن الأمور سارت على خير ما يرام وتنعم السودانيون والصينيون والماليزيون والهنود بالنفط الذي اكتشفه الأمريكان، وكانت صفعة قوية لواشنطن، ولذلك بيتت أمراً مع شريكتها إسرائيل، وهذا يعني أن انفجار بؤرة دارفور، لم يكن صدفة، بل هو نار أشعلها أعداء السودان وما يزالون يصبون عليها الزيت لإدامة الاشتعال، وما هو أبعد من ذلك أن الإعلام الغربي المتصهين، قد أغلق جميع ملفات الصراعات في العالم وركز على ما يدور في السودان، إلى درجة أن دارفور أصبحت قضية دولية وتحظى باهتمام الجميع، علماً بأن المجتمع الدولي عاجز عن الضغط على إسرائيل لتمنح الفلسطينيين ما هو أقل من الحد الأدنى من حقوقهم.

الآن يعيش السودان محنة ما بعدها محنة وهي أجواء انفصال الجنوب، والذي إن تم لا سمح الله، "وقد تم"، فإن الانفصال الثاني سيكون في دارفور وستتبعه انفصالات عديدة، كما أننا نعيش العبث الإسرائيلي في حوض النيل الأمر الذي سينعكس سلباً على كل من مصر والسودان "وقد أعلنت إثيوبيا عن

إنشاء سد النهضة"، بمعنى أن مياه النيل سوف لن تتدفق على أراضي مصر والسودان، بل ستذهب بطريقة أو بأخرى إلى إسرائيل لري وزراعة النقب.

القصة الأخطر في موضوع تقسيم السودان تكمن في أن انعكاسة ذلك ستكون في مصر التي سلخت نفسها عن أمتها العربية بتوقيع السادات معاهدة كامب ديفيد.

وهذا يقودنا إلى ملف آخر وهو أن الحراث الأمريكي الذي فشل في تشكيل خارطة الشرق الأوسط الجديد بسبب المقاومة العراقية والمقاومة في لبنان سيستأنف نشاطه في السودان، وبعد ذلك سينتقل إلى مصر، وما يزال العراق هو الهدف!!

اليمن على طريق العراق

والعين على السودان وإيران

فجأة وبدون مقدمات اكتشفت أمريكا أن تنظيم القاعدة- الذي ساعد في تحرير "أفغانستان" من السوفييت خلال عملية التزاوج ما بين الإسلام السياسي وأمريكا يتخندق في اليمن، مع أن هناك العديد من الاستهدافات القاعدية لأمريكا في الأقليم وفي اليمن وفي مقدمتها الهجوم على السفينة "كول".

ليس سراً القول إن اليمن صنف من قبل الأمم المتحدة على أنه دولة فاشلة، ومع ذلك لم يتحرك المجتمع الدولي لنجدة هذا البلد الذي كان سعيداً وحكيماً، ولم يعد كذلك، مما أدى إلى انفجار الصراع الداخلي بين صنعاء وعدن إلى حد التهديد بقبر الحلم الوحدة والعودة إلى الانفصال، وكأن اليمن لا يكفيه هذا الصراع وقد أضيف عليه نوع آخر هو الصراع العقدي مع الحوثيين، وما أعطاه نكهة قاتلة هو ربط الحوثيين بإيران، التي تمثل هدفاً لأمريكا وإسرائيل منذ العام 1979 حيث تغير النظام في إيران وغادرت طهران الحضن الإسرائيلي الأمريكي.

كانت المفاجأة الكبرى هي دخول العربية السعودية على الخط، مع ما يشوب العلاقات السعودية- الإيرانية من توتر إلى درجة النقيض.

شعرت واشنطن بالبرد فبدأت لندن بالعطاس لتعاد مسرحية غزو احتلال العراق ربيع 2003، على الرغم من أن بريطانيا تشهد محاكمة لرئيس وزرائها السابق المحامي طوني بلير حليف بوش الإبن، لدوره في العدوان على العراق، إضافة إلى أن الأمريكيين أنفسهم اعترفوا أمام العالم أن أسباب غزو العراق واهية

ووهمية، وأن الإتهامات التي وجهتها للقيادة العراقية السابقة بامتلاك أسلحة الدمار الشامل والارتباط بالقاعدة باطلة.

هاهي واشنطن بدءاً من الرئيس أوباما وانتهاء بوزيرة خارجيتها تكيل التهم لتنظيم القاعدة، بعد مسرحية تفجير طائرة ديترويت الفاشلة، تماماً كما كان الوضع تجاه العراق، حيث يهدد أوباما بتطهير اليمن من القاعدة، علماً أنهم يقولون إن تنظيم القاعدة في اليمن يعد فقط 300 شخصاً، ولعمري إن الأمر لا يصدق إذ هل يعقل أن تستنفر القوة العظمى الوحيدة في العالم ومعها تابعاتها الأوروبية، في عرض قوة غاشم ضد 300 مقاتل ليس أكثر؟

الدرس المستفاد مما يجري حالياً هو أن أمريكا وحلفاءها لم يعوا الدرس وهم مستمرون بإشعال حرائق الحروب، في ظل أزمتهم المالية الحالية. والمشهد الآخر في هذه اللعبة هو الخط الواصل بين السودان وإيران اللذيْن يتهددهما خطر الغزو والعدوان عقاباً لهما على ما اقترفت أياديهما.

فالسودان تجرأ وخالف أمريكا في موضوع نفطه وأحضر ألد أعداء أمريكا وهم الصين وماليزيا والهند وروسيا لاستغلال نفطه بعد أن أوصت الإدارة الأمريكية بعدم استغلاله. ناهيك عن قيامه بفتح البوابة الإفريقية أمام الصين. وليس سراً القول إن الغرب المتصهين حرك دبابيره في السودان بدءاً من الجنوب وحتى دارفور للعبث بمستقبل هذا البلد.

أما إيران فعلاوة على أنها خرجت من الحضن الإسرائيلي- الأمريكي ولم تعد بنكاً أو بئر نفط لإسرائيل، فقد تجرأت وطرقت باب النادي النووي الدولي طالبة العضوية رافضة كل التهديدات الأمريكية الإسرائيلية، ومختصر القول إن اليمن على طريق العراق والعين على السودان وإيران، فهل ستكون الطريق سالكة؟ التحرك الرسمي العربي الأخير يشي بشيء من هذا القبيل!!

تقسيم السودان..قرار أمريكي إسرائيلي

لست مع الذين يحملون مسؤولية انفصال جنوب السودان لنظام الرئيس عمر البشير ذي الصبغة الإسلامية، ولا لشعور الجنوبيين بالحرمان وانعدام التنمية، فكل هذه الحجج ما هي إلا تخرصات مثقفين يرغبون باستعراض مواقفهم مع أنني لن أكون مدافعاً عن أي نظام رسمي عربي.

بدأت أولى خطوات فصل الجنوب عن الشمال، منذ أن هيمن الإنجليز على الإقليم وبدأوا بتعميق الكراهية أولاً بين مصر والسودان، وفصلوهما عن بعضيهما بعضاً، ومن ثم انتقلوا بمحراثهم السحري إلى السودان نفسه، وغرسوا مشكلة حدودية بين مصر والسودان تماما، كما فعلوا في مؤتمر العقيق عام 1920، ورسموا الحدود بين الكويت والعراق وزرعوا قنبلة موقوتة تتمثل في الحدود والبحر، وهذا هو ديدن بريطانيا التي أينما دخلت وخرجت تركت حقل ألغام حدودياً وراءها.

لم تكتف بريطانيا بذلك، بل اشتغل محراثها لفصل الشمال عن الجنوب، ومن فورها منعت دخول الشماليين إلى الجنوب الا بتأشيرة دخول، ومنعت جميع مظاهر العروبة هناك وغذت فيروس الكراهية بين أهل الجنوب وأهل الشمال لتستمر بعد خروجها من السودان عام 1956، لتبدأ حركات التمرد الجنوبية بتفجير الحروب عشرات السنين، ليتبين أن شعب الجنوب (المحروم) قادر على شراء السلاح.

كما تبين أن إسرائيل كانت هي الداعم والمحرك والمزود والمدرب والممول لهذه الحركات.

لا أكشف سراً إن قلت: إن الوجود الإسرائيلي في الجنوب هذه الأيام ملحوظ، ويقوم الإسرائيليون ببناء البنية التحتية والفنادق ومنها فندق "شالوم" في جوبا عاصمة الجنوب.

بعد أفول نجم بريطانيا الاستعمارية بزغت شمس أمريكا وتسلمت مع إسرائيل ملف السودان لتواصل مخطط تقسيمه، ولكن بالحسنى هذه المرة. والحسنى هنا تعني استفتاء أهل الجنوب على الانفصال أو الوحدة وإن رغبوا بالتصويت على الانفصال، فلهم ذلك وستصبح لهم دولة مسيجة بالسياج الإسرائيلي الأمريكي.

بدأت الحيلة الأمريكية بوساطتها لإنهاء حرب الجنوب الدائرة بين الجنوب والشمال، وإشرافها على محادثات السلام في نيفاشا عام 2005، ووضعت في اتفاق نيفاشا بنداً ملغماً ينص على إجراء استفتاء في الجنوب حول الوحدة أو الانفصال بعد خمس سنوات، أي في التاسع من كانون الثاني 2011، ومنذ ذلك الوقت رأينا حركة التململ في الجنوب للانفصال عن الشمال.

وجدت ما تسمى "حركة تحرير السودان" نفسها وقد سجلت نصراً على الخرطوم لإدراكها أنها مغطاة من قبل أمريكا وإسرائيل، وهذا ما جعلها تتعنت في هذا المجال وتصر على إثارة المشاكل للخرطوم، وآخرها ما حدث في انتخابات نيسان الماضي.

ما لا يجب إغفاله هنا عند الحديث عن الجنوب وعن اتفاق نيفاشا هو أن أمريكا وإسرائيل بعد نجاحهما في حيلة الجنوب فجرتا قنبلة دارفور حتى لا يلتقط السودانيون أنفاسهم.

سجلت حرب دارفور درجة غليان أعلى مما سجلته حروب الجنوب، واشتغلت ماكينات الاعلام اليهودية في الغرب وأمريكا على وجه الخصوص، تحرض على السودان وتتهم العرب السودانيين بأنهم يشنون حرب إبادة ضد الأفارقة هناك، مع أن العديد من الأفارقة في دارفور أكدوا لي عدم صحة هذه الاتهامات، وأنهم يعيشون مع إخوانهم العرب بسلام وكان ذلك خلال زيارة لي إلى دارفور صيف العام 2007.

لا يحتاج الأمر إلى ساحر أو عرافة غجرية محترفة لقراءة نتائج حرب دارفور، لأن النوايا تتحدث عن نفسها جهاراً نهاراً، بمعنى أن الانقسام الثاني في السودان بعد الجنوب سيكون سلخ دارفور، لأن موجبات انفصال الجنوب هي ذاتها التي تنطبق على دارفور، فالوجود الإسرائيلي والأمريكي والكنسي الغربي واليهودي لا تغفله عين، ناهيك عن مكاتب حركات التمرد الدارفورية الموجودة في تل أبيب.

ولعلي لا أكون متشائماً عندما أقول: إن دارفور لن تكون هي الأخرى آخر الانقسامات في السودان، وربما لن يعجب بعضهم ما سأقوله وهو إنه بعد تقسيم السودان، فإن المحراث الأمريكي- الإسرائيلي سيطلق صفارته في مصر المحروسة والتي يطلقون عليها في مشروع الشرق الأوسط الكبير "الكنز أو الهدية الكبرى".

مع ذلك نجد أن هناك ممثليات جنوبية في مقر الجامعة العربية، وفي القاهرة ومكاتب للجامعة في جوبا، بمعنى أننا نتعامل مع انفصال الجنوب كتحصيل حاصل، ولست شامتاً عندما أقول إننا سنصبح محاطين بأكثر من إسرائيل في المنطقة بعد فلسطين حيث جنوب السودان ودارفور وشمال العراق وانعزالي ولبنان.

علاوة على رغبة أمريكا وإسرائيل في تفتيت المنطقة، فإن أمريكا لديها من المبررات الكثيرة لمعاقبة السودان بما يكفي لتقسيمه، وهناك مبدأ أمريكي مفاده أن أي نظام يخرج عن طاعتها فإن مصيره القبر أو السجن، ولا أحد ينكر أن الخرطوم تعاونت في إحدى المراحل مع أمريكا.

الخطيئة الثانية التي ارتكبها السودان بحق أمريكا- وأتمنى لو أن جميع الدول العربية ترتكب مثل هذه الخطيئة- هي قيامه بمخالفة رغبة الادارة الأمريكية المتمثلة بتأجيل استخراج النفط السوداني.

لم تستسلم الحكومة السودانية بعد ذلك القرار، بل عمدت إلى الاتفاق مع الصين وماليزيا والهند وروسيا واستجلبتهم لاستخراج نفطها بعد أن ظنت الإدراة الأمريكية استحالة ذلك، إضافة إلى "جرم" آخر وهو فتح أبواب أفريقيا أمام الصينيين الذين انجزوا تنمية بيضاء في أفريقيا عكس ما يقوم به الغربيون هناك، والذين يمارسون اللصوصية بأبهى صورها ويعاملون الأفارقة بفوقية منقطعة النظير.

بقي القول إن ضياع فلسطين والعراق والسودان واليمن ومصر وقريباً المغرب العربي- الذي دخلته القاعدة بتوجيه أمريكي، للعبث فيه وتبرير دخول القوات الأمريكية له، كما حدث مؤخراً في المغرب وما يحدث في العراق- ليس بالضرورة أن يكون بفعل عوامل خارجية، بل هو نابع من داخلنا، فنحن قصرنا بحق أنفسنا وفرطنا بحقوقنا ورهنا مقدراتنا لبريطانيا، إبان كانت "صديقتنا العظمى"، وبعدها وضعنا جميع بيوضنا في السلة الأمريكية، وها نحن نسلم انقيادنا لإسرائيل ونصادقها ونتحالف معها، كما أننا نتعاقد معها على تنفيذ حروب إقليمية ضد قوى لا نريدها بيننا في الوقت الذي نعادي فيه قوى إقليمية يتوجب علينا الحوار والتحالف معها، بدلاً من معاداتها.

مداميك مشروع الشرق الأوسط

الجديد تُجبل بالدم العربي

جميل جداً أن نرى في الوطن العربي حاكماً يحاكي الزعيم الخالد جمال عبد الناصر في نزاهته وشفافيته وأمانته، ويكفيه أنه ترك الدنيا والحكم مديوناً شأنه شأن أي مواطن عادي، لكنه لم يترك مصر المحروسة ترزح تحت الديون.

يروى أن أمير الكويت إبان عهد الزعيم الخالد تبرع له بمبلغ كبير ليبني له بيتاً يليق به كرئيس لأكبر دولة عربية، وقد قبل الزعيم الخالد ذلك المبلغ لكنه بيت أمراً في نفسه، وعندما حان موعد انعقاد القمة العربية في العام التالي طلب الأمير من الزعيم الخالد، أن يأخذه ليرى القصر الذي بناه.

وافق الزعيم الخالد على الفور، لكنه بيت أمراً في نفسه أيضاً وحطت السيارة في المنطقة الصناعية حلوان، ونزل الزعيمان منها ودخلا أحد المصانع الحديثة، لكن الأمير ذكر الزعيم الخالد بأنه يرغب برؤية القصر الخاص به وليس مصنعاً، وعندها ضحك الزعيم الخالد وقال: يا سمو الأمير إن المبلغ الذي تبرعت به العام الماضي بنيت فيه هذا المصنع كي أوفر فرص عمل للمصريين.

هذه المقدمة مهمة للدخول في موضوع الشرق الأوسط الجديد الذي بدأ يتشكل منذ أن أحرق الشهيد التونسي محمد البوعزيزي نفسه، هماً وغماً وكمداً، لأنه وجد نفسه يعيش في وطن لا تربطه به أي رابطة.

ما أود الايحاء به هو أننا كمواطنين عرب، نريد أن نحيا في بلداننا حياة كريمة لا حياة مجبولة على الإقصاء والتهميش والحرمان، وكأننا مسخرون في عهد

الإقطاع، نخدم أحياناً بدون أن نجد ما نأكله وهذا شأن العبيد، لكن العبيد ثاروا في إحدى الحقب التاريخية وحققوا مطالبهم.

لو نظرنا إلى الخارطة الرسمية التي تحكم في الوطن العربي، لوجدناها طبقتين فقط؛ طبقة الحاكم وأهله وأهل زوجته، والطبقة الثانية طبقة الزمرة الفاسدة التي تستفيد منهم وتروج لهم نظير السماح لها بالمشاركة في الكعكة.

لأن الشيء بالشيء يذكر، فقد تكشف للعامة ما كان يمارسه بن علي وحاشيته وحاشية زوجته الكوافيرة السابقة ليلى الطرابلسي، التي يقال إنها من أقارب القذافي لأمه رزالا اليهودية، وكيف أن هؤلاء سيطروا على مقدرات تونس الخضراء وأكلوها مثل الجراد وتركوها لأهلها قاعاً صفصفاً، ولا داعي هنا للتفاصيل.

أما مبارك المخلوع يوم 25 يناير فقد مارس ذات الشيء ونصب نفسه وأبناءه وبلطجية الحزب الوطني أباطرة على مصر المحروسة، وقيل إنه شحن إلى بنوك سويسرا في عامه الأول 19 طناً من البلاتين. وأن المعروف من ثروته عند خلعه أنه يمتلك 70 مليار دولار، علماً بأن ديون مصر تبلغ بسبب سياساته وسياسات سلفه السادات 40 مليار دولار.

وبالنسبة للقذافي المخلوع يوم 17 فبراير/ شباط، فإن ثروته حسب التقديرات الأولية، تبلغ 600 مليار دولار، وأنه رهن ليبيا النفطية لأولاده الذين مارسوا كل أنواع الفساد في عواصم العالم، وكم يهودية مارسوا معها البغاء، ونحن نهتف جوعاً وظلماً وقهراً تحيا العروبة.

ما أنا بصدده هو أننا نعيش في نظام المزارع الإقطاعية، وأن روح

الإقطاعيين الجدد شريرة، إلى درجة أنها لا تتحمل رؤية حتى من يخدمها سخرة، وكان ما كان في تونس ومصر وليبيا، لكن للعبة وجه آخر.

يبدو أن أمريكا ومن خلال أدواتها التي تنعم في ظل السفارات الأمريكية استغلت الغليان الجماهيري في الدول العربية، وأشعلوا الشارع العربي لأن ربائبهم قد أصبحوا حجر عثرة أمام استكمال مشاريعها، لأنهم بدأوا بمخالفة أوامرها المتعلقة بشيء من الانفتاح تجاه شعوبهم لذر الرماد في العيون، وظنوا أنهم بما قدموه من خدمات لإسرائيل وأمريكا في فلسطين والعراق سيحميهم من غدر أمريكا التي لا صديق لها.

البصمة العربية حالياً تتصف بالحكم العائلي والفساد والإفساد وانعدام النظام بمعنى حالة الحكم، لأن الحاكم دمر كل شيء وفصّل البلاد على مقاسه ومقاس عائلته وعائلة زوجته، كما أنها تتصف بانعدام المواطنة وبإحياء الطائفية والعشائرية، وطالت الأمور حتى النظم الجمهورية.

بمعنى أن الحاكم العربي ليس أميناً على شعبه، بدليل أن ابن رزالا اليهودية في خطابه الذي ألقاه تحت أنقاض منزله المدمر خير دليل على ذلك، حيث أصدر أوامره لزبانيته بالخروج لذبح المتظاهرين في الشوارع.

ما أود قوله إن هناك 13 دولة عربية على القائمة وإن هناك جهات داخلية متنفذة بتسريع الأحداث كي يقع الانفجار، علماً بأن البيدر العربي يعيش حالة صيف جاهزة لأي إشعال نار فيه، وإلا ما تفسير الانفجار المتتالي الذي نراه في الوطن العربي؟

نحن هذه الأيام أمام طوفان ولا ندري أين سترسي سفينة نوح التي أبحرت على بحر من الدماء العربية.

عندما وقع رئـيس الـوزراء الإسـرائيلي الأسـبق إسـحق رابـين اتفاقيـات أوسلو سيئة السمعة والصيت مـع منظمـة التحريـر أواخـر عـام 1993، قـال في خطاب متلفز لقطعان المستوطنين اليهود في فلسطين: لا تبتئسوا مما حصـل اليـوم وما سيحصل غداً، فإن كل الأمور تسير لمصلحة إسرائيل فلنا تسعة حكام عرب من أصل يهودي!!

وقد قيل إن الهارب بزي منقبة بن علي من أصول يهودية، وكذلك مبارك، وها هي عجوز يهودية تعترف علناً أن القذافي المخلوع يوم 17 فبراير أمه يهودية واسمها رزالا.

الشرق الأوسط يحترق وأمريكا تنهار.. فتش عن اليهود ؟!

هكذا هو الشرق الأوسط، لا مرجعية سياسية له، ولا مقاييس حكم رشيد، وقيل عنه إنه رمال متحركة، وقد صدق الوصف، فالنظم الدكتاتورية المدعومة من أمريكا وإسرائيل، لم تعد قادرة على الصمود أمام العواصف التي بدأت تضرب كل بلدان المنطقة وإن كان ذلك بدرجات، فمنهم من هرب بزي منقبة، ومنهم من اختفى في الصحراء، ومنهم من لا يزال يدعي أن الهدوء يعم بلاده، وأن ما تبثه وسائل أعلام (الفتنة) ما هو إلا رسوم متحركة تنتجها مختبرات فنية متخصصة؟!

النار تحت الرماد، هذا هو وصف آخر ينطبق على منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، ولذلك فإن مصير هذه المنطقة الجغرافية مجهول وغير ثابت، فما أن تهب نسمة حتى ينكشف الجمر من تحت الرماد وتندلع النيران، ولا أعني بذلك حرائق غابات روسيا أو الجليل أو حريق مفتعل في مؤسسة حكومية ما لحرق أدلة الفساد، وما أكثرها في الوطن العربي.

الجمرة الأولى تحت الرماد العربي هي ما بات يعرف بالصراع الفلسطيني-الإسرائيلي بعد أن تخلى المسلمون عن فلسطين بشطبهم الجهاد في القمة الإسلامية بداكار في ثمانينيات القرن المنصرم، وبعد تخلي العرب عن القدس باشتباكهم السلمي مع إسرائيل سراً وعلانية، وترك الفلسطينيين يصرخون في وادي الظلم العربي "يا وحدنا".

وسوف لن يتم حل هذا الصراع، حتى لو قامت دولة أيلول "الأمم المتحدة دولة مراقب" وحصلت على اعتراف العالم أجمع وأصبحت عضواً كامل الأوصاف في الأمم المتحدة، لأن هذه الدولة ستختصر ملف الصراع الفلسطيني

بكانتون لا حول له ولا قوة، بمعنى أن هذه الدولة ستكون بمثابة تنازل شرعي عن الحقوق الفلسطينية التاريخية.

لذلك فإن جذوة هذا الصراع لن تنطفىء، ما دام هناك لا جيء واحد، فما بالك ببقاء جميع اللاجئين خارج وطنهم.

وليس بعيداً عن القضية الفلسطينية، فقد أضيف لملف الحرائق العربية نار ملتهبة أخرى هي احتلال العراق وبمساعدة دول عربية، شارك بعضها في إرسال قوات مسلحة تقاتل جنباً إلى جنب مع الغزاة، ولا أظن أن هذه الخطايا ستمر هكذا بسلام، لأن العراق يشهد دماراً شاملاً على كافة المستويات بدءاً من تحت الأرض بنهب نفطه وآثاره إلى تدمير إنسانه بالقتل والحرمان والأمية.

ظن بعضهم أن احتلال العراق سيطوي صفحة النزاع الأصلي بين العراق والكويت، إذ ما تزال درجة الصراع مرتفعة، وها هي الكويت تصر على بناء ميناء مبارك الكبير، مما أثار حفيظة العراقيين، ولا أحد يدري إلى أين ستصل الأمور، خاصة وأن العراقيين يرون في هذه الخطة تهديداً لمصيرهم ومصالحهم؟ مواقد الجمر العربية لا حصر لها.

فهناك نزاع الصحراء بين الجزائر والمغرب، وانفصال جنوب السودان عن شماله والصراع الملتهب في دارفور. ولعل الجمرة الخبيثة التى ننتظر انفجارها هي الحرب الخليجية- الإيرانية، وها هي دول مجلس التعاون تطلب من الأردن والمغرب ومصر الانضمام لها، ولا تفسير لهذه الخطوة حالياً سوى أنها "جندي للايجار". فشلت أمريكا في قولبة الشرق الأوسط باحتلالها العراق وخطتها باحتلال الدول العربية، وكان سبب فشلها، انطلاق المقاومة العراقية بسرعة قياسية، فأوكلت المهمة لإسرائيل كونها الذراع العسكري للغرب، لكن إسرائيل هي الأخرى سجلت فشلاً ذريعاً إبان غزوها للبنان صيف العام 2006، ولغزة شتاء العام 2008. عند ذاك قرر ولاة أمور الشرق الأوسط رفع أيديهم عن

وكلائهم، وترك الباب مفتوحاً أمام جميع الاحتمالات، وكان الاحتمال المعتمد هو الفوضى الخلاقة أو "الكييوس" الذي يعني حرفياً العمى الخلاق، وهذا هو ما يحصل في الوطن العربي.

ولعل ما يطلقون عليه "الربيع العربي" بدأ يزهر في أمريكا، حيث شعارهم "الشعب يريد اسقاط النظام المالي" في حين أن شعار الشعوب العربية: "الشعب يريد إسقاط النظام السياسي".

أمريكا قيد الانهيار، وهذا ما يتحدث عنه الأمريكيون أنفسهم، حيث خرج من يتهم الحراك الأمريكي بالغوغاء وأنهم يريدون تقسيم أمريكا.

الحديث عن تقسيم أمريكا ليس جديداً، فهناك العشرات من الحركات الداعية للتقسيم، حيث تقول الولايات الشمالية الغنية إنها لم تعد قادرة على الصرف على الولايات الجنوبية الفقيرة، وأجزم أن يهود الذين تحالفوا مع اليمين الأمريكي وفجروا البرجين في أيلول 2001، هم أداة التقسيم الأمريكي، تماماً كما فعلوا مع بريطانيا بعد أن سلمتهم فلسطين.

بدأت القصة في قمة بيل كلينتون- نتنياهو عام 2000 عندما حاول الأول الضغط باتجاه التوصل لحل مع الفلسطينيين، لكن نتنياهو رفض وهدد بحرق نيويورك إن حاولوا الضغط على إسرائيل، وهذا ما يفسر الإتيان ببوش الصغير رئيساً للولايات المتحدة بعد عام من تفجير البرجين، وجره إلى حربين في فترة قياسية، وهذا ما لا يقبله عقل ولا منطق، ناهيك عن سحب الأرصدة المهولة من البنوك الأمريكية وخلق أزمة مالية رهيبة نجم عنها هذا الحراك الذي يتسع مداه يوماً بعد يوم، ويدخل ولاية بعد أخرى.

أختتم بالقول أن الشرق الأوسط الذي شرع أبوابه للغزاة الطامعين، يعاني من الحرائق المتتالية، وأن أمريكا التي سمحت ليهود التحكم فيها، في طريقها للانهيار وفتش عن يهود هنا وهناك!

أزمة "تكسيم"..

هل ستكون مقدمة لتقسيم تركيا؟

تماماً كما هو الحال النسبة للوطن العربي، انفجر الدمل مرة واحدة في تركيا، وتحديداً في "الباب العالي" إسطنبول، وامتدت إلى العاصمة أنقرة، بما ينذر بالخطر من انتقال النار السورية إلى تركيا، وفي بداية الصيف القائظ الذي يبدو فيه كل شيء قابلاً للإحتراق.

بالأمس، تحولت ساحة "تكسيم" في إسطنبول، من ساحة للعشاق، وملاذ للراحة وقبلة للسواح، إلى ساحة حرب بين المتظاهرين والدرك جعلت الرئيس التركي عبد الله غول يحذر من تداعياتها ويطالب بالحكمة في التعامل مع الأحداث، في حين وعد رئيس الوزراء الطيب أردوغان بالتحقيق في العنف الذي تولد في ساحة "تكسيم"، مع أنه صمم على تنفيذ مخطط إعادة هيكلة الساحة.

السؤال الذي يطرح نفسه وبشدة هو: هل ستكون ساحة "تكسيم "هي ميدان التحرير التركي، خاصة وأن الأمور لم تعد بحدود إسطنبول، بل امتدت لتشمل تجمعات سكانية أخرى؟ وهل يعلم الأتراك أن مشروع الشرق الأوسط الكبير الذي ينتظر المنطقة، يقضي بتقسيم تركيا أيضاً؟

هناك سؤال آخر: هل انفجار الدمل في ساحة "تكسيم"، ناجم عن حرمان العشاق في إسطنبول من فضاء يقضون فيه بعض أوقاتهم؟ أم أن وراء الأكمة ما وراءها.

القصة أعمق من ذلك وأبعد، فتركيا عبارة عن قطعة من الجنة، وذات

فضاء أخضر وآخر أزرق يسر الناظرين، لكن لا بد من القول إن هناك أياديَ خارجية لها مصلحة بنفخ "الكير"، وأعني بذلك إسرائيل بالدرجة الأولى.

إسرائيل لن تغفر لتركيا- أردوغان، مواقفه بدءاً من انسحابه من مؤتمر دافوس الاقتصادي، وانتهاء بإجبارها على الإذعان لشروطه، مروراً بطبيعة الحال بوقوفه مع أهالي غزة وسفينة مرمرة وتداعياتها المتمثلة بتجميد علاقات تركيا بها.

العلاقات التركية- الإسرائيلية ليست مثل علاقات الدول الأخرى، فهي ذات تاريخ عميق وتمتاز بعمقها، وبزخمها، كون تركيا كانت وما تزال قاعدة إسرائيلية متقدمة ولن يستطيع حزب تركي حاكم، نزع تركيا من الحضن الإسرائيلي بهذه السهولة.

هذه العلاقات سلة مليئة بالجواهر بالنسبة لإسرائيل، ففيها الشق الأمني، وكما هو معروف، فإن تركيا تعد وكراً للموساد الإسرائيلي منذ القدم، وهناك علاقات وشراكة عسكرية ليس بحكم انتماء الجانبين لحلف الناتو، بل لطابع العلاقات العسكرية الثنائية وما يتخللها من صناعات مشتركة، ومعاهدات واتفاقيات وتدريبات وما إلى ذلك.

أما عن التعاون الاقتصادي فحدث ولا حرج، ناهيك عن العلاقة الحميمة بين إسرائيل وقادة الجيش العلمانيين الذين وجدوا أنفسهم بين عشية وضحاها عرضة للعزل بل وللمحاكات أيضاً.

ما أضحكني في احداث "تكسيم"، هو الدعوة التي جاءت من سوريا المحترقة تدعو أردوغان للرأفة مع متظاهري تكسيم؟؟؟!

السؤال الآخر الذي يفرض نفسه بقوة الحدث هو: ألم تتعظ القيادة التركية

من تداعيات ما يحدث في الجارة سوريا على الأقل؟ ثم: ألا يعد ما يحدث في" تكسيم"، انتقالاً أو امتداداً للنار السورية إلى تركيا؟

البيدر التركي جاهز لاستقبال الشرر وإنتاج النيران التي لن تنطفيء بسهولة، فالعرب المواطنون الذين يؤيدون النظام السوري جاهزون للانتقام، وهناك الخلايا النائمة في صفوف اللاجئين السوريين في تركيا، وكذلك الأكراد، والمتأسرلون الذين تضرروا من حزب العدالة والتنمية، وأعني كبار ضباط الجيش العلمانيين المعزولين فكل هؤلاء مجامر جاهزة للاشتعال عند انبعاث أي نسمة.

يبدو أن القصة ليست في "تكسيم"، بل في تقسيم.

تم بحمد الله

في عمّان بتاريخ 8- 6- 2013